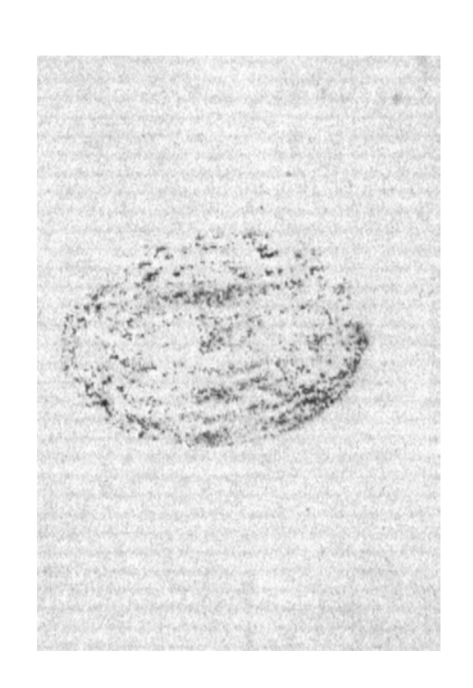


الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وهذا بعيد وقد بينا مافيه جاءهم اي جاء الرسل نصرنا فنجي يأسوا با رسال
العذاب على الكفار فنجي من نشاء اى تخلص من نشاء من العذاب عند نزوله وهم المؤمنون ولا يرد بأسنا اى عذابنا عن القوم المجرمين
اي المشركين لقد كان في قصصهم اى قصص يوسف واخوته عبرة اى فكرة وبصيرة من الجهل وموعظة وهو ما صار عليه من ملك مصر
والجمع بينه وبين ابويه واخوته بعد القائه في الجب وبيعه وحبسه وقيل في قصصهم عبرة لان نبينا صلى الله عليه وآله لم يقرا كتابا ولا سمع
حديثا ولا خالط اهله ثم حدثهم به في حسن معانيه وبراعة الفاظه ومبانيه بحيث لم يرد عليه احد من ذلك شيئا فهذا من ادل الدلايل
على صدقه وصحة نبوته لاولي الالباب اى لذوى العقول ما كان حديثا يفترى اى ما كان اداه محمد وانزل عليه حديثا يختلق كذبا ولكن
تصديق الذي بين يديه لانه جاء كما بشر به في الكتب عن الحسن وقتادة وتفصيل كل شيء يحتاج اليه من الحلال والحرام وشرايع الاسلام
وهدى اي دلالة ورحمة اى نعمة ينتفع بها المؤمنون علما وعملا لقوم يؤمنون انما خصهم بذلك لانهم المنتفعون به دون غيرهم
وبالله التوفيق والعصمة وهو حسبنا ونعم الوكيل تم الجزء الخامس من كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن ويتلوه الجزء السادس ان شاء الله
وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليما كثيرا كثيرا ه



صحح البياض



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله الطاهرين الاخيار **سورة الرعد** مكية كلها عن ابن عباس وعطاء وقال الكلبي
ومقاتل مكية الا آخر آية منها نزلت في عبد الله بن سلام وقال سعيد بن جبير كيف يكون هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام والسورة كلها مكية
وقال الحسن وعكرمة وقتادة انها مدنية الا آيتين نزلتا بمكة ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بعدها عدد آيها اربعون وسبع آيات
شامي خمس بصري اربع حجازي ثلث كوفي اختلافها خمس آيات لفي خلق جديد الظلمات والنور غير الكوفي الاعمى والبصير هو سوء الحساب
شامي من كل باب عراقي شامي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل سحاب
مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وكان يوم القيمة من الموفين بعهد الله نعم وقال ابو عبد الله عم من اكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصاعقة
ابدا وان كان مؤمنا ادخل الجنة بغير حساب وشفع في جميع من يعرف من اهل بيته واخوانه تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة يوسف عليه السلم
بذكر قصص الانبياء عليهم السلم افتتح هذه السورة بان جميع ذلك آيات الكتاب وان الذي انزله هو الحق فقال بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ● الله الذي رفع السموات
بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم
بلقاء ربكم توقنون ●

آيتان ولم يعد احد المر آية وعند الكوفيين طه وحم آية لان طه يشاكله رؤس الآي التي بعدها بالالف مع انه لا يشبه
الاسم المفرد كما اشبه ص وق ون لانها بمنزلة باب ونوح اللغة العمد والعمد جميعا بمعنى واحد وهما جمع عماد الا ان عمدا جمع عمود وعماد
وعمد اسم للجمع ومثله اديم وادم واهاب واهب وافيق وافق الاعراب الذي انزل يجوز ان يكون موضعه رفعا على الابتداء ويجوز ان يكون
رفعا بالعطف على آيات الكتاب ويكون الحق مرفوعا على اضمار هو ويجوز ان يكون في موضع جر بالعطف على الكتاب وتقديره تلك آيات
الكتاب وآيات الذي انزل من ربك ويكون الحق مرفوعا على الاضمار ويجوز ان يكون الحق مجرورا صفة للذي اذا جعلته عطفا على الكتاب
ولكن لم يقرأ به احد من القراء المعنى المر قد فسرناه في اول البقرة وبينا ما قيل فيه وروي ان معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب اي
هذه السورة هي آيات الكتاب التي تقدم الوعد بها ليست بمفتريات ولا سحر والكتاب القرآن عن ابن عباس والحسن وقيل ان الكتاب عبارة
عن التورية والانجيل عن مجاهد وقتادة ويكون تقديره تلك الاخبار التي قصصتها عليك آيات التورية والانجيل والكتب المتقدمة
والآيات الدلالات العجيبة المؤدية الى المعرفة بالله عز وجل وانه لا يشبه الاشياء ولا تشبهه والذي انزل اليك من ربك يعني وهذا القرآن
الذي انزل اليك من ربك هو الحق فاعتصم به واعمل بما فيه وعلى القول الاول فانه وصف القرآن بصفتين احديهما بانه كتاب والاخرى
بانه منزل ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي لا يصدقون بانه منزل وانه حق مع وضوحه الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها لما ذكر سبحانه
انهم لا يؤمنون عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق ويريد بالعمد السواري والدعائم وقيل فيه قولان احدهما ان المراد رفع السموات
بغير عمد وانتم ترونها كذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة والجبائي وابي مسلم وهو الاصح قال ابن عباس يعني ليس من دونها دعامة تدعمها
ولا فوقها علاقة تمسكها قال الزجاج وفي ذلك من القدرة والدلالة ما لا شيء اوضح منه لان السماء محيطة بالارض سقف سمته بغير عمد والآخر
ان يكون ترونها نعت العمد فيكون المعنى بغير عمد مرئية فعلى هذا تعمدها قدرة الله عز وجل وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد ثم استوى على
العرش قد مضى تفسيره واذا حملنا الاستواء على معنى الملك والاقتدار فالوجه في ادخال ثم فيه ولم يزل سبحانه كذلك لان المراد اقتداره على تصريفه و
تقليبه واذا كان كذلك فلا يكاد القديم سبحانه يوصف به الا وقد حدث نفس العرش وسخر الشمس والقمر اي ذللهما للمنافع خلقه ومصالح عباده
كل يجري لاجل مسمى اي كل واحد منهما يجري الى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي عندها يكور الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم عن
الحسن وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما ينتهيان اليها لا يجاوزانها وللشمس مائة وثمانون منزلا تنزل كل يوم منزلا الى آخر
المنازل فلا تجاوزه وترجع الى اول المنازل وينزل القمر كل ليلة منزلا حتى ينتهي الى آخر منازله يدبر الامر اي يدبره كل الامر من امور السموات والارض

نصف الحزب

الامور لخلق على وجه توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة يفصل الآيات اى يأتى بآية فى اثر آية فصلا فصلا مميزا بعضها عن بعض ليكون امكن
للاعتبار والفكر وقيل معناه يبين الدلائل بما يحدثه فى السموات والارض لعلكم بلقاء ربكم توقنون اى لكى توقنوا بالبعث والنشور وتعلموا
ان القادر على هذه الاشياء قادر على البعث والنشور بعد الموت وفى هذا دلالة على وجوب النظر المؤدى الى معرفة الله تعالى وعلى بطلان التقليد
ولولا ذلك لم يكن لتفصيل الآيات معنى قوله تعالى وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا
زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ
وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *
آيتان القراءة قد ذكرنا الاختلاف فى قوله يغشى الليل النهار فى سورة الاعراف وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل صنوان
وغير صنوان جميعا بالرفع والباقون بالجر فى الجميع وقرا حفص صنوان بضم الصاد وكذلك رواه الحلوانى عن القواس وقرا الباقون بكسر الصاد و
فى الشواذ قراءة الحسن وقتادة صنوان وقرا يسقى بالياء ابن عامر وعاصم ويزيد وروبس عن يعقوب وقرا الباقون تسقى بالتاء وقرا اهل الكوفة
غير عاصم وروح عن يعقوب يفضل بالياء والباقون بالنون الحجة قال ابو على من رفع قوله وزرع فتقديره وفى الارض زرع ونخيل صنوان
فجعله محمولا على قوله فى الارض قطع ولم يجعله محمولا على ما فى الجنات منه من الاعناب والجنة على هذا يقع على الارض التى فيها الاعناب والنخل
دون غيرها ويقوى ذلك قول زهير كان عينى فى غربى مقتلة من النواضح تسقى جنة سحقا فالمعنى تسقى نخيل جنة فاما من قرا بالجر فانه حمل النخيل
والزرع على الاعناب فكانه قال جنات من اعناب ومن زرع ومن نخيل والدليل على ان الارض اذا كان فيها النخل والكرم والزرع سميت جنة
قوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا فكما سميت الارض ذات العنب والنخل والزرع جنة كذلك يكون النخيل
والزرع محمولين على الاعناب فيكون الجنة من هذه الاشياء ويقوى ذلك قوله واقبل سيل جاء من امر الله فالحرد حرد الجنة المغلة والغلة انما
هى ما يكال بالقفيز فى اكثر الامر قال والصنوان فيما يذهب اليه ابو عبيدة صفة للنخل والمعنى انه يكون من اصل واحد ثم يتشعب من الرؤس
فيصير نخلا وتحليه قال وقال تسقى بماء واحد لانها تشرب من اصل واحد وتفضل بعضها على بعض فى الاكل وهى الثمر واجاز غيره ان يكون الصنوان
من صفة الجنات وكانه يكون يراد به فى المعنى ما فى الجنات وان جرى على لفظ الجنات وعلى هذا يجوز ان يرفع وان حذفت النخيل لان الجنات مرفوعة
ولم يجئ هذا فى قراءة السبعة واما الكسرة التى فى صنوان فليست التى كانت فى صنو كما ان الكسرة التى فى قنوان ليست التى فى قنو لان تلك قد حذفت
فى التكسير وعاقبتها الكسرة التى يجتلبها التكسير وكذلك الكسرة التى فى هجان وانت تريد الجمع ليست الكسرة التى كانت فى الواحد ولكنها مثل الكسرة
فى ظراف اذا جمعت عليه ظريفا واما من ضم الصاد من صنوان فانه جعله مثل ذئب وذؤبان وربما تعاقب فعلان وفعلان على البناء الواحد نحو
حشان وحشان واما صنوان بفتح الصاد فليست من امثلة الجمع المكسر فان صح ذلك فانه يكون اسما للجمع لا مثالا من امثلة التكسير فيكون بمنزلة
الجامل والباقر ومثله قولهم السعدان والضمران فى الجمع ومن قرا يسقى فالمراد تسقى هذه الاشياء ومن قرا بالياء حمله على الزرع وحده المعنى
لما ذكر سبحانه فى الآية من نعمائه وآياته على عباده فى رفع السموات وتسخير الشمس والقمر ودل بذلك على وحدانيته عقبه بذكر الارض وما فيها من
الآيات فقال وهو الذى مد الارض اى بسطها طولا وعرضا ليتمكن الحيوانات من النبات فيها والاستقرار عليها وجعل فيها رواسى اى جبالا
ثوابت لتمسك الارض ولو اراد ان يمسكها من غير جبال لفعل الا انه اسكنها بالرواسى لان ذلك اقرب الى افهام الناس وادعى لهم الى الاستدلال
والنظر وانهارا اى وشق فيها انهارا تجرى فيها المياه ولولا الانهار لضاع اكثر المياه ولما امكن الشرب والسقى ومن كل الثمرات جعل فيها من كل
زوجين اثنين اى وجعل فى الارض من كل الثمرات لملبسهم ومطعمهم صنفين اسود وابيض وحلوا وحامضا وصيفيا وشتويا ورطبا
ويابسا عن ابن عباس وقيل الزوج قد يكون واحدا وقد يكون اثنين يقال زوج بغل وزوج بغلين عن ابى عبيدة وانما قال اثنين للتاكيد والزوج
فى الحيوانات عبارة عن الذكر والانثى وفى الثمار عبارة عن لونين قال الماوردى ولهذا الزوجين ذكر وانثى كفحول النخل واناثها وكذلك كل النبات
وان خفى والزوج الآخر حلو وحامض اى عذب وملح او ابيض واسود او احمر واصفر فان كل جنس من النبات نوعين فصارت كل ثمرة نوعين
فهى اربعة انواع يغشى الليل النهار اى يلبس ظلمة الليل ضياء النهار عن الحسن وقيل يدخل الليل فى النهار والنهار فى الليل عن ابن عباس وقيل
معناه يأتى بالليل ليذهب بضياء النهار ويستره ولتسكن الحيوانات فيه ويأتى بضياء النهار ليمحو ظلام الليل وينصرف الناس فيه لمعايشهم

ان فی ذلك ای فیما سبق ذکره لآیات ای لدلالات واضحات علی وحدانیة الله تعالی لقوم یتفکرون فیها فیستدلون بها علی ان لهم صانعا وفی الارض قطع
متجاورات ای ابعاض متقاربات مختلفات فی التفاضل منها ما جبل صلب لا ینبت شیأ ومنها سهل حر ینبت ومنها سبخة لا ینبت عن ابن عباس
ومجاهد والضحاك بین الله سبحانه باختلاف هذه الارضین مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض فی الهیئة والمنظر انه قادر علی کل شیء من
الاصناف المختلفة والمؤتلفة وقیل انها متجاورات بعضها عامر وبعضها غیر عامر عن الزجاج وجنات ای وبساتین من اعناب وزرع ونخیل
صنوان ای نخیلات من اصل واحد وغیر صنوان ای نخلات من اصول شتی عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والصنو الاصل یقال هذا صنوه
ای اصله عن ابن الانباری وقیل ان الصنوان النخلة یکون حولها النخلات وغیر صنوان النخل المتفرقة عن البراء بن عازب وسعید بن جبیر وقیل
الصنو المثل والصنوان الامثال ومنه قوله صلى الله عليه وآله عم الرجل صنو ابیه عن الجبائی یسقی بماء واحد ای یسقی ما ذکرناه من القطع المتجاورة والجنات والنخیل
المختلفة بماء الانهار او بماء السماء ونفضل بعضها علی بعض فی الاکل ای ویفضل الله ومن قرأ بالنون فالمعنی ونفضل نحن بعضها علی بعض
فی الطعم واللون والطبع ان البزر واحد والشرب واحد والجنس حتی یکون بعضها حامض وبعضها حلوا وبعضها مر فلو کانت بالطبع لما
اختلفت الوانها وطعومها مع کون الارض والماء والهواء واحد وهذا اوضح دلالة علی ان لهذه الاشیاء صانعا قادرا احدثها وابدعها ودبرها
علی ما تقتضیه حکمته والاکل الثمر الذی یؤکل ان فی ذلك ای فی اختلاف الوانها وطعومها عن ابن عباس وقیل ان فیما تقدم ذکره لآیات
ای حججا ودلالات لقوم یعقلونه ودلایل الله تعالی ویتفکرون فیها ویستدلون بها وروی عن جابر قال سمعت النبی صلی الله علیه وآله یقول
لعلی ع الناس من شجر شتی وانا وانت من شجرة واحدة ثم قرأ وفی الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب قوله تعالی وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ
قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ۞ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۞ ٤

ثلث آیات عند الکوفی اربع عند غیرهم عدوا خلق جدید آیة القراءة قرأ ابو جعفر انا کنا بغیر استفهام ائنا بهمزة واحدة
مطولة وکذلك یفعل بکل استفهامین یجتمعان فی القرآن یستفهم بالثانی ولا یستفهم بالاول الا فی سورة الصافات والواقعة واما نافع ویعقوب
وسهل فانهم یستفهمون بالاولی بهمزة واحدة وغیر مطولة ولا یستفهمون بالثانی الا فی سورة النمل والعنکبوت الا ان قالون عن نافع یمدها
عن یعقوب یمدان الهمزة مثل ابی جعفر والکسائی ایضا یستفهم بالاول ولا یستفهم بالثانی الا فی سورة النمل غیر انه یهمز همزتین وابن عامر مثل
ابی جعفر لا یستفهم فی اذا کل القرآن الا فی سورة الواقعة فانه یستفهم فی ائذا وائنا جمیعا بهمزتین همزتین بینهما مدا انا یهمز ثم یمد ثم یهمز علی حدته
عاصما ولا یجمع بین استفهامین الا ههنا وفی سورة النمل یستفهم فی ائذا بهمزتین ائنا بنونین والکسائی مثله فی هذا الموضع وابو عمرو یستفهم فیهم
جمیعا وفی جمیع اشباهها بهمزة واحدة مطولة وابن کثیر یستفهم فیهما جمیعا بهمزة واحدة غیر مطولة وعاصم وحمزة وخلف یستفهمون فیهما بهمزتین
همزتین کل القرآن وخالف ابن کثیر وحفص عن عاصم فی حرف واحد فی العنکبوت وسنذکره هناك ان شاء الله الحجة قال ابو علی من استفهم
فی الجملتین فموضع اذا نصب بفعل مضمر یدل علیه قوله ائنا لفی خلق جدید لان هذا الکلام یدل علی نبعث ونحشر فکانه قال انبعث اذا کنا
ترابا ومن لم یدخل الاستفهام فی الجملة الثانیة کان موضع اذا نصبا بما دل علیه قوله انا لفی خلق جدید فکانه قال انبعث اذا کنا ترابا وما بعد ان
فی انه لا یجوز ان یعمل فیما قبله بمنزلة ایضا لا یعمل فیما قبلها ومن قرأ اذا کنا من غیر استفهام ائنا ینبغی ان یکون علی مضمر کما حمل من تقدم علی ذلك
لان ما بعد الاستفهام ینقطع مما قبله اللغة العجب والتعجب هجوم ما لا یعرف سببه علی النفس والغل طوق یشد به الید الی العنق و
الاستعجال طلب التعجیل بالامر والتعجیل تقدیم الامر قبل وقته والسیئة خصلة تسوء النفس ونقیضها الحسنة وهی خصلة تسر النفس و
المثلات العقوبات واحدتها مثله بفتح المیم وضم الثاء ومن قال فی الواحد مثله بضم المیم وسکون الثاء قال فی الجمع مثلات بضمتین نحو غرفة
وغرفات وقیل فی جمعها مثلات ومثلات ایضا قال الشاعر ولما رأونا بادیا رکباتنا علی موطن لا نخلط الجد بالهزل یعنی بفتح الکاف فی رکبات
المعنی لما تقدم ذکر الادلة علی انه سبحانه قادر علی الانشاء والاعادة عقبه بالتعجب من تکذیبهم بالبعث والنشور فقال وان تعجب
یا محمد من قول هؤلاء الکفار فی انکار البعث مع اقرارهم بابتداء خلق الخلق فقد وضعت التعجب موضعه لان هذا قول عجب ومعناه

عجب المخلوقين فان معنى العجب فى صفة الله تعم لا يجوز لان العجب الا يشتبه عليه سبب امر فيستطرفه فعجب قولهم اى فقولهم عجب أئذا كنا
ترابا ءانا لفى خلق جديد اى انبعث ونعاد بعد ما صرنا ترابا هذا مما لا يمكن وهذا منهم نهاية فى التعجب فان الماء اذا حصل فى الرحم استحال علقة
ثم مضغة ثم لحما واذا مات ودفن استحال ترابا فاذا جاز ان يتعلق للانشاء بالاستحالة الاولى فلم لا يجوز تعلقه بالاستحالة الثانيه ويحيى الله
سبحانه الاعادة خلقا جديدا واختلف المتكلمون فيما يصح عليه الاعادة فقال بعضهم كل ما يكون مقدورا لله سبحانه خاصة ويصح عليه البقاء
يصح عليه الاعادة ولا يصح الاعادة على ما يقدر على جنسه غيره تعم وهذا قول ابى على الجبائى وقال آخرون كل ما كان مقدورا له وهو مما يبقى
يصح عليه الاعادة وهو قول ابى هاشم ومن تابعه فعلى هذا يصح اعادة اجزاء الحيوان ثم اختلفوا فيما يجب اعادته من الحي فقال ابو القسم
البلخي يعاد جميع اجزاء الشخص وقال ابو هاشم يعاد الاجزاء التى بها يتميز الحي من غيره ويعاد التاليف ثم رجع عن ذلك وقال يعاد الحيوة مع
البنيه وقال القاضي ابو الحسن يعاد البنيه وما عدا ذلك يجوز فيه التبديل وهذا هو الاصح اولئك المنكرون للبعث الذين كفروا بربهم
اذ جحدوا قدرة الله تعم على البعث واولئك الاغلال فى اعناقهم فى الآخرة وقيل اراد به اغلال الكفر اى كفرهم اغلال فى اعناقهم واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون مضى تفسيره ويستعجلونك اى يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون بالسيئة قبل الحسنة اي بالعذاب قبل
الرحمة عن ابن عباس ومجاهد اى بالعقاب الذي توعدوا به على التكذيب قبل الثواب الذي وعدوا به على الايمان وذلك حين قالوا
فامطر علينا حجارة من السماء وقيل يستعجلونك بالعذاب الذي توعدهم به قبل الاحسان بالانظار فان انظار من وجب عليه العقاب
احسان اليه كانظار من عليه الدين وسماها سيئة لانها جزاء السيئة وقد خلت من قبلهم اى مضت من قبلهم المثلات اى العقوبات
التى يقع بها الاعتبار وهو ما حل بهم من المسخ والخسف والغرق وقد سلك هؤلاء طريقتهم فكيف يتجاسرون على استعجالها وقيل هى
العقوبة الفاضحة التى تسير بها الامثال وتقديره وقد خلت المثلات باقوام او خلا اصحاب المثلات فحذف المضاف وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب قال السيد المرتضى قدس الله روحه فى هذا دلالة على جواز المغفرة للمذنبين من اهل القبلة
لانه سبحانه دلنا على انه يغفر لهم مع كونهم ظالمين لان قوله على ظلمهم اشارة الى الحال التى يكونون عليها ظالمين ويجري ذلك مجرى قوله
القائل انا اود فلانا على غدره واصله على هجره وان ربك لشديد العقاب لمن استحقه وروى عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه
الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احد العيش ولولا وعيد الله وعقابه لاتكل كل احد وتلى يوما مطرف
هذه الآية فقال لو يعلم الناس قدر رحمة الله ومغفرة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت اعينهم ولو يعلم الناس قدر عذاب الله وبأس الله
ونكال الله ونقمة الله ما رقأ لهم دمع ولا قرت اعينهم بشيء ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه مثل الناقة والعصا عن ابن عباس
وقال الزجاج طلبوا غير الآيات التى اتاهم بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى فاعلم الله ان لكل قوم هاد والمعنى انه سبحانه من سوء طريقتهم
اقتراح الآيات كما فى قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله او تأتى بالله والملائكة قبيلا وكما قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا
حتى نأخذ منه ما نشاء وانما لم يظهر الله تلك الآيات لانه لو اجاب اولئك لاقترح قوم آخرون آية اخرى وكذلك كل كافر فكان يؤدي
الى غير نهاية انما انت منذر ولكل قوم هاد فيه اقوال احدها ان معناه انما انت منذر اى مخوف وهاد لكل قوم وليس عليك انزال الآيات
عن الحسن وابى الضحى وعكرمة والجبائى وعلى هذا فيكون انت مبتداء ومنذر خبره وهاد عطف على منذر وفصل بين الواو والمعطوف بالظرف
والثانى ان المنذر هو محمد صم والهادى هو الله تعم عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد والثالث ان معناه انما انت
منذر يا محمد ولكل قوم نبي يهديهم وداع يرشدهم عن ابن عباس فى رواية اخرى وقتادة والزجاج وابن زيد والرابع ان المراد بالهادي
كل داع الى الحق فى رواية اخرى عن ابن عباس قال لما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله انا المنذر وعلى الهادى من بعدى بك
يا على يهتدى المهتدون وروى الحاكم ابو القسم الحسكانى فى كتاب شواهد التنزيل بالاسناد عن ابرهيم بن الحكم بن مطهر عن ابيه عن
حكم بن حبيب وعن ابى بردة الاسلمي قال دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالطهور وعنده على بن ابى طالب عليه السلم فاخذ رسول الله صم
بيد علي بعد ما تطهر فالزقها بصدره ثم قال انما انت منذر ثم ردها الى صدر علي ثم قال ولكل قوم هاد ثم قال انك منارة الانام
وغاية الهدى وامير القراء اشهد على ذلك انه كذلك وعلى هذه الاقوال الثلثة يكون هاد مبتداء ولكل قوم خبره على قول سيبويه ويكون

مرتفعا بالظرف على قول الاخفش **قوله تعالى** الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب
والشهادة الكبير المتعال. سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له
وما لهم من دونه من وال ابع آيات القراءة في الشواذ قراءة ابي ابرهيم له معاقبة من بين يديه ورقيبا من خلفه يحفظونه من امر الله
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وروي عن ابي عبد الله عم له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بامر الله وروي
عن علي عم وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي يحفظونه بامر الله الحجة يجب ان يكون معاقيب تكسير معقبة غير انه لما حذف احد القافين عوض منها
الياء وقوله يحفظونه بامر الله فمعناه يحفظونه مما يحاذرونه بامر الله والمفعول ههنا محذوف قال ابن جني واما قراءة الجماعة يحفظونه من امر الله
فتقديره له معقبات من امر الله يحفظونه مما يخافه فمن على هذا مرفوعة الموضع لانها صفة للمرفوع الذي هو معقبات وليس على هذا معنى يحفظونه
من امر الله ان يدرأ به لانه لو كان كذلك لكانت منصوبة الموضع كقولك حفظت زيدا من الاسد والذي ذكرته راي ابي الحسن فان قلت فهلا كان
تقديره على يحفظونه من امر الله بامر الله ويستدل على ارادة الباء هنا بقراءة علي عم يحفظونه بامر الله وجاز ان يحفظوه بامر الله لان هذه المصايب
كلها في علم الله وباقداره واعلامه علينا فيكون هذا كقولك هربت من قضاء الله بقضاء الله قيل تاويل ابي الحسن اذهب في الاعتداد عليهم وذلك
انه سبحانه وكل بهم من يحفظهم من حوادث الدهر ومخاوفه التي لا يعتد عليهم بتسليطها عليهم فهذا اسهل طريقا واوضح في الاعتداد بالنعمة عليهم عرفا
اللغة الغيض ذهاب الماء في جهة العمق وغاضت المياه نقصت وغيضته نقصته قال غيض من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى
ولقينا والمتعالي والعالي واحد تعالى اي جل كل ثناء وقيل المتعالي المقتدر على وجه يستحيل ان يساويه غيره والسارب السائر الجاري
بسرعة والسرب بفتح السين والراء الماء السائل من المزادة قال ذو الرمة ما بال عينك منها الماء ينسكب كانه من كلى مفرية سرب وقيل السارب
الذاهب في الارض ومنه قول قيس بن الخطيم انى سربت وكنت غير سروب ويقال خل سربه اي طريقه والمعقبات المتناوبات التي يخلف كل
واحد منها صاحبه ويكون بدلا منه واصل التعقيب ان يكون الشيء عقيب آخر والمعقب المطالب دينه مرة بعد مرة قال الشاعر حتى تهجر
في الرواح وهاجه طلب المعقب حقه المظلوم ومنه العقاب لانه يستحق عقيب الجرم والعقاب لانه يعقب الصيد بطلبه مرة بعد مرة
وقيل ان واحد المعقبات معقب والجمع معقبة ومعقبات جمع الجمع كما قالوا رجالات عن الفراء الاعراب ما في قوله ما تحمل وما تغيض وما
تزداد استفهامية وموضعها النصب بالفعل الذي بعدها معناه اي شيء تحمل والجملة معلقة بيعلم قال الزجاج سواء منكم من اسر القول
ومن جهر به موضع من رفع بسواء وكذلك من الثاني يرتفعان جميعا بسواء لان سواء يطلب اثنين يقول سواء زيد وعمرو في معنى ذوا
سواء لان سواء مصدر فلا يجوز ان يرتفع ما بعده الا على الحذف تقول عدل زيد وعمرو والمعنى ذوا عدل زيد وعمرو لان المصادر ليست
باسماء الفاعلين وانما ترفع الاسماء اوصافها فاذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي
اقبال وادبار اي ذات اقبال وادبار كذلك زيد اقبال وادبار وهذا مما كثر استعماله اعني سواء فجرى مجرى اسماء الفاعلين ويجوز ان يرتفع على ان
يكون في موضع مستو الا ان سيبويه يستقبح ذلك ولا يجيز مستو زيد وعمرو لان اسماء الفاعلين عنده اذا كانت نكرة لا يبتدأ بها لضعفها
عن الفعل فلا يبتدأ بها ويجري مجرى الفعل المعنى الله يعلم ما تحمل كل انثى اي يعلم حمل كل انثى ما في بطن كل حامل من ذكر وانثى تام او غير تام
ويعلم لونه وصفاته وما تغيض الارحام اي يعلم الوقت الذي يغيضه الارحام من المدة التي هي تسعة اشهر وما تزداد على ذلك عن اكثر المفسرين
قال الضحاك الغيض النقصان من الاجل والزيادة ما تزداد على الاجل وذلك ان النساء لا يلدن لاجل واحد وقيل يعني بقوله ما تغيض
الارحام الولد الذي تاتي به المرأة لاقل من ستة اشهر وما تزداد الولد الذي تاتي به لاقصى مدة الحمل عن الحسن وقيل معناه ما تنقص الارحام من
دم الحيض وهو انقطاع الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع عن ابن عباس بخلاف وابن زيد وكل شيء اي وكل شيء من الرزق والاجل
او ما سبق ذكره من الحمل عنده بمقدار اي بقدر واحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه على ما توجبه الحكمة عالم الغيب والشهادة اي عالم بما غاب
عن حس العباد وبما يشاهده العباد لا يغيب عنه شيء وقيل عالم بالمعدوم والموجود والغيب هو المعدوم وقيل عالم السر والعلانية
عن الحسن والاولى ان يحمل على العموم ويدخل في هاتين الكلمتين كل معلوم نبه سبحانه بذلك على انه عالم بجميع المعلومات الموجودات

عشر

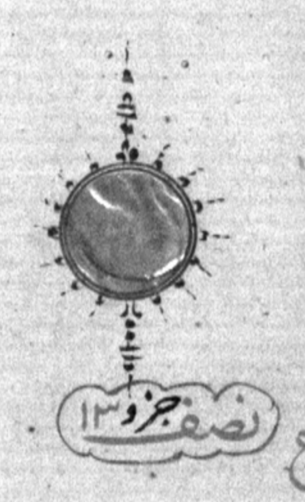
منها

منها والمعدومات الكبير وهو السيد الملك القادر على جميع الاشياء وقيل هو الذي كل شيء دونه لكمال صفاته ولكونه عالما لذاته قادرا لذاته
حيا لذاته وقيل هو الذي كبر عن شبه المخلوقين المتعال وهو الذي علا كل شيء بقدرته فلا يساويه قادر وقيل هو المنزه عما لا يجوز عليه في
ذاته وفعله وعما يقول المشركون سواء منكم من اسر القول ومن جهر به معناه سواء عند الله وفي علمه من اسر القول في نفسه واخفاه ومن
اعلنه وابداه ولم يضمره في نفسه ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار اي ومن هو مستتر متوار بالليل ومن هو سالك في سربه اي في
مذهبه ماض في حوائجه بالنهار معناه انه يرى ما اخفاه ظلمة الليل كما يرى ما اظهره ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفى عليهم الليل
احوال اهله وقال الحسن معناه ومن هو مستتر في الليل ومن هو مستتر في النهار وصحح الزجاج هذا القول لان العرب تقول انسرب الوحش
اذا دخل في كناسه له معقبات اختلف في الضمير الذي في له على وجوه احدها انه يعود الى من في قوله من اسر القول ومن جهر به والآخر انه يعود
الى اسم الله تعالى وهو عالم الغيب والشهادة وثالثها انه يعود الى النبي صلى الله عليه وآله في قوله انما انت منذر عن ابن زيد واختلف في
المعقبات على اقوال احدها انها الملائكة يتعاقبون تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار ملائكة الليل وهم الحفظة يحفظون
على العبد عمله عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والجبائي وقال الحسن هم اربعة املاك يجتمعون عند صلوة الفجر وهو قوله ان قرآن
الفجر كان مشهودا وقد روي ذلك عن الائمة عليهم السلم والثاني انهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به الى المقادير فيخلون بينه
وبين المقادير عن علي عم وابن عباس وقيل هم عشرة املاك على كل آدمي يحفظه والثالث انهم الامراء والملوك في الدنيا الذين يمنعون الناس
عن المظالم ويكون لهم الاحراس والشرط والمواكب يحفظونه عن عكرمة والضحاك وروي ايضا عن ابن عباس وتقديره ومن هو سارب
بالنهار له احراس واعوان وقد انهم يحرسونه ولم ينجه احراسه من الله تعالى من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اي يطوفون به كما
تطوف الملائكة بالحفظ وقيل يحفظون ما تقدم من عمله وما تاخر الى ان يموت فيكتبونه عن الحسن وقيل يحفظونه من وجوه المهالك و
المعاطب ومن الجن والانس والهوام وقال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فاذا جاء المقدور بطل الحفظ وقيل من امر الله اي بامر الله عن الحسن
ومجاهد والجبائي وروي ذلك عن ابن عباس وهذا كما يقال هذا الامر من تدبير فلان وبتدبير فلان وقيل معناه يحفظونه عن خلق الله فيكون
من بمعنى عن كما في قوله وآمنهم من خوف اي عن خوف قال كعب لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم
الجن ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة حتى والحال الجميلة حتى يغيروا ما بانفسهم من الطاعة فيعصون ربهم ويظلم بعضهم بعضا قال ابن عباس
اذا انعم الله على قوم نعمة فشكروها زادهم واذا كفروها سلبهم والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عم بقوله اذا اقبلت عليكم اطراف النعم فلا تنفروا
اقصاها بقلة الشكر واذا اراد الله بقوم سوء اي عذابا وانما سماه سوء لانه يسوء فلا مرد له اي فلا مدفع له وقيل معناه واذا اراد الله بقوم
بلاء من مرض وسقم فلا مرد لبلائه وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع العذاب عنهم النظم اتصلت الآية الاولى بقوله وان تعجب
الاية فانه احتجاج للبعث والمعنى ان من كان بهذه الصفة في القدرة والعلم فانه يقدر على البعث وقيل انها اتصلت بقوله ويستعجلونك
بالسيئة وقوله لولا انزل عليه آية من ربه يعني ان من يعلم غوامض الامور فهو اعلم بالمصالح ولو علم الصلاح في انزال العذاب او الاية لفعل
عن البلخي وابي مسلم وقوله له معقبات يتصل بقوله وسارب بالنهار عن الجبائي وقيل يتصل بقوله عالم الغيب والشهادة ويعلم ما تحمل كل انثى
اي كما يعلمهم جعل عليهم حفظة يحفظونهم وقيل يتصل بقوله عالم الغيب والشهادة وانما انت منذر يعني انه عم محفوظ بالملائكة
واتصل قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما انت منذر الى آخره بقوله ويستعجلونك بالعذاب يعني انه لا ينزل العذاب
الا بمن يعلم من جهتهم التغيير حتى لو علم ان فيهم من يؤمن في المستقبل او يعقب مؤمنا لا ينزل العذاب وقيل بل اتصل بالسارب بمعنى انه
اذا اتى بالمعصية بطل حفظه وحاق به عقابه وقيل بل هو على الاطلاق والعموم قوله تعالى هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ
السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ
الْمِحَالِ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا
دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ● وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
اربع آيات القراءة في الشواذ قراءة الاعرج شديد المحال بفتح الميم وقراءة ابي مجلز بالغدو والاصال الحجة قال ابن جني المحال مفعل من الحيلة

قال ابو زيد يقال ما له حيلة ولا محالة فيكون تقديره شديد الحيلة ويفسره قوله سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقوله ومكروا ومكر الله
والآصال مصدر آصلنا والمعنى دخلنا في وقت الاصيل ونحن موصلون. اللغة يقال اراه يريه اراءة وهو ان يجعله على صفة الرؤية بالاظهار
المرئي له او يجعله على صفة يرى والسحاب جمع سحابة ولذلك قال الثقال ولو قال الثقيل لجاز والصواعق جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء
والبرق والرعد ذكرناهما في اول البقرة والمحال الاخذ بالعقاب ههنا يقال ماحله مماحلة ومحالا اذا قاواه حتى يتبين ايهما اشد ومحلت برجل
قال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والاستجابة والاجابة بمعنى غير ان للاستجابة معنى الطلب قال فلم يستجبه
عند ذاك مجيب والظلال جمع ظل وهو ستر الشخص ما بازائه والظل الظليل هو ستر الشمس اللازم واما الفيء فهو الذي يرجع بعد ذهاب ضوء
منه الظلمة لسترها والآصال جمع أُصُل وأصل جمع اصيل فهو جمع الجمع ماخوذ من الاصل فكانه اصل الليل الذي ينشاء منه وهو ما بين العصر
الى مغرب الشمس وقد يقال في جمعه اصائل قال ابو ذويب لعمري لانت البيت اكرم اهله واقعد في افنائه بالاصائل. الاعراب خوفا وطمعا
لا ينتصبان على الغرض لانه ما ينتصب لذلك يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل الاول واحدا وههنا الخائف والطامع ليسا بالذي يرى
البرق وههنا في قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا ينتصبان على الغرض لان الخائف والطامع هناك هو الداعي فاعله فانه جيد مفيد والمعنى ههنا
يخوفكم لما يريكم خوفا ويطمعكم طمعا والمصدر وقع موقع الحال وهم يجادلون في الله جاز ان يكون هذه الواو واو الحال اي يصيب بها من يشاء
في حال جدالهم في الله لانه جاء في التفسير ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وآله فجادله فقال يا محمد مم ربك امن نحاس ام من حديد ام
لؤلؤ ام ياقوت ام ذهب ام فضة فارسل الله عليه صاعقة اذهبت بقحفه وهو قول انس بن مالك ومجاهد ويجوز ان يكون لما تمم الله
اوصاف ما يدل على توحيده ومقدرته قال بعد ذلك وهم يجادلون والكاف من قوله كباسط كفيه يتعلق بصفة مصدر تقديره الا استجابة
كاستجابة باسط كفيه الى الماء الماء هذا اذا كان الكاف حرفا وان كان اسما محضا فالتقدير الا استجابة مثل استجابة باسط كفيه الى
الماء للماء فلا يكون في الكاف ضمير اي كما يستجيب الماء باسط كفيه اليه واللام في قوله ليبلغ فاه يتعلق بباسط كفيه وما هو ببالغه اي ما الماء ببالغ
فاه وقيل ما فوه ببالغ الماء وقيل مما باسط كفيه الى الماء ببالغ الماء وطوعا وكرها مصدران وضعا موضع الحال. المعنى ثم اخبر سبحانه عن
كمال قدرته فقال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا اي تخويفا واطماعا فاقام الخوف والطمع مقام التخويف والاطماع وذكر فيه وجوه
احدها ان المعنى خوفا من الصواعق التي تكون معها وطمعا في الغيث الذي يزيل القحط عن الحسن وابي مسلم والثاني خوفا للمسافر من ان يضل
الطريق فلا يمكنه المسير وطمعا للمقيم في نمو الزرع والخير الكثير عن قتادة والضحاك والجبائي والثالث خوفا لمن يخاف ضرر المطر لانه ليس كل بلد
ينتفع فيه بالمطر وطمعا لمن يرجو الانتفاع به عن الزجاج وينشئ السحاب الثقال اي ويخلق السحاب الثقال بالماء يرفعها من الارض فيجريها
في الجو ويسبح الرعد بحمده وتسبيح الرعد دلالته على تنزيه الله تعالى ووجوب حمده فكانه هو المسبح وقيل ان الرعد هو الملك الذي يسوق السحاب
ويزجره بصوته فهو يسبح الله تعالى ويحمده وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان ربكم سبحانه يقول لو ان عبادي اطاعوني لاسقيتهم
المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولا اسمعتهم صوت الرعد وكان ص اذا سمع صوت الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وكان
ابن عباس يقول سبحان الذي سبحت له وروى سالم بن عبد الله عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا سمع الرعد والصواعق
قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقيل ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده و
الملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلى ديته والملائكة من خيفته الله تعالى وخشيته قال ابن عباس انهم خائفون
من الله ليس كخوف ابن آدم لا يعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغلهم عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء ويصرفها عن يشاء [illegible] وروي عن ابي جعفر الباقر ع ان الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب
ذاكرا وهم يجادلون في الله يعني ان هؤلاء الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون اهل التوحيد ويجادلون فيه ليفتلوهم عن مذهبهم بجدالهم
لان معنى الجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وروى الكلبي عن ابي صالح قال ابن عباس انزل بذلك اربد بن قيس اخا لبيد بن ربيعة
العامري لامه وعامر بن الطفيل وذلك انهما اتيا النبي صلى الله عليه وآله يجادلانه ويريدان الفتك به وكان عامر اوصى الى اربد اذا رايتني اكلمه
فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله ص ويراجعه الكلام فدار اربد خلف رسول الله ص ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم

حبسه الله عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومى اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله فرأى اربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فى يوم صاح صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملأنها عليك خيلا
جردا وفتيانا مردا فقال عليه السلام يمنعك الله من ذلك فنزل بيت امرأة من سلول وخرج على ركبته فى الوقت غدة عظيمة
فكان يقول اغدة كغدة البعير وموتا فى بيت سلولية حتى قتلته وفى ذلك يقول لبيد بن ربيعة يرثى اخاه اربد اخشى على اربد الحتوف ولا
ارهب نوء السماك والاسد فجعنى البرق والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد وهو شديد المحال اى شديد الاخذ عن على عليه السلام وقيل شديد القوة
عن قتادة ومجاهد وقيل شديد النقمة عن الحسن وقيل شديد القدرة والعذاب عن الزجاج وقيل شديد الكيد للكفار عن الجبائى له دعوة
الحق اى لله سبحانه دعوة الحق واختلف فى معنى دعوة الحق ومن دعاه دعاء الحق عن الحسن والثالث انها الدعوة التى يدعو الله بها على اخلاص
التوحيد عن الجبائى والمعنى ان من دعاه على جهة الاخلاص فهو يجيبه فله سبحانه من خلقه الدعوة الحق والذين يدعون من دونه اى والذين
يدعوهم المشركون من دون الله الهة لحاجاتهم من الاوثان وغيرها لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه هذا مثل ضربه
الله تعم لكل من عبد غير الله ودعاه رجاء ان ينفعه يقول ان مثله كمثل رجل بسط كفيه الى الماء من مكان بعيد ليتناوله ويسكن به غلته وذلك الماء
لا يبلغ فاه لبعد المسافة بينهما فكذلك ما كان يعبده المشركون من الاصنام لا يصل نفعها اليهم ولا يستجيب دعاهم عن ابن عباس وقيل كباسط كفيه
الى الماء اى كالذى يدعو الماء بلسانه ويشير اليه بيده فلا يأتيه الماء عن مجاهد وقيل كالذى يبسط كفيه الى الماء فمات قبل ان يبلغ الماء فاه عن الحسن
وقيل انه تمثل العرب لمن يسعى فيما لا يدركه فيقول هو كالقابض على الماء عن ابى عبيدة والبلخى وابى مسلم قال الشاعر فاصبحت مما كان بينى وبينها من الود
مثل القابض الماء باليد وقال آخر فانى واياكم وشوقا اليكم كقابض ماء لم تسعه اناملة وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اى ليس دعائهم الاصنام من
دون الله الا فى ذهاب عن الحق والصواب وقيل فى ضلال عن طريق الاجابة والنفع ثم بين سبحانه كمال قدرته وسعة مملكته فقال ولله يسجد من فى
السموات والارض يعنى الملائكة وسائر المكلفين طوعا وكرها اختلف فى معناه على قولين احدهما ان معناه انه يجب السجود لله تعم الا ان المؤمن
يسجد له طوعا والكافر يسجد له كرها بالسيف عن الحسن وقتادة وابن زيد والثانى ان المعنى ولله يخضع من فى السموات والارض الا ان المؤمن
يخضع له طوعا والكافر يخضع له كرها لانه لا يمكنه ان يمتنع عن الخضوع لله تعالى لما يحل به من الآلام والاسقام عن الجبائى وظلالهم اى ويسجد ظلالهم
لله بالغدو والآصال اى العشيات قيل المراد بالظل الشخص فان من يسجد يسجد معه ظله قال الحسن يسجد ظل الكافر ولا يسجد الكافر ومعناه عند
اهل التحقيق انه يسجد شخصه دون قلبه لانه لا يريد بسجوده عبادة ربه من حيث انه يسجد للخوف وقيل ان الظلال على ظاهرها والمعنى فى سجودها
تمايلها من جانب الى جانب وانقيادها للتسخير بالطول والقصر قوله تعالى **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا
كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** آية فى الكوفى آيتان مدنى وبصرى ثلث آيات شامى لم يعد الكوفى
الظلمات والنور وعد الشامى وحده الاعمى والبصير القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص ام هل يستوى الظلمات بالياء والباقون بالتاء الحجة
من قرا بالتاء فلانه مسند الى مؤنث لم يفصل بينه وبين فاعله بشىء كقوله وقالت اليهود وقالت الاعراب وقد جاء فى مثل ذلك التذكير كقوله وقال
نسوة ومن قرا بالياء فلانه مؤنث غير حقيقى المعنى لما بين سبحانه فى الآية الاولى انه المستحق للعبادة وان له يسجد من فى السموات والارض عقبه
بما يجرى مجرى الحجة على ذلك فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار من رب السموات والارض اى مدبرهما ومصرفهما على ما فيهما من البدايع فاذا استعجم
عليهم الجواب ولا يمكنهم ان يقولوا الاصنام قل انت لهم رب السموات والارض وما بينهما من انواع الحيوان والنبات والجماد الله فاذا اقروا
بذلك قل لهم على وجه التبكيت والتوبيخ لفعلهم افاتخذتم من دونه اولياء توجهون عبادتكم اليهم فالصورة صورة الاستفهام والمراد به
التقريع ثم بين ان هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ومن لا يملك لنفسه ذلك فاولى واحرى ان لا يملك
لغيره ومن كان كذلك فكيف يستحق العبادة واذا قيل كيف يكون هو السائل والمجيب والملزم بقوله افاتخذتم من دونه اولياء فالجواب انه اذا كان
المقصود بالحجاج ما بينه من بعد لم يمتنع ذلك فكانه قال الله خالق فلما اتخذتم من دونه اولياء ولان الامر الظاهر الذى لا يجيب الخصم الا به لا
يمتنع ان يبادر السائل الى ذكره ثم يورد الكلام عليه تفاديا من التطويل ويكون تقدير الكلام اليس الله رب السموات والارض فلم اتخذتم

من دونه اوليآء ثم ضرب سبحانه لهم مثلا بعد الزام الحجة فقال قل هل يستوى الاعمى والبصير اى كما لا يستوى الاعمى والبصير كذلك لا يستوى
المؤمن والكافر لان المؤمن يعمل على بصيرة ويعبد الله الذي يملك النفع والضر والكافر يعمل على عمى ويعبد من لا يملك النفع والضر ثم زاد فى الايضاح
فقال ام هل تستوى الظلمات والنور اى ام هل يستوى الكفر والايمان او الضلالة والهدى او الجهل والعلم ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه اي
هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء فى العبادة خلقوا خلقا مثل خلق الله تعالى من الاجسام والالوان والطعوم والارايح والقدرة والحيوة وغير
ذلك من الافعال التى يختص سبحانه بالقدرة عليها فتشابه الخلق عليهم اى فاشتبه لذلك عليهم ما الذى خلقه الله وما الذي خلق الاوثان فظنوا
ان الاوثان تستحق العبادة لان افعالها مثل افعال الله تعالى فاذا لم يكن ذلك مشتبها اذ كان ذلك كله لله لم يبق شبهة انه لا اله الا يستحق العبادة
سواه فقل لهم الله خالق كل شيء يستحق به العبادة من اصول النعم وفروعها وهو الواحد ومعناه انه يستحق من الصفات ما لا يستحقها غيره فهو قديم لذاته
قادر لذاته عالم لذاته حي لذاته غنى لا مثل له ولا شبيه وقيل الواحد هو الذى لا يتجزى ولا يتبعض وقيل هو الواحد فى الالهية لا ثانى له فى القدم
القهار الذي يقهر كل قاهر سواه ولا يمتنع عليه شيء واستدلت المجبرة بقوله تعالى خالق كل شيء على ان افعال العباد مخلوقة لله لان ظاهر العموم
يقتضى دخول افعال العباد فيه بقوله ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه قالوا لانه انكر ان يكون خالق يخلق كخلقه واجيبوا عن ذلك بان الآية وردت
حجة على الكفار اذ لو كان المراد ما قالوا لكان فيها حجة لهم على الله لانه اذا كان الخالق لعبادتهم الاصنام هو الله فلا يتوجه التوبيخ الى الكفار
ولا يلحقهم اللوم بذلك بل يكون لهم ان يقولوا انك خلقت فينا ذلك فلم توبخنا على فعل فعلته فينا فتبطل حينئذ فايدة الآية وايضا فان الكراميات
لا يطلقون على غيره تعالى ان يخلق اصلا فضلا ان يقولوا انه يخلق كخلق الله ولكن يقولون ان العباد يفعلون ويحدثون ومعنى الخلق
عندهم الاختراع ولا يقدر العباد عليه ومن جوز منهم اطلاق لفظ الخلق فى افعال العباد فانه يقول انه سبحانه انما نفى ان يكون احد يخلق مثل
خلقه ونحن لا نقول ذلك لان خلق الله اختراع وابداع وافعال غيره مفعوله فى محل القدرة عليها مباشرا او متولدا فى الغير بسبب حال فى
محل القدرة ولا يقدر على اختراع الافعال فى الغير على وجه من الوجوه الا الله سبحانه الذي ابدع السموات والارض وما فيهما من اجناس
من الاعراض التى لا يقدر عليها غيره فكيف يشبه الخلق مع التمييز الظاهر على ان عندهم كل حركة هى كسب للعبد وفعل لله تعالى ولا تمييز فقد حصل
التشابه هنا ونحن نقول ان احدنا يفعل بقدرة محدثة يفعلها الله تعالى فيه والله يفعل لكونه قادرا لذاته فالفرق والتمييز ظاهر فعلمنا ان
المراد بقوله خالق كل شيء ما قدمناه من انه خالق كل شيء يستحق بخلقه العبادة قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل
السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد
فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا
له لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأويهم جهنم وبئس المهاد آيتان القراءة
قرا اهل الكوفة الا ابا بكر يوقدون بالياء والباقون بالتاء الحجة قال ابو على من قرا بالتاء فلما قبله من الخطاب وهو قوله قل افاتخذتم ويجوز
ان يكون خطابا عاما يراد به الكافر كان المعنى ومما يوقدون عليه الموقدون زبد مثل زبد الماء الذي يحمله السيل ومن قرا بالياء فلان ذكر
الغيبة قد تقدم فى قوله ام جعلوا لله شركاء ويجوز ان يراد به جميع الناس ويقوى ذلك قوله واما ما ينفع الناس فكما ان الناس يعم المؤمنين
والكافرين فكذلك الضمير فى يوقدون قال ومما يوقدون عليه فى النار يحتمل الظرف متعلقا بيوقدون لانه قد يوقد على ما ليس فى النار
فاوقد لى يا هامان على الطين فهذا ايقاد على ما ليس فى النار وان كان يلحقها وهجها ولهبها اللغة الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي
يجتمع فيه ماء المطر ومنه اشتقاق الدية لانه جمع المال العظيم الذي يودي عن القتيل والقدر اقتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان والوزن
يزيد وينقص فاذا كان مساويا فهو القدر وقرأ الحسن بقدرها بسكون الدال وهما لغتان يقال اعطى قدر شبر وقدر شبر والمصدر بالتخفيف
لا غير وهم يختصمون فى القدر بالسكون والحركة قال الا يا لقوم للنوايب والقدر وللامر يأتى المرء من حيث لا يدرى والاحتمال رفع الشيء على الظهر
بقوة الحامل له ويقال علا صوته على فلان فاحتمله ولم يغضبه والزبد وضر الغليان وهو خبث الغليان ومنه زبد القدر وزبد السيل والجفاء
ممدود مثل الغثاء واصله الهمزة يقال جفا الوادي جفاء قال ابو زيد يقال جفأت الرجل اذا صرعته واجفأت القدر زبدها اذا القيت زبدها
عنها قال الفراء كل شيء ينضم بعضه الى بعض فانه يجيء على فعال مثل الحطام والقماش والغثاء والجفاء والايقاد القاء الحطب فى النار واستوقدت



نصف جزو ١٣

النار واتقدت وتوقدت والمتاع ما تمتعت به والمكث الكون في المكان على مرور الزمان يقال مكث وتمكث اي تلبس الاعراب قال جامع العلوم
البصير قوله في النار متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله عليه اي ومما يوقدون عليه ثابتا في النار ابتغاء حلية اي مبتغين حليه فهو
مصدر في موضع الحال من الضمير في توقدون ولا يجوز ان يكون قوله في النار من صلة يوقدون لان المعنى ليس على ذلك فالمعنى انهم يوقدون على
الذهب في حال كونه في النار فافهمه من كلام ابي علي ولم يهتد اليه غيره وقوله زبد مبتداء ومثله نعت والظرف الذي هو قوله مما توقدون خبره
على قول سيبويه وهو مرتفع بالظرف على قول الاخفش وموضع جفاء نصب على الحال اي يذهب على هذه الحالة قال الشاعر اذا اكلت سمكا
وفرضا ذهبت طولا وذهبت عرضا اي ذهبت على هذه الحالة والفرض نوع من التمر المعنى ثم ضرب سبحانه مثلين للحق والباطل احدهما
الماء وما يعلوه من الزبد والاخر ما يوقد عليه النار من الذهب والفضة وغيرهما وما يعلوه من الزبد على مراتبه فقال انزل من السماء ماء اي
مطرا فسالت اودية بقدرها يعني فاحتمل الانهار الماء كل نهر بقدره الصغير على قدر صغره والكبير على قدر كبره فسال كل نهر بقدره عن الحسن
وقتادة والجبائي وقيل بقدرها بما قدر لها من ملئها عن الزجاج فاحتمل السيل زبدا رابيا اي صافيا عاليا فوق الماء شبه سبحانه الحق والاسلام
بالماء الصافي النافع للحق والباطل بالماء الزبد الذاهب باطلا وقيل انه مثل القرآن النازل من السماء ثم يحتمل القلوب حظها من اليقين
والشك على قدرها فالماء مثل لليقين والزبد مثل للشك عن ابن عباس ثم ذكر المثل الآخر فقال ومما توقدون عليه في النار وهو الذهب والفضة
والرصاص وغيره مما يذاب ابتغاء حليه اي طلب شيء يتخذ منه كالذهب والفضة او متاع معناه او ابتغاء متاع ينتفع به وهو مثل جواهر الارض
يتخذ منها الاواني وغيرها زبد مثله اي مثل زبد الماء فان هذه الاشياء التي تستخرج من المعادن ويوقد عليها النار ليتميز الخالص من الخبث لها ايضا
زبد وهو خبثها كذلك يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق والباطل وضرب المثل تسييره في البلاد حتى يتمثل به الناس فاما الزبد فيذهب
جفاء اي باطلا متفرقا بحيث لا ينتفع به واما ما ينفع الناس وهو الماء الصافي والاعيان التي ينتفع بها فيمكث في الارض فينتفع به الناس مثل
المؤمن واعتقاده كمثل هذا الماء المنتفع به في نبات الارض وحيوة كل شيء به وكمثل نفع الفضة والذهب وساير الاعيان المنتفع بها ومثل الكافر
وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء وكمثل خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الذهب والفضة الذي لا ينتفع به كذلك يضرب الله
الامثال للناس في امر دينهم قال قتادة هذه ثلثة امثال ضربها الله تعالى في مثل واحد شبه نزول القرآن بالماء الذي ينزل من السماء وشبه القلوب
بالاودية والانهار فمن استقصى في تدبره وتفكر في معانيه اخذ حظا عظيما منه كالنهر الكبير الذي يأخذ الماء الكثير ومن رضي بما اداه الى التصديق
بالحق على الجملة كان اقل حظا منه كالنهر الصغير فهذا مثل شبه خطرات القلوب ووساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء وذلك من
حيث السيل لا عين الماء كذلك ما يقع من النفس من الشكوك فمن ذاتها لا من ذات الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفوة الماء كذلك
يذهب مخايل الشك هباء باطلا ويبقى الحق فهذا مثل ثاني والمثل الثالث قوله ومما توقدون عليه في النار الى آخره فالكفر مثل هذا الخبث الذي
لا ينتفع به والايمان مثل الصافي الذي ينتفع به تم الكلام عند قوله يضرب الله الامثال ثم استانف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى عن الحسن
والبلخي وقيل بل يتصل بما قبله لان معناه ان الذي يبقى مثل الذين استجابوا والذي يذهب جفاء مثل الذي لا يستجيب والمراد به الذين اجابوا
دعوة الله وآمنوا به واطاعوه الحسنى وهي الجنة عن الحسن والجبائي وقيل معناه الخصلة الحسنى وهي صفة الثواب والجنة ايضا عن ابي مسلم والذين
لم يستجيبوا له الله فلم يرضوا به لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اي يجعلوا ذلك فدية انفسهم من العذاب لو قبل ذلك منهم
اولئك لهم سوء الحساب فيه اقوال احدها ان سوء الحساب اخذهم بذنوبهم كلها من دون ان يغفر لهم شيء منها عن ابرهيم النخعي ويؤيد ذلك
ما جاء في الحديث من نوقش الحساب عذب فيكون سوء الحساب المناقشة والثاني ان يحاسبوا للتقريع والتوبيخ فان الكافر يحاسب على هذا
الوجه والمؤمن يحاسب بيسر بما وعد الله تعم له عن الجبائي والثالث هو ان لا يقبل لهم حسنة ولا يغفر له سيئة عن الزجاج وروي ذلك عن
ابي عبد الله ع والرابع ان سوء الحساب هو سوء الجزاء فسمى الجزاء حسابا لان فيه اعطاء المستحق حقه ومأويهم جهنم اي مصيرهم الى جهنم
وبئس المهاد اي وبئس ما مهد لانفسهم والمهاد الفراش الذي يوطأ لصاحبه وسمى النار مهادا لانه موضع المهاد لهم قوله تعالى
أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ● الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ●
وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ● وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

عشر

وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار * جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

ست آيات اللغة الالباب العقول ولب الشيء اجل ما فيه واخلصه واجوده فلب الانسان عقله لانه اجل ما فيه ولب النخلة قلبها والميثاق العهد الواقع على احكام والوصل ضم الثاني الى الاول من غير فاصله والخوف والخشيه والفزع نظاير وهو انزعاج النفس بما لا تأمن من الضرر والسوء ورود ما يشق على النفس والحساب احصاء ما على العامل وله وهو ههنا احصاء ما على المجازي وله والسر اخفاء المعنى فى النفس ومنه السرور لانه لذة تحصل فى النفس ومنه السرير لانه مجلس سرور والدرء الدفع والعدن الاقامة الطويلة عدن بالمكان يعدن عدنا ومنه المعدن والصلاح استقامة الحال والمصلح من فعل الصلاح الذى يدعوا اليه العقل او الشرع والصالح المستقيم الحال فى نفسه والعقبى فعلى من العاقبة وهى الانتهاء الذي يؤدى اليه الابتداء من خير او شر الاعراب موضع الذين يوفون رفع لانه صفة لقوله اولوا الالباب وقيل انه صفه لمن يعلم وابتغاء نصب لانه مفعول له وجنات عدن بدل من عقبى ومن صلح موضعه رفع عطفا على الواو فى قوله يدخلونها وجاز ان يكون نصبا بانه مفعول معه كما تقول قد دخلوا وزيدا اى مع زيد والباء فى قوله بما صبرتم يتعلق بمعنى سلام لانه دل على السلامه لكم بما صبرتم ويحتمل ان يتعلق بمحذوف على تقدير هذه الكرامة لكم بما صبرتم وما فى قوله بما صبرتم مصدرية تقديره بصبركم وقيل انه بمعنى الذي كانه قال بالذي صبرتم على فعل طاعاته وتجنب معاصيه المعنى ثم بين سبحانه الفرق بين المؤمن والكافر فقال افمن يعلم انما انزل اليك يا محمد من ربك الحق كمن هو اعمى عنه اخرج الكلام مخرج الاستفهام والمراد به الانكار اى لا يكونا مستويين فان الفرق بينهما هو الفرق بين الاعمى والبصير لان المؤمن يبصر ما فيه رشده فيتبعه والكافر يتعامى عن الحق فيتبع ما فيه هلاكه انما يتذكر اولوا الالباب اى انما يفكر فيه ويستدل به ذووا العقول والمعرفة قال على بن عيسى وفى هذا حث على طلب العلم والالتزام له لانه اذا كانت حال الجاهل كحال الاعمى وحال العالم كحال البصير وامكن هذا الاعمى ان يستفيد بصرا فما الذى يقعده عن طلب العلم الذي يخرجه عن حال العمى بالجهل الى حال البصير الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق اى يؤدون ما عهد الله اليهم والزمهم اياه عقلا وسمعا فالعهد العقلي ما جعله فى عقولهم من اقتضاء صحة امور وفساد امور اخر كاقتضاء الفعل الفاعل وان الصنايع لا بد ان يرجع الى صانع غير مصنوع والا ادى الى ما لا يتناهى وان للعالم لا يشبهه والعهد الشرعي ما اخذه النبي صلى الله عليه وآله على المؤمنين من الميثاق المؤكد باليمين ان يطيعوه ولا يعصوه ولا يرجعوا عما التزموه من اوامر شرعه ونواهيه وانما كرر ذكر الميثاق وان دخل جميع الاوامر والنواهي فى لفظة العهد لئلا يظن ظان ان ذلك خاص فيما بين العبد وربه فاخبر ان ما بينه وبين العباد من المواثيق كذلك فى الوجوب واللزوم وقيل انه كرره تاكيدا والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل قيل المراد به الايمان بجميع الرسل والكتب كما فى قوله لا نفرق بين احد من رسله وقيل هو صلة محمد صلعم وموازرته ومعاونته والجهاد معه عن الحسن وقيل هو صلة الرحم عن ابن عباس وروى اصحابنا ان ابا عبد الله ع لما حضرته الوفاة قال اعطوا الحسن بن على بن الحسين وهو الافطس سبعين دينارا فقالت له ام ولد له اتعطى رجلا حمل عليك بالشفرة فقال ويحك اما تقرئين قول الله تعم والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل الآية وقيل هو ما يلزم من صلة المؤمنين بان يتولوهم وينصروهم ويذبوا عنهم ويدخل فيه صلة الرحم وغير ذلك عن الجبائى وابى مسلم وروى جابر عن ابى جعفر ع قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله بر الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب ثم تلى هذه الاية وروى محمد بن الفضيل عن موسى بن جعفر الكاظم ع فى هذه الآية قال هى رحم آل محمد معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى وهى تجرى فى كل رحم وروى الوليد بن ابان عن ابى الحسن الرضا ع قال قلت هل على الرجل فى ماله سوى الزكوة قال نعم اين ما قال الله والذين يصلون الآية ويخشون ربهم اى ويخافون عقاب ربهم فى قطعها ويخافون سوء الحساب قد بينا ما قيل فيه وروى هشام بن سالم عن ابى عبد الله ع قال سوء الحساب ان يحسب عليهم السيئات ويحسب لهم الحسنات وهو الاستقصاء وروى حماد بن عثمان عن ابى عبد الله عليه السلام انه قال لرجل يا فلان ولاخيك قال جعلت فداك لى عليه شىء فاستقصيت منه حقى قال ابو عبد الله ع اخبرنى عن قول الله عز وجل ويخافون سوء الحساب اتريهم خافوا ان يجور عليهم او يظلمهم لا والله ولكن خافوا الاستقصاء والمداقه والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم اي الذين صبروا على القيام بما اوجبه الله عليهم وعلى بلاء الله من الامراض والفقر وغير ذلك وعن معاصى الله تعم لطلب ثواب الله تعالى لان ابتغاء وجه الله

هو ابتغاء الله وابتغاء الله يكون بابتغاء ثوابه تقول العرب في تعظيم الشيء هذا وجه الرأي وهذا نفس الرأي للرأي المعظم فكذلك وجه ربهم

هو نفسه المعظم فلا شيء اعظم منه ولا شيء يساويه في العظم وقيل ان ذلك الوجه هنا عبارة عن الاخلاص وترك الرياء واقاموا الصلوة اي

ادوها بحدودها وقيل داموا على فعلها وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اي ظاهرا وباطنا ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون بفعل الطاعة

المعصية قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح السيء من العمل كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لمعاذ بن جبل اذا عملت سيئة

فاعمل بجنبها حسنة تمحها وقيل معناه يدفعون اساءة من اساء اليهم بالاحسان والعفو ولا يكافئون كقوله سبحانه ادفع بالتي هي احسن السيئة

عن قتادة وابن زيد والقتيبي قال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وقيل معناه ويدفعون بالتوبة معرة الذنب عن ابن

كيسان اولئك يعني ان هؤلاء الذين هذه صفاتهم لهم عقبى الدار اي ثواب الجنة فالدار الجنة وثوابها عقباها التي هي العاقبة المحمودة عن ابن

عباس والحسن ثم وصف الدار فقال جنات عدن اي بساتين اقامة تدوم ولا تفنى وقيل هي الدرجة العليا وسكانها الشهداء والصديقون

عن ابن عباس وقيل هو مدينة الجنة فيها الانبياء والائمة والشهداء عن الضحاك وقيل قصر من ذهب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد

او حكم عدل عن الحسن وعبد الله بن عمرو ثم بين سبحانه ما يتكامل به سرورهم من اجتماع قومهم معهم فقال يدخلونها ومن صلح من آبائهم

وازواجهم وذرياتهم اي اولادهم يعني من آمن منهم وصدق بما صدقوا به وذلك ان الله سبحانه جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في

اهله من لحاقهم به في الجنة كرامة له كما قال الحقنا بهم ذريتهم عن ابن عباس ومجاهد والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب

الجنة الثمانية وقيل من كل باب من ابواب البر كالصلوة والزكوة والصوم وقيل من ابواب قصورهم وبساتينهم بالتحية من الله سبحانه

والتحف والهدايا عن ابن عباس ويقولون سلام عليكم بما صبرتم والقول محذوف لدلالة الكلام عليه والسلام التحية والبشارة منهم بالسلامة

والكرامة وانتفاء كل امر يشوبه مضرة اي سلمكم الله من المكاره والاهوال بصبركم على شدائد الدنيا ومحنها في طاعة الله تعالى فنعم عقبى

الدار اي نعم عاقبة الدار ما انتم فيه من الكرامة **قوله تعالى** وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ

أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ

أَنَابَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ۝

خمس آيات اللغة الانابة الرجوع الى الله بالتوبة واناب فلان القوم اتاهم مرة بعد مرة ويقال ناب ينوب نوبا اذا رجع مرة بعد مرة

وطوبى فعلى من الطيب وهو تأنيث الاطيب ولم يغيروا طوبى بان يقولوا طيبى كما قالوا ضيزى فقلبوا الواو ياء والكسرة ضمة لان طوبى اسم

وضيزى صفة فرقوا بين الاسم والصفة الاعراب الذين آمنوا في موضع نصب ردا على من المعنى يهدي اليه الذين آمنوا والا حرف

تنبيه وابتداء وحسن مآب عطف على طوبى لان طوبى في موضع رفع المعنى لما ذكر الله سبحانه الذين يوفون بعهد الله ووصفهم

بالصفات التي يستحقون بها الجنة عقبه بذكر من هو على خلاف حالهم فقال والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون

ما امر الله به ان يوصل قد ذكرنا معنى عهد الله وميثاقه وصلة ما امر الله بان يوصل ويفسدون في الارض بالدعاء الى غير الله عن

ابن عباس وقيل بقتال النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين عن الحسن وقيل يفسدون فيها بمعاصي الله والظلم لعباده واخراب بلاده و

هذا اعم اولئك لهم اللعنة وهي الابعاد من رحمة الله والتبعيد من الله ولهم سوء الدار اي عذاب النار والخلود فيها الله يبسط الرزق

لمن يشاء ويقدر اي يوسع الرزق على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من المصلحة ويضيقه على آخرين اذا كانت المصلحة في التضييق وفرحوا

بالحيوة الدنيا اي فرحوا بما اوتوا من حطام الدنيا فرح البطر ونسوا فناءه وبقاء امر الآخرة وتقديره وفرح الذين بسط لهم في الرزق في الحيوة

الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع اي ليست هذه الحيوة الدنيا بالاضافة الى الحيوة الآخرة الا قليل ذاهب لان هذه فانية وتلك

دائمة باقية عن مجاهد وقيل انه مذكور على وجه التعجب اي عجبا لهم فرحوا بالدنيا الفانية وتركوا النعيم الدائم والدنيا في جنب الآخرة متاع

لا حظ له ولا بقاء له مثل القدح والقصعة والقدر يتمتع به زمانا ثم ينكسر عن ابن عباس ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه اي هلا

انزل على محمد معجزة من ربه يعرفها ويعرفون انهم لم يتفكروا في الآيات المنزلة فاعتقدوا انه لم ينزل عليه آية ولم يعتدوا بتلك الآيات فقالوا

هذا القول جهلا منهم بما قيل يا محمد ان الله يضل من يشاء عن طريق الجنة بسوء افعاله وعظم معاصيه وقد مضى القول فى وجوه الاضلال
والهدى فلا معنى لاعادته ويهدى اليه من اناب اى رجع اليه بالطاعة الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله
على جميع صفاته وبنبوة نبيه صلى الله عليه وآله وقبول ما جاء به من عند الله وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس اليه والذكر حصول المعنى للنفس
وقد يسمى العلم ذكرا والقول الذي فيه المعنى لحاضر للنفس ايضا يسمى ذكرا وقد وصف الله تعالى المؤمن ههنا بانه يطمئن قلبه الى ذكر الله و
وصفه فى موضع آخر بانه اذا ذكر الله وجل قلبه لان المراد بالاول انه يذكر ثوابه وانعامه والآية التى لا تحصى واياديه التى لا تجازى فيسكن اليه
وبالثانى انه يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه الا بذكر الله تطمئن القلوب وهذا حث للعباد على تسكين القلب الى ما وعد الله به من
النعيم والثواب والطمأنينة اليه فان وعده سبحانه صادق ولا شئ تطمئن النفس اليه ابلغ من الوعد الصادق وهو اعتراض وقع بين
الكلامين اذا كان قوله الذين امنوا وتطمئن القلوب بذكر الله فى موضع رفع بالابتداء ويكون قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات بدلا
منه وقوله طوبى لهم وحسن مآب جملة فى موضع الرفع بانه خبر المبتدأ واذا كان الذين آمنوا الاول فى موضع نصب على ما تقدم ذكره
فيكون الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ مستانفا وطوبى لهم خبره ومعناه ان الذين يؤمنون بالله ويعملون ما يجب عليهم من
الطاعات طوبى لهم وفيه اقوال احدها ان معناه فرح لهم وقرة عين لهم عن ابن عباس الثانى غبطة لهم عن الضحاك والثالث خير وكرامة
لهم من الله عن ابن ابراهيم النخعى الرابع الجنة لهم عن مجاهد الخامس معناه العيش الطيب لهم عن الزجاج والحال المستطابة لهم عن
ابن الانبارى لانه فعلى من الطيب وقيل اطيب الاشياء لهم وهو الجنة عن الجبائى السادس هنيئا بطيب العيش لهم السابع حسنى لهم
عن قتادة الثامن ما لهم عن عكرمة التاسع طوبى لهم اى دوام الخير لهم العاشر ان طوبى شجرة فى الجنة اصلها فى دار النبى ع وفى دار كل مؤمن
منها غصن عن عبيد بن عمير ووهب وابى هريرة وشهر بن حوشب ورواه عن ابى سعيد الخدرى مرفوعا وهو المروى عن ابى جعفر ع
قال ولو ان راكبا مجدا سار فى ظلها مائة عام ما خرج منها ولو ان غرابا طار من اصلها ما بلغ اعلاها حتى يبيض هرما الا ففى هذا فارغبوا ان
المؤمن لنفسه منه فى شغل والناس منه فى راحة اذا جن عليه الليل فرش وجهه وسجد لله يناجى الذى خلقه فى فكاك رقبته الا فهكذا
فكونوا وروى على بن ابراهيم عن ابيه عن الحسن بن محبوب عن على بن رياب عن ابى عبيدة الحذاء عن ابى عبد الله عليه السلم قال كان رسول
الله صلى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة عليها السلم فانكرت عليه بعض نسائه ذلك فقال ع انه لما اسرى بى الى السماء دخلت الجنة
فادنانى جبرائيل ع من شجرة طوبى وناولنى منها تفاحة فاكلتها فحول الله ذلك فى ظهرى ماء فاهبطت الى الارض وواقعت خديجة
فحملت بفاطمة فكلما اشتقت الى الجنة قبلتها وما قبلتها وجدت رائحة شجرة طوبى منها فهى حوراء انسية وروى الثعلبى باسناده عن الكلبى
عن ابى صالح عن ابن عباس قال طوبى شجرة اصلها فى دار على فى الجنة وفى دار كل مؤمن منها غصن ورواه ابو بصير عن ابى عبد الله عليه السلم
وروى الحاكم ابو القسم الحسكانى بالاسناد عن موسى بن جعفر عن ابيه عن آبائه عليهم السلم قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن طوبى
قال شجرة اصلها فى دارى وفرعها على اهل الجنة ثم سئل عنها مرة اخرى فقال فى دار على فقيل له فى ذلك فقال ان دارى ودار على فى الجنة بمكان
واحد وحسن مآب اى ولهم حسن مآب اى مرجع النظم وجه اتصال قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر الآية بما قبله انه بين
ان نقضهم للعهد انما كان لحب الرياسة والمنافسة فى الدنيا فزهدهم فى المنافسة واخبرنا بانه يبسط الرزق لمن يرى صلاحه فيه ويرزق مقدار
الكفاية من علم ان صلاحه فيه ثم لما ذكر سبحانه سوء عاقبة الكفار عقب ذلك بذكر ما اقترحوه من الآيات وترك تفكرهم فيما انزل من الآيات
الخارقة للعادات فقال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه ولما استعجلوا العذاب بين سبحانه انه يضل من يشاء اى يهلك من يشاء
معجلا ويؤخر عذاب من يشاء عن ابى مسلم قال والمراد بقوله آية آيات العذاب وقيل انهم لما اقترحوا الآيات بين انهم انما لم يجابوا الى ذلك لان
فى المعلوم انهم لا يؤمنون وانه يهلكهم **قوله تعالى** كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ● وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ
أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ● آيتان القراءة

قرا

قراعلی وابن عباس وعلی بن الحسین وزید بن علی وجعفر بن محمد علیهم السلم وابن ابی ملیکه وعکرمة والجحدری وابو یزید المزنی افلم یتبین والقراة
المشهورة افلم ییأس الحجة قال ابن جنی هذه القراءة فیها تفسیر قوله افلم ییاس الذین امنوا وروی عن ابن عباس انها لغة نحو من النخع
قال الم ییأس الاقوام انی انا ابنه وان کنت عن ارض العشیرة نائیا وقال سحیم بن وثیل اقول لاهل الشعب اذ یاسروننی الم تیاسوا انی ابن
فارس زهدم ای الم تعلموا قال ویشبه عندی ان یکون هذا راجعا الی معنی الیأس وذلک ان المتامل للشیٔ المتطلب لعلمه ذاهب بفکره فی
جهات تعرفه ایاه فاذا ثبت نفسه علی شیٔ اعتقده واضرب عما سواه فلم ینصرف الیه کما ینصرف الیأس عن الشیٔ عنه ولا یلتفت الیه هذا طریق
الصیغة فیها اللغة المتاب التوبه تاب یتوب توبا ومتابا والتوبة الفعلة الواحدة والتسییر تصییر الشیٔ بحیث یسیر یقال سار یسیر سیرا
وسیره غیره والتقطیع تکثیر القطع والقطع فصل المتصل والحلول حصول الشیٔ فی الشیٔ کحصول العرض فی الجوهر وحصول الجوهر فی الوعاء والاول
الاول والثانی المشبه به والقارعة الشدیدة من شداید الدهر ومنه سمیت القیمة قارعة واصله من القرع وهو ضرب ومقارعة الابطال
قرع بعضهم بعضا وقوارع القرآن الآیات التی من قراها امن من الشیطان کانها تضرب الشیاطین اذا قریٔت النزول نزلت الایة الاولی
فی صلح الحدیبیة حین ارادوا کتاب الصلح فقال رسول الله صلی الله علیه وآله لعلی ع اکتب بسم الله الرحمن الرحیم فقال سهیل بن عمرو
والمشرکون ما نعرف الرحمن الا صاحب الیمامة یعنون مسیلمة الکذاب اکتب باسمک اللهم هکذا لان اهل الجاهلیة یکتبون ثم قال رسول الله
اکتب هذا ما صالح علیه محمد رسول الله فقال مشرکوا قریش لئن کنت رسول الله ثم قاتلناک وصددناک لقد ظلمناک ولکن اکتب هذا
ما صالح علیه محمد بن عبد الله فقال اصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله دعنا نقاتلهم قال لا ولکن اکتبوا کما یریدون فانزل الله عز وجل
کذلک ارسلناک فی امه الآیه عن قتادة ومقاتل وابن جریج وقیل نزلت فی کفار قریش حین قال لهم النبی صلی الله علیه وآله اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن عن الضحاک عن ابن عباس ونزلت الآیة الاخری فی نفر من مشرکی مکة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابی امیة المخزومی
جلسوا خلف الکعبة ثم ارسلوا الی النبی صلی الله علیه وآله فاتاهم فقال له عبد الله بن ابی امیة ان سرک ان نتبعک فسیر لنا جبال مکة
بالقرآن فاذهبها عنا حتی تنفسح فانها ارض ضیقة واجعل لنا فیها عیونا وانهارا حتی نغرس ونزرع فلست کما زعمت اهون علی ربک من
داود حیث سخر له الجبال یسبحن معه او سخر لنا الریح فنرکبها الی الشام فنقضی علیها میرتنا وحوائجنا ثم یرجع من یومنا فان سلیمن علیه السلم
سخرت له الریح ولست کما زعمت لنا فلست اهون علی ربک من سلیمن واحیی لنا جدک قصیا او من شئت من موتانا لنسئله احق ما تقول
ام باطل فان عیسی ع کان یحیی الموتی ولست باهون علی الله منه فانزل الله سبحانه ولو ان قرآنا سیرت الآیه المعنی ثم ذکر سبحانه
النعمة علی من تقدم ذکره بالثواب وحسن المآب عقبه بذکر النعمة علی من ارسل الیه النبی صلی الله علیه وآله فقال کذلک ارسلناک
ای کما انعمنا علی المذکورین بالثواب فی الجنة انعمنا علی المرسل الیهم بارسالک وقیل ان معنی التشبیه ای کما ارسلنا الانبیاء فی الامم
قبلک ارسلناک فی امة قد خلت من قبلها امم ای فی جماعة قد خلت من قبلها قرون وجماعات لتتلوا علیهم الذی اوحینا الیک بین
الغرض فی ارساله وهو ان یقرأ علیهم القرآن لیتدبروا آیاته ویتعظوا به وهم یکفرون بالرحمن ای وقریش یکفرون بالرحمن یقولون قد
عرفنا الله ولا ندری ما الرحمن کما اخبر عنهم بانهم قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا عن الحسن وقتادة وقیل معناه انهم یجحدون بالوحدانیة
قل یا محمد هو ربی ای الرحمن الذی انکرتموه ربی ای خالقی ومدبری لا اله الا هو علیه توکلت ای الیه فوضت امری متمسکا بطاعته راضیا
بحکمه والیه متاب ای مرجعی وقیل معناه الی الرحمن توبتی ولو ان قرآنا سیرت به الجبال ای تحمل به الجبال سایرة فاذهبت من مواضعها
وقلعت من اماکنها او قطعت به الارض ای شققت فجعلت انهارا وعیونا او کلم به الموتی ای احیی به الموتی حتی یعیشوا ویتکلموا وحذف
جواب لو لان فی الکلام دلیلا علیه والتقدیر لکان هذا القرآن لعظم محله وعلو امره وجلالة قدره قال الزجاج والذی اتوهمه وقد قاله
بعضهم ان المعنی لو ان قرآنا سیرت به الجبال او قطعت به الارض او کلم به الموتی لما آمنوا ودلیله قوله ولو اننا نزلنا الیهم الملائکة الی
قوله ما کانوا لیؤمنوا وحذف الجواب لو یکثر فی الکلام قال امرؤ القیس فلو انها نفس تموت سویة ولکنها نفس تساقط انفسا وهو آخر
القصیدة وقال وجدک لو شیٔ اتانا رسوله سواک ولکن لم نجد لک مدفعا بل لله الامر جمیعا معناه ان جمیع ما ذکر من تسییر الجبال وتقطیع
الارض واحیاء الموتی وکل تدبیر یجری هذا المجری لله لانه لا یملکه سواه ولا یقدر علیه غیره ولکنه لا یفعل لانه فیما انزل من الآیات

مقشعا وكفاية للمنصفين والامر ما يصح ان يؤمر فيه وينهى عنه وهو عام واصل الامر يقتضى النهى افلم ييأس الذين آمنوا علما يئسوا اى افلم يعلموا
ويتبينوا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابي مسلم وقيل معناه اولم يعلم الذين آمنوا علما ييئسوا معه من ان يكون
غير ما علموه عن الفراء وقيل معناه افلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء الذين وصفهم الله عز وجل بانهم لا يؤمنون عن الزجاج قال لانه قال
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا اى ان الله لو اراد ان يهدى الخلق كلهم الى جنته لهداهم لكنه كلفهم لينالوا الثواب بطاعاتهم على وجه
الاستحقاق وقيل اراد به مشيئة الالجاء اى لو اراد ان يلجيهم الى الاهتداء لقدر على ذلك لكنه ينافى التكليف ويبطل الغرض به ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم واعمالهم الخبيثة قارعة اى نازلة وداهية تقرعهم ومصيبة شديدة من الحرب والجدب والقتل والاسر
على جهة العقوبة للتنبيه والزجر وقيل اراد بالقارعة سرايا النبى صلى الله عليه وآله التى كان يبعثها اليهم وقيل اراد بذلك ما مر ذكره من
حديث عامر واربد او تحل قريبا من دارهم قيل ان التاء فى تحل للتانيث والمعنى او تحل تلك القارعة قريبا من دارهم فتجاورهم حتى تحصل
لهم المخافة منها عن الحسن وقتادة وابي مسلم والجبائى وقيل ان التاء للخطاب والمعنى او تحل انت يا محمد بنفسك قريبا من دارهم
يعنى مكة حتى ياتى وعد الله اى ما وعد الله من فتح مكة عن ابن عباس قال وهذه الآية مدنية وقيل حتى ياتى وعد الله بالاذن لك فى قتالهم
وقيل حتى ياتى يوم القيمة عن الحسن ان الله لا يخلف الميعاد ظاهر المعنى النظم اتصلت الآية الاخيرة بقوله ويقول الذين كفروا لولا
انزل عليه آية من ربه والتقدير ان مثل هذا القرآن انزل عليهم وهم يطلبون آيات اخرى عن الجبائى وقيل اتصلت بقوله كذلك ارسلناك
الآية لان المفهوم من قوله لتتلوا عليهم انه قرا عليهم القرآن وانهم كفروا به قوله تعالى وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ❁ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا
يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ
وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ❁ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ❁ ثلث آيات القراءة
قرا اهل الكوفة ويعقوب وصدوا بضم الصاد وكذلك فى حم المؤمن والباقون وصدوا بفتح الصاد الحجة قال ابو الحسن صد وصددته
مثل رجع ورجعته قال صدت كما صد عما لا يحل له ساقى نصارى قبيل الصبح صوام وقال صددت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها
اليمينا وحجة من اسند الفعل الى الفاعل قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفى موضع آخر ويصدون عن سبيل الله و
صدوكم عن المسجد الحرام فلما اسند الفعل الى الفاعل فى هذه الآى فكذلك فى هذه الآية اى صدوا الناس عن النبى صلى الله عليه وآله
ومن بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصد غواتهم والعتاة منهم فى كفرهم وقد يكون على نحو ما يقال صد فلان عن الخير وصد عنه بمعنى
انه لم يفعل خيرا ولا يراد به ان مانعا منعه اللغة الاستهزاء طلب الهزء والاضمار خلاف الاظهار للاستصغار والاملاء التاخير وهو
من الملاوة والملوان الليل والنهار قال ابن مقبل الا يا ديار الحى بالسبعان الح عليها بالبلى الملوان ويقال فى التهنية البس جديدا وابل
حبيبا اى ليطل ايامك معه والواقى المانع فاعل من الوقاية وهو الحجر بما يدفع الاذى به والمكروه المعنى ثم عزى سبحانه نبيه صلى فقال
ولقد استهزئ برسل من قبلك كما استهزئ هؤلاء بك فامليت للذين كفروا اى فامهلتهم واطلت مدتهم ليتوبوا وليتم عليهم الحجة ثم اخذتهم
اى اهلكتهم وانزلت عليهم عذابي فكيف كان عقاب اي فكيف حل عقابي بهم وهو اشارة الى تفخيم ذلك العذاب وتعظيمه ثم عاد سبحانه الى
الحجاج مع الكفار فقال افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت معناه افمن هو قايم بالتدبير على كل نفس وحافظ على كل نفس اعمالها حتى يجازيها
وقيل ليس هو قايم عليها بحفظها ورزقها والدفع عنها كمن ليس بهذه الصفة من الاصنام التى لا تنفع ولا تضر ويدل على هذا المحذوف
قوله وجعلوا لله شركاء يعنى ان هؤلاء الكفار جعلوا لله شركاء فى العبادة من الاصنام التى لا تقدر على شىء مما ذكرنا قل يا محمد سموهم اي
سموهم بما يستحقون من الصفات واضافة الافعال اليهم ان كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق والرازق والمحيى والمميت و
يعود المعنى الى ان الصنم انه لو كان الها لتصور منه ان يخلق الرزق فيحسن حينئذ ان يسمى بالخالق والرازق وقيل سموهم بالاسماء
التى هى صفاتهم ثم انظروا هل تدل صفاتهم على جواز عبادتهم واتخاذهم الهة وقيل معناه انه ليس لهم اسم له مدخل فى استحقاق الالهية
وذلك استخفاف لهم وقيل سموهم ماذا خلقوا وهل ضروا او نفعوا وهو مثل قوله ارونى ماذا خلقوا من الارض عن الحسن ام تنبئونه بما لا يعلم

حزب

فى

٩

فى الارض هذا استثناء منقطع بما قبله اى بل اتخبرون الله بشريك له فى الارض وهو لا يعلم على معنى انه ليس ولو كان لعلم ام بظاهر
من القول اى ام تقولون مجازا من القول وباطلا لا حقيقة له عن مجاهد وقتادة والضحاك وعلى هذا فالمعنى انه كلام ظاهر ليس له فى الحقيقة
باطن ومعنى فهو كلام فقط وقيل ام بظاهر كتاب انزله الله تعالى سميتم الاصنام آلهة فبين انه ليس هنا دليل عقلى ولا سمعى يوجب
استحقاق الاصنام الالهية عن الجبائى ثم بين سبحانه بطلان قولهم فقال بل زين للذين كفروا مكرهم اى دع ذكر ما كنا فيه زين الشيطان
لهم الكفر لان مكرهم بالرسول كفرهم عن ابن عباس وقيل بل زين لهم الرؤساء والغواة كذبهم وزورهم وصدوا عن السبيل اى و
صدوا الناس عن الحق او صدوا بانفسهم عن الحق وعن دين الله ومن يضلل الله فما له من هاد سبق معناه فى مواضع لهم عذاب فى الحيوة
الدنيا بالقتل والسبى والاسر وقيل بالمصايب والامراض ولعذاب الآخرة اشق اى اغلظ وابلغ فى الشدة على النفس لدوامه وعلوه
وكثرته وما لهم من الله من واق اى ما لهم دافع يدفع عنهم عذاب الله تعالى **قوله تعالى** مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ۞ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ۞ وَكَذَلِكَ
أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۞ ثلث آيات **اللغة**
الانهار جمع نهر ونهر كزند وافراد وجمل واجمال والنهر المجرى الواسع من مجارى الماء على وجه الارض واصله الاتساع ومنه النهار لاتساع
الضياء وانهرت الدم وسعت مجراه وقال ملكت بها كفى فانهرت فتقها يرى قايم من دونها ما ورايها اى وسعته والاكل بضم الهمزة الماكول
والاحزاب جمع حزب وهى الجماعة التى تقوم بالنائبة يقال تحزب القوم اذا صاروا احزابا وحزبهم الامر يحزبهم اى نالهم بمكروه **الاعراب**
مثل الجنة فيه اقوال احدها انه بمعنى الصفة والخبر محذوف تقديره مثل الجنة التى هكذا اجل مثل والثانى ان تقديره فيما نقص عليكم مثل
الجنة او مثل الجنة فيما نقص عليكم فهو مرفوع ايضا على الابتداء وخبره محذوف وهو قول سيبويه واختاره ابو على الفارسى والثالث
ان معناه صفة الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار فتجرى من تحتها الانهار مع ما بعده خبر المبتداء الذى هو مثل الجنة قالوا
وقوله تعالى ولله المثل الاعلى معناه الصفة العليا ولم يرتض ابو على هذا القول **المعنى** لما تقدم ذكر ما اعد للكفار عقبه سبحانه بذكر
ما اعد للمؤمنين فقال مثل الجنة التى وعد المتقون اى شبهها عن مقاتل وقيل صفتها وصورتها عن الحسن قال ابن قتيبة المثل الشبه فى
اصل اللغة ثم قد يصير بمعنى صورة الشىء وصفته يقال مثلت لك كذا اى صورته وصفته وقيل ان مثل مقحم والتقدير الجنة التى وعد
المتقون تجرى من تحتها الانهار اكلها دايم يعنى ان ثمارها لا ينقطع كثمار الدنيا وظلها لا يزول ولا   الشمس عن الحسن وقيل معناه
ونعيمها لا ينقطع بموت ولا آفة عن ابن عباس وقيل لذتها فى الافواه باقية عن ابرهيم التيمى وظلها ايضا دايم لا يكون مرة شمسا ومرة
ظلا كما يكون فى الدنيا تلك عقبى الذين اتقوا اى تلك الجنة عاقبة المتقين والطريق اليها التقوى وعقبى الكافرين النار اى وعاقبة الكفار
النار ولما تقدم ذكر الوعد والوعيد اخبر سبحانه عن المتقين والكافرين فقال والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يريد اصحاب النبى
الذين آمنوا وصدقوه اعطوا القرآن وفرحوا بانزاله ومن الاحزاب من ينكر بعضه يعنى اليهود والنصارى والمجوس انكروا بعض معانيه وما
يخالف احكامهم عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل الذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه فرحوا
بالقرآن لانهم يصدقون به والاحزاب بقية اهل الكتاب وساير المشركين عن ابن عباس قال لان عبد الله بن سلام واصحابه ساءهم
قلة ذكر الرحمن فى القرآن مع كثرة ذكره فى التورية فانزل الله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ففرحوا بذلك وكفر المشركون بالرحمن وقالوا ما
نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة ويريد بالاحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله بالمعاداة ومن ينكر بعضه يعنى ذكر الرحمن
وهو كقوله وهم يكفرون بالرحمن قل يا محمد انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اى امرت ان اوجه عبادتى الى الله ولا اشرك به فى عبادته
احدا اليه ادعوا يعنى الى الله والى الاقرار بتوحيده وصفاته وتوجيه العبادة اليه وحده ادعوا واليه مآب اى اليه مرجعى ومصيرى ارجع و
اصير الى حيث لا يملك النفع والضر الا هو وحده فانه لا يملك يوم القيمة الامر احدا من عباده كما ملكهم فى الدنيا وكذلك انزلناه حكما عربيا اى
كما انزلنا الكتب الى من تقدم من الانبياء بلسانهم انزلنا اليك حكما عربيا اى جاريا على مذاهب العرب فى كلامها يعنى القرآن فالحكم هنا بمعنى

ع ١١

الحكمة كما فى قوله واتيناه الحكم والنبوة وقيل انه سماه حكما لما فيه من الاحكام فى بيان الحلال والحرام وسماه عربيا لانه اتى به نبى عربى ولئن اتبعت
اهواءهم خطاب للنبى صلى الله عليه واله والمراد به الامة اى لئن وافقت وطلبت اهواء الذين كفروا والاهواء جمع الهوى وهو ميل الطباع الى شىء
بالشهوة بعد ما جاءك من العلم بالله تعالى لان ما آتيناك من الدلالات والمعجزات موجب للعلم الذي تزول معه الشبهات ما لك من الله من
ولى اى ناصر يعينك عليه ويمنعك من عذابه ولا واق يقيك منه من ولي فى موضع رفع ومن مزيدة **قوله تعالى** وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن
قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ
وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۝ ثلث آيات القراءة
قرا اهل البصرة وابن كثير وعاصم يثبت بالتخفيف وقرا الباقون يثبت بالتشديد الحجة قال ابو على المعنى يمحو الله ما يشاء ويثبته فاستغنى
بتعدية الاول من الفعلين عن تعدية الثانى ومثل ذلك والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وزعم سيبويه
ان من العرب من يعمل الاول من الفعلين ولا يعمل الثانى فى شىء من كلامهم كقولهم متى رايت اوقلت زيدا منطلقا قال الكميت باى كتاب
ام باية سنة يرى حبهم عارا على ويحسب فلم يعمل الثانى فهذا والله اعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرايع الموقوفة على المصالح على حسب
الاوقات فاما غير ذلك فلا يمحى ولا يبدل حجة من قال يثبت قوله واشد تثبيتا وحجة من قال يثبت ما روى عن عايشة قالت كان رسول الله
اذا صلى صلوة اثبتها وقوله ثابت لان ثبت مطاوع اثبته النزول قال ابن عباس عيروا رسول الله صلى الله عليه واله بكثرة تزوج النساء
وقالوا لو كان نبيا لشغلته النبوة عن تزوج النساء فنزلت الاية ولقد ارسلنا رسلا من قبلك المعنى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد
وجعلنا لهم ازواجا وذرية اى نساء واولادا اكثر من نسائك واولادك وكان لسليمن ع ثلثماية امراة مهيرة وسبعماية سرية ولداود ماية امراة
عن ابن عباس اى فلا ينبغى ان يستنكر منك ان تتزوج ويولد لك وروى ان ابا عبد الله ع قرا هذه الاية ثم اومى الى صدره فقال ونحن
ذرية رسول الله وما كان لرسول ان ياتى باية الا باذن الله اى لم يكن لرسول يرسله الله ان يجىء باية ودلالة الا بعد ان ياذن الله فى ذلك
ويطلق له فيه لكل اجل كتاب فيه وجوه احدها ان معناه لكل اجل مقدر كتاب اثبت فيه فلا تكون اية الا باجل قد قضاه الله فى كتاب
على ما يوجبه التدبير فالاية التى اقترحوها لها وقت اجله الله لا على شهواتهم واقتراحاتهم عن البلخى والثانى لكل امر قضاه الله كتاب كتبه
فيه فهو عنده كاجل الحيوة والموت وغير ذلك عن ابى على الجبائى والثالث انه من المقلوب والمعنى لكل كتاب اجل ينزل من السماء اجل نزل
فيه عن ابن عباس والضحاك ومعناه لكل كتاب وقت يعمل فيه فللتورية وقت وللانجيل وقت وكذلك القرآن يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده ام الكتاب قيل فى المحو والاثبات اقوال احدها ان ذلك فى الاحكام من الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج
وهو اختيار ابى على الفارسى والثانى انه المحو من كتاب الحفظة المباحات وما لا جزاء فيه ويثبت ما فيه الجزاء من الطاعات والمعاصى
عن الحسن والكلبى والضحاك عن ابن عباس والجبائى والثالث انه يمحو ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلا فيسقط عقابها ويثبت ذنوب
من يريد عقابه عدلا عن سعيد بن جبير والرابع انه عام فى كل شىء فيمحو من الرزق ويزيد فيه ومن الاجل ويمحو السعادة والشقاوة
ويثبتهما عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابى وايل وقتادة وام الكتاب اصل الكتاب الذي اثبت فيه الحادثات والكاينات وروى ابو قلابة
عن ابن مسعود انه كان يقول اللهم ان كنت كتبتنى فى الاشقياء فامحنى من الاشقياء واثبتنى فى السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك
ام الكتاب روى مثل ذلك عن ائمتنا عليهم السلم فى دعواتهم الماثورة وروى عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى ام الكتاب
يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وام الكتاب لا يغير منه شىء ورواه عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه واله وروى محمد بن مسلم عن ابى جعفر ع
قال سالته عن ليلة القدر فقال ينزل الله فيها الملائكة والكتبة الى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من امر السنة وما يصيب العباد وامر عنده
موقوف له فى المشية فيقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ويثبت وعنده ام الكتاب وروى الفضيل قال سمعت ابا جعفر ع يقول العلم
علمان علم علمه ملائكته ورسله وانبياءه وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه احدا يحدث فيه ما يشاء وروى زرارة عن حمران عن ابى عبد الله عليه
قال هما امران موقوف ومحتوم فما كان من محتوم امضاه وما كان من موقوف له فى المشية يقضى فيه ما يشاء والخامس انه فى مثل تغيير الارزاق
والمحن والمصايب يثبته فى الكتابة ثم يزيله بالدعاء والصدقة وفيه حث على الانقطاع اليه سبحانه والسادس انه يمحو بالتوبة جميع الذنوب

ويثبت

ويثبت يبدل الذنوب حسنات سنة قوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات عن عكرمة السابع انه
يمحو ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء منها كقوله ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين وقوله كم اهلكنا قبلهم من القرون وروى ذلك عن علي ع
والثامن انه يمحو ما يشاء يعني القمر ويثبت يعني الشمس وبيانه فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة عن السدي وام الكتاب هو اللوح
المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل لان الكتب المنزلة انتسخت منه فالمحو والاثبات انما يقع في الكتب المنتسخة لا في اصل الكتاب عن اكثر المفسرين
وقيل ان ابن عباس سأل كعبا عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا فكان كتابا وقيل انما سمي ام الكتاب
لانه الاصل الذي كتب فيه اولا سيكون كذا وكذا لكل ما يكون فاذا وقع كتب انه قد كان ما قيل انه سيكون والوجه في ذلك ما فيه من المصلحة
والاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكة الذين يشاهدونه اذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه وعلموا ان ما يحدث على كثرته قد احصاه الله تعالى
وعلمه قبل ان يكون مع ان ذلك اهون في الصدور واعظم في النفوس حتى كان من تصوره وتفكر فيه مشاهد له وامّا نرينك يا محمد بعض الذي
نعدهم اي نعدهم كالكفار من نصر المؤمنين عليهم بتمكينك منهم بالقتل والاسر واغتنام الاموال او نتوفينك اي نقبضك الينا قبل ان نريك
ذلك وبين بهذا انه يكون بعض ذلك في حياته وبعضه بعد وفاته اي فلا تنتظر ان يكون جميع ذلك في ايام حياتك وان يكون مما لا يدان
تريه فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب اي تبليغهم ما ارسلنا به اليهم وتقوم بما امرناك بالقيام به وعلينا الايكال حسابهم ومجازاتهم والانتقام منهم
اما عاجلا واما آجلا وفي هذا دلالة على ان الاسلام سيظهر على ساير الاديان ويبطل الشرك في ايامه وبعد وفاته وقد وقع المخبر به على وفق الخبر
النظم اتصلت الآية الاولى بما قبلها من قولهم لولا انزل عليه آية من ربه فبين سبحانه انه ع بشر كما ان الرسل الذين كانوا قبله كانوا بشرا
والبشر لا يقدر على الآيات بل انما يأتي الله سبحانه بها اذا اقتضت المصلحة ذلك عن ابي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر ارساله بين سبحانه
انه ارسل قبله بشرا كما ارسله فحاله مثل حالهم عن القاضي وانما اتصلت الآية الثانية بقوله لكل اجل كتاب لان الظاهر يقتضي ان كل مكتوب
لا يجوز محوه فبين سبحانه انه يمحو ما يشاء ويثبت لئلا يتوهم ان المعصية مثبتة مع التوبة كما انها كذلك قبل التوبة عن علي بن عيسى وقيل
انه لما نزلت ما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله قال قريش ما نراك يا محمد تملك شيئا فلقد فرغ من الامر فانزلت هذه الآية تخويفا
ووعيدا لهم انا لو شئنا احدثنا من امرنا ما شئنا ونمحو ونثبت في ليلة القدر ما نشاء في ارزاق الناس ومصائبهم عن مجاهد وانما اتصل
قوله وانما نرينك الآية بما قبله من وعيد الله بالعذاب فبين سبحانه انه يفعل ذلك لا محالة اما في حيوته او بعد وفاته بشارة له وقيل انه
لما تقدم ان لكل اجل كتابا بين ان لعذابهم وقتا سيفعله فيه لا محالة اما في حيوته واما بعد وفاته قوله تعالى اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّا نَأْتِي الْاَرْضَ
نَنْقُصُهَا مِنْ اَطْرَافِهَا وَاللّٰهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ● وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلّٰهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ
وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ● وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ
الْكِتَابِ ع ثلث آيات القراءة قرأ اهل الحجاز وابو عمرو وسيعلم الكافر على لفظ الواحد والباقون الكفار على الجمع وفي الشواذ قراءة النبي ص
وعلي وابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وابن ابي اسحق والضحاك والحكم بن عيينه ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وقراءة علي ع
والحسن وابن السميفع ومن عنده علم الكتاب الحجة قال ابو علي العلم في قوله وسيعلم الكافر هو المتعدي الى مفعولين بدلالة تعليقه ووقوع
الاستفهام بعده تقول علمت لمن الغلام فتعلقه مع الجار كما تعلقت في غيره في نحو فسوف يعلمون من يكون له عاقبة الدار وموضع الجار
مع المجرور نصب من حيث سد الكلام الذي هو فيه مسد المفعولين لا من حيث حكمت في نحو مررت بزيد بان موضعه نصب ولكن
اللام الجارة كانت متعلقة في الاصل بفعل فكان مثل علمت بمن تمر في ان الجار يتعلق بالمجرور والجملة التي هي منها في موضع نصب وقد
علق الفعل عليها فاما من قرأ الكافر فانه جعل الكافر اسما شايعا كالانسان في قوله ان الانسان لفي خسر وزعموا انه الالف فيه وهذا
الحذف انما يقع في فاعل نحو خالد وصالح ولا يكاد يحذف في فعال وزعموا ان في بعض الحروف وسيعلم الذين كفروا فهذا يقوي الجمع وقد
جاء الفاعل يراد به اسم الجنس انشد ابو زيد ان تبخلي يا جمل او تعتلي او تصبحي في الظاعن المولي فهذا انما يكون على الكثرة وليس المراد على كافر
واحد والجمع الذي هو الكفار المراد في الآية لا اشكال فيه فاما من قرأ ومن عنده علم الكتاب فمعناه ومن فضله ولطفه علم الكتاب ومن
عنده علم الكتاب فالمعنى مثل ذلك الا ان الجار ههنا يتعلق بعلم وفي الاولى يتعلق بمحذوف وعلم الكتاب مبتدأ او مرفوع بالظرف على ما

الكفار

ع ١٢

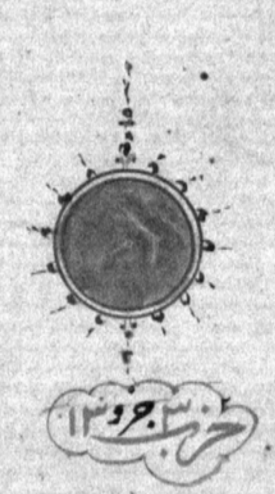
تقدم ذكره في قوله ومنهم اميون اللغة النقص اخذ الشيء من الجملة ثم يستعمل في نقصان المنزلة والطرف منتهى الشيء وهو موضع من الشيء
ليس وراءه ما هو منه واطراف الارض نواحيها والتعقيب رد الشيء بعد فصله ومنه عقب العقاب على صيده اذا رد الكر عليه بعد فصله
عنه ومنه قول لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمكر الفتل عن البغية بطريق الحيلة والشهيد والشاهد واحد الا ان في الشهيد مبالغة
والشهادة البينة على صحة المعنى من طريق المشاهدة الاعراب ننقصها من اطرافها جملة منصوبة الموضع على الحال وكذلك قوله لا
معقب لحكمه والباء في قوله كفى بالله زائدة وقال علي بن عيسى دخلت لتحقيق الاضافة من وجهين جهة الفاعل وجهة حرف الاضافة وذلك
ان الفعل لما جاز ان يضاف الى غير فاعله بمعنى انه امر به ازيل هذا الاحتمال بهذا التاكيد ونظيره في تاكيد الاضافة قوله لما خلقت بيدي المعنى
ثم ذكر سبحانه ما يكون للكفار كالسبب على الاعتبار فقال اولم يروا انا نأتي الارض اي نقصدها ننقصها من اطرافها واختلف في معناه
على اقوال احدها اولم ير هؤلاء الكفار انا ننقص اطراف الارض باماتة اهلها اي محازة ننقص اهلها من اطرافها كقوله واسأل القرية
اي افلا يخافون ان نفعل مثل ذلك بهم عن ابن عباس وقتادة وعكرمة وثانيها ننقصها بذهاب علمائها وفقهائها وخيار اهلها عن عطاء ومجاهد
والبلخي وروي نحو ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعن ابي عبد الله عليه السلام وقال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا
يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار وثالثها ان المراد بقصد الارض ننقصها من اطرافها بالفتوح على المسلمين منها فننقص من اهل الكفر و
نزيد في المسلمين يعني ما دخل في الاسلام من بلاد الشرك عن الحسن والضحاك ومقاتل قال الضحاك اولم ير اهل مكة انا نفتح لمحمد ما حولها من
القرى وقال الزجاج اعلم الله تعالى ان بيان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر اي افلا يخافون ان يفتح لمحمد ارضهم كما فتحنا له غيرها وقد روي ذلك
ايضا عن ابن عباس قال القاضي وهذا القول اصح لانه متصل بما وعدهم من اظهار دينه ونصرته ورابعها ان معناه اولم يروا ما يحدث في الدنيا
من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحيوة والنقصان بعد الزيادة عن الجبائي والله يحكم اي يفصل الامر لا معقب لحكمه اي لا ناقض لحكمه ولا راد
لقضائه عن ابن عباس ومعناه لا يعقب احد حكمه بالرد والنقض وهو سريع الحساب اي سريع المجازاة على اعمال العباد على الطاعات
بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب ثم بين سبحانه ان مكرهم يضمحل عند نزول العذاب بهم فقال وقد مكر الذين من قبلهم يريد ان الكفار الذين
كانوا قبل هؤلاء قد مكروا بالمؤمنين واحتالوا في كفرهم ودبروا في تكذيب الرسل بما في وسعهم فابطل الله مكرهم كذلك يبطل الله مكر هؤلاء فلله
المكر جميعا اي له الامر والتدبير جميعا فيرد عليهم مكرهم بنصب الحجج لعباده وقيل معناه فالله يملك الجزاء على المكر عن ابي مسلم وقيل يريد بالمكر
ما يفعله ثم بهم من المكروه عن الجبائي يعلم ما تكسب كل نفس فلا يخفى عليه ما يكسبه الانسان من خير وشر لانه عالم بجميع المعلومات
وقيل يعلم ما يمكرونه في امر الرسول ص فيبطل امرهم ويظهر امره ودينه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار هذا تهديد لهم بانهم سوف يعلمون من
تكون له عاقبة الجنة حين يدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار وقيل معناه سيعلمون لمن العاقبة المحمودة لكم ام لهم اذا اظهر الله دينه ويقول
الذين كفروا لك يا محمد لست مرسلا من جهة الله تعالى الينا قل لهم كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اي كفى الله شاهدا بيني وبينكم بما اظهر الايات وابان
من الدلالات والايات على نبوتي ومن عنده علم الكتاب قيل فيه اقوال احدها ان من عنده علم الكتاب هو الله تعالى عن الحسن والضحاك
وسعيد بن جبير واختاره الزجاج قال ويدل عليه قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب والثاني ان المراد به مؤمنو اهل الكتاب منهم
عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري عن ابن عباس وقتادة ومجاهد واختاره الجبائي وانكر الاولون هذا القول بان قالوا
السورة مكية وهؤلاء اسلموا بعد الهجرة والثالث ان المراد به علي بن ابي طالب ع وائمة الهدى عليهم السلام عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما
وروى بريد بن معاوية عن ابي عبد الله ع انه قال ايانا عنى وعلي اولنا وافضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وروى عنه عبد الرحمن بن
كثير انه وضع يده على صدره ثم قال عندنا والله علم الكتاب كله ويؤيد ذلك ما روي عن الشعبي انه قال ما احد اعلم بكتاب الله بعد نبي الله
من علي بن ابي طالب ع وروى عاصم بن ابي النجود عن ابي عبد الرحمن السلمي قال ما رأيت احدا اقرأ من علي بن ابي طالب ع للقرآن وروى ابو
عبد الرحمن ايضا عن عبد الله بن مسعود قال لو كنت اعلم احدا اعلم بكتاب الله مني لاتيته قال فقلت له فعلي قال اولم آته

سورة ابراهيم

قال ابن عباس وقتادة والحسن هي مكية الا آيتين نزلتا في قتلى بدر من المشركين الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى قوله فبئس القرار
عدد آيها خمس وخمسون آية شامي واربع حجازي آيتان كوفي آية بصري اختلافها سبع آيات الى النور في الموضعين حجازي

شامی و... وثمود حجازي بصري بخلق جديد كوفي شامي والمدني الاول ودعها في السماء غير المدني الاول الليل والنهار غير البصري عما يعمل
الظالمون شامی فضلها ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد
الاصنام وبعدد من لم يعبدها وروى عبيدة بن مصعب عن ابي عبد الله ع قال من قرا سورة ابرهيم والحجر في ركعتين جميعا في كل جمعة لم
يصبه فقر ولا جنون ولا بلوى تفسيرها لما ختم الله تعالى سورة الرعد باثبات الرسالة وان ال الكتاب افتتح هذه السورة ببيان الغرض
في الرسالة والكتاب قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور
باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة
الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد ثلث آيات عراقي اربع حجازي وشامي القراءة
الله الذي بالرفع مدني شامي والباقون بالجر الحجة قال ابو علي من قرا بالجر جعله بدلا من الحميد ولم يكن صفة لان الاسم وان كان مصدرا
في الاصل والمصادر يوصف بها كما يوصف باسماء الفاعلين وكذلك كان هذا الاسم في الاصل الاله ومعناه ذو العبادة اي العبادة تجب له
قال ابو زيد تاله الرجل اذا تنسك وانشد لرؤبة سبحن واسترجعن من تالهي فهذا في انه في الاصل مصدر وقد وصف مثل السلام والعدل الا ان هذا الاسم
غلب عليه حتى صار في الغلبة لكثرة استعمال هذا الاسم كالعلم وقد يغلب ما اصله الصفة فيصير بمنزلة العلم قال النابغة الجعدي بالرمل بيته
عليه صفيح من تراب وجندل و الاصل النابغة ولما غلب نزع عنه الالف واللام كما تنزع من الاعلام نحو زيد وجعفر وربما استعمل في هذا
النحو الوجهان تعقبهم اعراق حلم تعيد ما دعى الهم ادراك العلى والمكارم وقال وحلت عن وجوه الاهاتم ومن قرا بالرفع قطعه من
الاول وجعل الذي الخبر او جعله صفة واضمر الخبر ومثل ذلك في القطع قوله قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب من قطع ورفع جعل قوله لا يعزب عنه
خبر القوله عالم الغيب ومن جر اجرى عالم الغيب صفة على الاول وعلى هذا يجوز من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وان شئت جعلت هذا
صفة لقوله من مرقدنا واضمرت خبر القوله ما وعد الرحمن وان شئت جعلت قوله هذا ابتداء وما وعد الرحمن خبرا اللغة العزيز القادر على
الاشياء الممتنع بقدرته من ان يضام والحميد المحمود على كل حال والاستحباب طلب محبة الشيء بالتعرض لها والمحبة ارادة منافع المحبوب وقد يستعمل
بمعنى ميل الطباع والشهوة والبغية والابتغاء الطلب المعنى الر قد ذكرنا معاني الحروف المقطعة في اوائل السور وذكرنا اختلاف الاقاويل
فيه في اول البقرة كتاب انزلناه اليك يعني القرآن نزل به جبرئيل ع من الله تعالى اي هذا كتاب منزل اليك يا محمد ليس بسحر ولا شعر لتخرج الناس
اي جميع الخلق من الظلمات الى النور اي من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الايمان باذن ربهم اي باطلاق الله تعالى ذلك وامره به وفي هذا
دلالة على انه سبحانه يريد الايمان من جميع المكلفين لان اللام لام الغرض ولا يجوز ان يكون لام العاقبة لانه لو كان كذلك لكان الناس كلهم
مؤمنين والمعلوم خلافه ثم بين سبحانه ما النور فقال الى صراط العزيز الحميد اي يخرجهم من ظلمات الكفر الى طريق الله المؤدي الى معرفة الله المنيع
في سلطانه المحمود في افعاله ونعمه التي انعم بها على عباده الله الذي له ما في السموات وما في الارض اي التصرف فيهما على وجه لا اعتراض عليه
فيه وويل للكافرين من عذاب شديد اخبر ان الويل للكفار الذين يجحدون نعم الله ولا يعترفون بوحدانيته من عذاب يتضاعف آلامه ثم وصف
الكافرين بقوله الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة اي يختارون المقام في هذه الدنيا العاجلة على الكون في الآخرة وانما دخلت على هذا
المعنى ذمهم الله سبحانه بذلك لان الدنيا دار انتقال وفناء والآخرة دار مقام وبقاء ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون غيرهم من اتباع
الطريق المؤدي الى معرفة الله ويجوز ان يريد انهم يصرفون نفوسهم على اتباعها ويبغونها عوجا اي يطلبون الطريق عوجا اي عدولا عن
الاستقامة والسبيل يذكر ويؤنث وقيل معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لان نعمة الله لا تستمد الا بطاعته دون معصيته اولئك في
ضلال بعيد اي في عدول عن الحق بعيد عن الاستقامة والصواب قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم
فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور
وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل
فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ثلث آيات عراقي اربع في غيرهم
اللغة التذكر التعريض للذكر الذي هو خلاف السهو والصبار كثير الصبر الاعراب ان اخرج يحتمل ان يكون ان بمعنى اي على وجه التفسير

ويصلح ان يكون ان التى توصل بالافعال لانها وصلت ههنا بالامر والتاويل الخبر كما تقول انت الذى فعلت والمعنى انت الذى فعل سومكم سوء
العذاب جملة فى موضع الحال المعنى ثم بين سبحانه انه انما يرسل الرسل الى قومهم بلغتهم ليكون اقرب الى الفهم واقطع للعذر فقال وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم اى لم نرسل فيما مضى من الازمان رسولا الا بلغة قومهم حتى اذا بين لهم فهموا عنه ولا يحتاجون الى من
يترجم عنه وقد ارسل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وآله الى الخلق كافة بلسان قومه وهم العرب بدلالة قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
قال الحسن امتن الله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله انه لم يبعث رسولا الا الى قومه وبعثه خاصة الى جميع الخلق وبه قال مجاهد وقيل ان معناه كما ارسلناك الى
العرب بلغتهم لتبين لهم الدين ثم انهم يبينونه للناس كذلك ارسلنا كل رسول بلغة قومه ليظهر لهم الدين ثم استانف فقال فيضل الله من يشاء
عن طريق الجنة اذا كانوا مستحقين للعقاب ويهدى من يشاء الى طريق الجنة وقيل يلطف لمن يشاء ممن له لطف ويضل عن ذلك من لا لطف له
فمن تفكر وتدبر اهتدى وبثبته الله ومن اعرض عنه خذله الله وهو العزيز الحكيم ظاهر المعنى ثم ذكر سبحانه ارسال موسى عليه السلام فقال ولقد ارسلنا
موسى باياتنا اى بالمعجزات والدلالات ان اخرج قومك اى بان اخرج قومك من الظلمات الى النور معناه اى امرناه بذلك وانما اضاف
الاخراج اليه لانهم بسبب دعائه خرجوا من الكفر الى الايمان وذكرهم بايام الله فيه اقوال احدها ان معناه وامرناه بان يذكر قومه وقايع
الله فى الامم الخالية واهلاك من اهلك منهم ليحذروا ذلك عن ابن زيد والبلخى ويعضده قول عمرو بن كلثوم وايام لنا غر طوال عصينا الملك
فيها ان ندينا فيكون المعنى الايام التى انتقم الله فيها من القرون الاولى والثانى ان المعنى ذكرهم بنعم الله سبحانه فى سائر ايامه عن ابن عباس
وابى بن كعب والحسن ومجاهد وقتادة وروى ذلك عن ابى عبد الله عليه السلام والثالث انه يريد بايام الله وسننه وافعاله فى عباده من انعام
وانتقام وكنى بالايام عنها لانها ظرف لها جامعة لكل منهما عن ابى مسلم وهذا جمع بين القولين المتقدمين ان فى ذلك التذكير لايات لكل صبار
شكور اى دلالات لكل من عادته الصبر على بلاء الله والشكر على نعمائه وانما جمع بينهما لان حال المؤمن لا يخلو من نعمة يجب شكرها او محنة
يجب الصبر عليها فالشكر والصبر من خصال المؤمنين فكانه قال لكل مؤمن لان التكليف لا يخلو من الصبر والشكر واذ قال موسى لقومه
التقدير واذكر يا محمد اذ قال موسى لهم اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم اى فى الوقت الذى انجاكم من آل فرعون يسومونكم اى يذيقونكم سوء
العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم اى يستبقونهن احياء للاسترقاق وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم والاية مفسرة فى سورة البقرة
قال الفراء وانما دخلت الواو ههنا للعطف لانهم كانوا يعذبون انواعا من العذاب سوى الذبح فجاز العطف واذا حذفت الواو كان
يذبحون تفسيرا للعذاب قوله تعالى واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم
ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد * الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود * والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم
رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب * قالت
رسلهم افى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل
مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين *
اربع آيات فى الكوفى خمس فى غيرهم عد الكوفى وثمود آية اللغة التاذن الاعلام يقال اذن وتاذن ومثله اوعد وتوعد قال الحارث
بن حلزة آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء والنبأ الخبر عما يعظم شانه يقال لهذا الامر نبأ عظيم اى شان ومنبأ الله محمد صلى الله عليه وآله وتنبأ
مسيلمة الكذاب ادعى النبوة والريب اخبث الشك والمريب المتهم وهو الذى ياتى بما فيه التهمة يقال اراب يريب ارابة اذا اتى بما يوجب الريبة
الاعراب قوم نوح وما بعده مجرور بانه بدل من قوله الذين من قبلكم وفاطر مجرور بانه صفة لله فى قوله افى الله شك ومن فى قوله من ذنوبكم
للتبعيض وقيل ان من زائدة عن ابى عبيدة وانكر سيبويه زيادتها فى الواجب المعنى لما تقدم ذكر النعم اتبعه سبحانه بذكر ما يلزم عليها من الشكر
فقال واذ تاذن ربكم التقدير واذكروا اذ اعلم ربكم عن الحسن والبلخى وقيل معناه واذ قال ربكم عن ابن عباس وقيل اخبر ربكم عن الجبائى لئن شكرتم
لازيدنكم اى لئن شكرتم لى على نعمتى لازيدنكم فى النعم ولئن كفرتم اى جحدتم نعمتى ان عذابى لشديد لمن كفر نعمتى وقال ابو عبد الله عليه السلام فى هذه
الاية ايما عبد انعمت عليه نعمة فاقر بها بقلبه وحمد الله تعالى عليها بلسانه لم ينفد كلامه حتى يامر الله له بالزيادة وقال موسى ان تكفروا اى تجحدوا نعم الله
سبحانه انتم ومن فى الارض جميعا من الخلق لم يضر ذلك الله شيئا وانما يضركم ذلك لانكم تستحقون عليه العقاب فان الله سبحانه لغنى عن شكركم حميد



حزب ۳ جزو ۱۳

عشر

فى

١٢

في افعاله وقد يكون كفر النعمة بان يشبه الله بخلقه او يجوز في حكمه او يرد على نبي من انبيائه فان الله سبحانه قد انعم على خلقه في جميع ذلك بان
اقام الحجج الواضحة والبراهين الساطعة على صحته وعرض بالنظر فيها للثواب الجزيل الم يأتكم قيل ان هذا الخطاب متوجه الى امة نبينا محمد صلعم
فذكرت باخبار من تقدمها من الامم وقيل انه من قول موسى عم لانه متصل في الآية المتقدمة والمعنى الم يجيئكم نبأ الذين من قبلكم اي اخبار من
تقدمكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله اي لا يعلم تفاصيل احوالهم وعددهم وما فعلوه وفعل بهم من العقوبات الا الله
قال ابن الانباري ان الله تعالى اهلك امما من العرب وغيرها فانقطعت اخبارهم وعفت آثارهم فليس يعرفهم احد الا الله وكان ابن
مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون وقال ان النبي صلى الله عليه وآله كان لا يجاوز في انتسابه معد بن عدنان فعلى هذا يكون
قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله مبتدا وخبرا جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالادلة والحجج والاحكام والحلال والحرام فردوا ايديهم في
افواههم اختلفوا في معناه على اقوال احدها ان معناه عضوا على اصابعهم من شدة الغيظ لانه ثقل عليهم مكان الرسل عن ابن مسعود وابن
عباس والجبائي وثانيها ان معناه جعلوا ايديهم في افواه الانبياء تكذيبا لهم وردا لما جاؤوا به فالضمير في ايديهم للكفار وفي افواههم للانبياء فكانهم
لما سمعوا وعظ الانبياء وكلامهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل تسكيتا لهم عن الحسن ومقاتل وثالثها ان معناه وضعوا ايديهم على افواههم
مومين بذلك الى الرسل ان اسكتوا عما تدعوننا اليه كما يفعل الواحد منا مع غيره اذا اراد تسكيته عن الكلبي فيكون على هذا القول الضميران
للكفار ورابعها ان كلا الضميرين للرسل اي اخذوا ايدي الرسل فوضعوها على افواههم ليسكتوا ويقطعوا كلامهم فسكتوا عنهم لما يئسوا منهم
هذا كله اذا حمل معنى الايدي والافواه على الحقيقة ومن حملها على التوسع والمجاز فاختلفوا في معناه فقيل المراد باليد ما نطقت به الرسل
من الحجج والمعنى ردوا حججهم من حيث جاءت لان الحجج تخرج من الافواه عن ابي مسلم وقيل ان المعنى ردوا ما جاءت به الرسل وكذبوهم عن مجاهد
وقتادة وقيل المعنى تركوا ما امروا به وكفوا عن قبول الحق عن ابي عبيدة والاخفش قال القتيبي ولم يسمع احد ان العرب تقول رد يده في
فيه بمعنى ترك ما امر به وانما المعنى انهم عضوا على الايدي حنقا وغضبا كقول الشاعر يردون في فيه عشر الحسود يعني انهم يغيظون الحسود
حتى يعض على اصابعه العشر وقال آخر قد افنى انا ... فاضحى يعض على الوظيفا وقيل المعنى ردوا بافواههم نعم الرسل اي وعظهم وبيانهم
فوقع في موقع الباء عن مجاهد وقال الفراء انشدني بعضهم وارغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنني عن سنبس لست ارغب فاذا اراد ارغب بها يعني
بنتاله يقول ارغب بها عن رهطه وقبيلته وقالوا انا كفرنا اي جحدنا بما ارسلتم به اي برسالتكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الدين مريب منهم
اي يوقعنا في الريب بكم انكم تطلبون الرياسة وتفترون الكذب قالت لهم رسلهم حينئذ افي الله شك مع قيام الادلة على وحدانيته وصفاته
فاطر السموات والارض اي خالقهما ومنشئهما لا يقدر على ذلك غيره فوجب ان يعبد وحده ولا يشرك به من لا يقدر على اختراع الاجسام
يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان فيه لينفعكم لا لينضر به وقال من ذنوبكم يعني ليغفر لكم بعض ذنوبكم لانه يغفر ما دون الشرك
ولا يغفر الشرك وقال الجبائي دخلت من للتبعيض ووضع البعض موضع الجميع توسعا ويؤخركم الى اجل مسمى اي يؤخركم الى الوقت الذي
ضربه الله لكم ان يميتكم فيه ولا يؤاخذكم بعاجل العقاب قالوا اي قال لهم قومهم ان انتم الا بشر مثلنا اي خلق مثلنا تريدون ان تصدونا
اي تمنعونا عما كان يعبد آباؤنا من الاصنام والاوثان فاتونا بسلطان مبين اي بحجة واضحة على صحة ما تدعونه وبطلان ما نحن فيه وانما قالوا
ذلك لانهم اعتقدوا ان جميع ما جاءت به الرسل من المعجزات ليست بمعجزة ولا دلالة وقيل انهم طلبوا معجزات مقترحات سوى ما ظهرت
فيما بينهم وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يريد الكفر والشر وانما يريد الايمان والخير وانه انما بعث الرسل الى الكفار رحمة وانعاما عليهم
ليؤمنوا فانه قال يدعوكم ليغفر لكم قوله تعالى قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا
أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا
آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۞ آيتان المعنى ثم حكى سبحانه جواب الرسل للكفار فقال قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم في الصورة
والهيئة ولسنا ملائكة ولكن الله يمن على من يشاء من عباده اي ينعم عليهم بالنبوة ويخصهم بالمعجزة ولقد من الله علينا ببعثنا انبياء وما كان
لنا ان نأتيكم بسلطان اي بحجة على صحة دعوانا الا باذن الله اي بامره واطلاقه لنا في ذلك وعلى الله فليتوكل المؤمنون المصدقون به
وبانبيائه وما لنا الا نتوكل على الله معناه واي شيء لنا اذا لم نتوكل على الله ولم نفوض امورنا اليه وعلى هذا يكون ما للاستفهام وقيل ان معناه

ع ١٤

ولا وجه لنا ولا عذر لنا فى ان لا نتوكل على الله ولا نثق به فيكون ما للنفى واذا كان للاستفهام فمعناه النفى ايضا وقد هدانا سبلنا اى عرفنا طريق
التوكل وقيل معناه هدانا الى سبيل الايمان ودلنا على معرفته ووفقنا لتوجيه العبادة اليه وان لا نشرك به شيئا وضمن لنا على ذلك جزيل
الثواب والمراد انا اى كنا مهتدين فلا ينبغى لنا ان لا نتوكل على الله ولنصبرن على ما اذيتمونا فانه نعم يكفينا امركم وينصرنا عليكم وعلى الله فليتوكل
المتوكلون فانما قص هذا وامثاله فى القرآن على نبينا صلى الله عليه وآله ليقتدى بمن كان قبله من المرسلين فى تحمل اذى المشركين والصبر على ذلك والتوكل
وروى الواقدى باسناده عن ابى مريم عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا آذاك البراغيث فخذ قدحا من ماء فاقرء عليه
سبع مرات وما لنا ان لا نتوكل على الله الآية فان كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم واذاكم عنا ثم ترش الماء حول فراشك فانك تبيت تلك الليلة آمنا
من شرها قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ
وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ
وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ مَثَلُ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ
خمس آيات القراءة فى الشواذ قراءة ابن عباس ومجاهد وابن محيصن واستفتحوا وقراءة ابن ابى اسحق فى يوم عاصف بالاضافة الحجة
قوله استفتحوا معطوف على ما سبق من قوله فاوحى اليهم ربهم اى قال لهم استفتحوا اى استنصروا الله عليهم واستقضوه بينكم وفى الحديث
كان عليه السلم يستفتح بصعاليك المهاجرين اى يستنصر بهم وقيل معناه انه يقدمهم ويبدأ بهم وسموا القاضى فتاحا لانه يفتح باب
الحق الذى هو منسد فيحمل عليه واما قوله فى يوم عاصف فمعناه فى يوم ريح عاصف فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وكذلك فى
قراءة الجماعة فى يوم عاصف العاصف هو الريح لا اليوم اللغة الاستفتاح طلب الفتح بالنصر والخيبة اخلاف ما قدر من النفع
وضدها النجاح وهو ادراك الطلبة والجبار طالب علو المنزلة بما ليس له غاية فى الوصف واذا وصف العبد بانه جبار كان ذما واذا
وصف به الله سبحانه كان مدحا لان له علو المنزلة بما ليس وراءه غاية فى الصفة والعنيد مبالغة العاند والعناد الامتناع من الحق
مع العلم به كبرا وبغيا قال الشاعر اذا نزلت فاجعلانى وسطا انى كبير لا اطيق العندا والوراء والخلف واحد وهو الجهة المقابلة لجهة القدام
وقد يكون وراءه بمعنى امامه قال ايرجو بنو مروان سمعى وطاعتى وقومى تميم والفلاة ورائيا قال الزجاج الوراء ما توارى عنك وليس من
الاضداد وقال النابغة حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب والصديد القيح يسيل من الجرح اخذ من انه يصد عنه تكرها له
والقيح دم مختلط بمدة وقوله صديد بيان للماء الذى يسقون فلذلك اعرب باعرابه والتجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار
والاساغة اجراء الشراب فى الحلق يقال ساغ الشئ واسغته والاشتداد الاسراع بالحركة على عظم القوة يقال اشتد به الوجع من هذا لانه
اسرع اليه على قوة المرالمد ويوم عاصف شديد الريح والعصف شدة الريح وانما جعل العصف صفة لليوم لانه يقع فيه كما يقال ليل نائم
ويوم ماطر ويجوز ان يكون المراد يوم عاصف ريحه ومثله جحر ضب خرب اى خرب جحره الاعراب او فى قوله او لتعودن بمعنى الا ان كما
يقال لا اكلمك او تعتذر وقال الفراء لا يكاد يستعمل فيما يقع وفيما لا يقع فما يقع مثل قوله ولا يكاد يسيغه وما لم يقع مثل قوله لم يكد يراها لان
المعنى لم يراها مثل الذين كفروا تقديره فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربهم فيكون رفعا بالابتداء ويجوز ان يكون مثل لانك قلت الذين كفروا
بربهم واعمالهم رفع على البدل وهو بدل الاشتمال وكرماد الجزيرة المعنى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا اى من بلادنا او لتعودن
فى ملتنا اى الا ان ترجعوا الى اديانا ومذاهبنا التى نحن عليها فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين اى فاوحى الله الى رسله لما ضاقت صدورهم بما القوا
من قومهم انا نهلك هؤلاء الظالمين الكافرين ولنسكننكم الارض من بعدهم اى نسكنكم ارضهم من بعدهم يريد اصبروا فانى اهلك عدوكم
واورثكم ارضهم وفى معناه ما جاء فى الحديث من اذى جاره اورثه الله داره ذلك لمن خاف مقامى اى ذلك العز لمن خاف وقوفه للحساب
والجزاء بين يدى فى الموضع الذى اقيمه فيه فاضاف المقام الى نفسه لانهم يقومون بامره وخاف وعيدى اى عقابى وانما قالوا او لتعودن
فى ملتنا وهم لم يكونوا على ملتهم قط واما لانهم توهموا على غير حقيقة انهم كانوا على ملتهم واما لانهم ظنوا بالنشو انهم كانوا عليها واستفتحوا اى
طلبت الرسل الفتح والنصر من قبل الله تعالى على الكفار عن مجاهد وقتادة وقيل هو سؤالهم ان يحكم الله بينهم وبين اممهم لان الفتح الحكم والفتاح

خمس

١٣

الحاكم عن الجبائي وخاب كل جبار عنيد اي خسر كل متكبر معاند مجانب للحق دافع له وقيل معناه واستفتح الكفار العذاب الذي توعدهم به الانبياء

على جهة التكذيب لهم من ورائه جهنم اي جهنم بين يدي هذا الجبار عن الزجاج اي له جهنة نار جهنم بين يديه وقيل معناه من خلفه ويسقى من

ماء صديد وانما جاز في الزمان ان يسمى الامام وراء وان لم يجز في غيره لان الزمان المستقبل كانه خلفهم لانه ياتي فيلحقهم كما يلحق الانسان من

خلفه ويسقى من ماء صديد اي يسقى مما يسيل من الدم والقيح من فروج الزواني في النار عن ابي عبد الله ع واكثر المفسرين اي لونه لون الماء و

طعمه طعم الصديد وروى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وآله عن قوله يسقى من ماء صديد قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه

ووقع فروة راسه فاذا شرب قطع امعاءه حتى يخرج من دبره لقول الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا

بماء كالمهل يشوي الوجوه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من شرب الخمر لم يقبل له صلوة اربعين يوما فان مات وفي بطنه شيء من ذلك

كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من طينة خبال وهو صديد اهل النار وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدور جهنم فيشربه اهل النار

فيصهر به ما في بطونهم والجلود وروى شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق ع عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله يتجرعه اي يشرب ذلك

الصديد جرعة جرعة ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يشربه تكرها وهو يشربه فالمعنى انه يتغصصه لا يقبله لحرارته ونتنه ولكن يكره عليه ويأتيه

الموت من كل مكان اي تاتيه شدائد الموت وسكراته من كل موضع من جسده ظاهره وباطنه حتى ياتيه من اطراف شعره عن ابرهيم التيمي وابن

جريج وقيل يحضره الموت من كل موضع ويأخذه من كل جانب من فوقه وتحته وعن يمينه وشماله ومن قدامه وخلفه عن ابن عباس والجبائي وما هو

بميت اي ومع اتيان اسباب الموت والشدائد التي يكون معها الموت من كل جهة وانواع العذاب التي كان يموت بدونها في الدنيا ولا يموت

فيستريح وهذا كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا ومن ورائه اي من وراء هذا الكافر عذاب غليظ وهو الخلود في النار وقيل معناه ومن بعد هذا العذاب الذي

سبق ذكره عذاب اوجع واشد مما تقدم عن الكلبي ثم اخبر سبحانه عما ينال الكفار من الحسرة فيما تكلفوه من الاعمال فقال مثل الذين كفروا بربهم

قيل ان معناه مثل اعمال الذين كفروا بربهم فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه عن الفراء وقيل معناه مما نقص عليك مثل الذين

كفروا عن سيبويه اعمالهم في قلة انتفاعهم بها كرماد اشتدت به الريح اي ذرته ونسفته في يوم عاصف اي شديد الريح فكما لا يقدر احد على جمع

ذلك الرماد المتفرق والانتفاع به فكذلك هؤلاء الكفار لا يقدرون مما كسبوا على شيء اي لا يقدرون على الانتفاع باعمالهم ومثله قوله وقدمنا

الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ذلك هو الضلال البعيد يعني ان عملهم ذلك هو الذهاب البعيد عن النفع وقيل الخطاء البعيد عن

الصواب عن ابن عباس وفي هذه الاية دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة لانه اضاف العمل اليهم ولو كان مخلوقا له سبحانه لما صح اضافته اليهم

قوله تعالى الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص

عشر

ع ١٥

ثلث آيات في الكوفي والمدني الاول آيتان عند غيرهم **القراءة** قرأ خالق السموات

ههنا وفي النور اهل الكوفة غير عاصم والباقون خلق **الحجة** قال ابو علي من قرأ خلق فلان ذلك فعل ماض فاخبر عنه بلفظ الماضي فمن قرأ خالق

على اسم الفاعل جعله مثل فاطر السموات لان فاطر بمعنى خالق **اللغة** البروز خروج الشيء عما كان ملتبسا به الى حيث يقع عليه الحس يقال

برز للقتال اذا ظهر له والضعفاء جمع ضعيف والضعف نقصان القوة يقال اضعفه فضعف والاستكبار والتكبر والتجبر واحد وهو

رفع النفس فوق مقدارها في الوصف والتبع جمع تابع كالغيب جمع غائب قال الزجاج ويجوز ان يكون مصدرا وصف به فيكون بمعنى ذوي

تبع اغنى عنه اي دفع عنه اغناه اي بقى الحاجة بما فيه كفايته وحاص يحيص حيصا وحيوصا مثل حاد واحيد الزوال عن المكروه والجزع انزعاج

النفس بورود ما يغم ونقيضه الصبر قال فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان **المعنى** ثم بين سبحانه انه انما خلق الخلق ليعبدوه

وليثيبهم به لا ليكفروا فقال الم تر اي الم تعلم لان الرؤية قد تكون بمعنى العلم كما تكون بمعنى الادراك بالبصر وهنا لا يمكن ان يكون بمعنى الرؤية

بالبصر والخطاب للنبي ص والمراد به الامة ان الله خلق السموات والارض على ما تقتضيه الحكمة والخلق فعل الشيء على تقدير وترتيب بالحق اي بقوله

الحق وقيل اراد للحق اي للغرض الصحيح والامر الحق وهو الدين والعبادة اي ليعبدوه فيستحقوا به الثواب عن ابن عباس والجبائي ان يشأ يذهبكم

ويأت بخلق جديد اي ان يشأ يهلككم ويفنكم ويخلق قوما آخرين مكانكم لان من قدر على بناء الشيء كان على هدمه اقدر اذ لم يخرج من كونه قادرا

وما ذلك على الله بعزيز اي وما اهلاككم والاتيان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر على الله تعالى وبرزوا لله جميعا اخبر سبحانه ان الخلق يبرزون يوم القيمة لله اى يظهرون من قبورهم ويخرجون منها لحكم الله فاللفظ للماضي والمراد الاستقبال للتحقيق وصحة الوقوع وقيل معناه سيبرزون لله جميعا القادة والاتباع والمتبوعين والجاحدين وقال من ابن عباس وهو متصل بقوله ولا يكاد يسيغه لما تقدم ذلك الوعيد بين صفة ذلك اليوم وما يجرى بين الاتباع والمتبوعين والجاحدين وقال فقال الضعفاء للذين استكبروا اى تكبروا عن الايمان فلم يؤمنوا وهم القادة فى الدنيا الذين هم الاكابر والرؤساء والقادة فى الدين الذين هم علماء انا كنا لكم تبعا فى الكفر على وجه التقليد فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ اي هل انتم دافعون عنا شيئا من عذاب الله بعد الذى قد نزل بنا ان لم تقدروا على دفع الكل ومن للتبعيض قالوا لو هدينا الله الطريق الخلاص من العقاب والوصول الى النعيم والثواب لهديناكم الى ذلك والمعنى لو خلصنا لخلصناكم ايض لكن لا مطمع فيه لنا ولكم عن الجبائى وابي مسلم وقيل معناه لو هدانا الله الى الرجعة الى الدنيا لنصلح ما افسدناه لهديناكم وقيل لو هدينا الله باجابتنا الى الطلب لهديناكم بالمسئلة له سبحانه ذكر هذين الوجهين القاضي عبد الجبار فى تفسيره سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص يعنى ان الصبر والجزع سيان مثلان ليس لنا محيد ولا مهرب من عذاب الله تعالى اى ان انقطعت حيلتنا ويئسنا من النجاة حث الله سبحانه فى هذه الآية على النظر وحذر من التقليد والى هذا اشار امير المؤمنين عم فى قوله للحرث الهمدانى يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم ● آية القراءة قرا حمزة وحده بمصرخي بكسر الياء والباقون بفتحها الحجة قال ابو على قال الفراء فى كتابه فى التصريف هو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب قال وزعم القسم بن معن انه صواب قال وكان ثقة بصيرا وزعم قطرب انه لغة فى بنى يربوع يزيدون على ياء الاضافة ياء وانشد ماض اذا ما هم بالمضي قال لها هل لك يا تا فيّ قالت له ما انت بالمرضيّ وانشد الفراء ذلك ايض ووجه ذلك من القياس ان الياء ليست تخلو من ان تكون فى موضع نصب او جر فالياء فى النصب والجر كالهاء فيهما وكالكاف فى اكرمتك وهذا لك فكما ان الهاء قد لحقتها الزيادة فى هذا لهو ولحق ايضا الكاف الزيادة فى قوله من قال اعطيتكاه واعطيتكه فيما حكاه سيبويه وهما اختا الياء كذلك الحقوا الياء الزيادة فى المد فقالوا فيّ ثم حذفت الياء الزائدة على الياء كما حذفت الزيادة من الهاء فى قول من قال له ارقان وزعم ابو الحسن انها لغة كما حذف الزيادة من الكاف فى قول من قال اعطيتكه كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء كما حذفت من اختيها واقرت الكسرة التى كانت على الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت عليها من الكسرة وكما لحقت الكاف والهاء والياء الزيادة كذلك لحقت التاء الزيادة فى نحو قول الشاعر رميتيه فاصبت وما اخطأت الرمية فاذا كانت هذه الكسرة فى الياء على هذه اللغة وان كان غيرها افشى منها وعضده من القياس ما ذكرناه لم يجز لقائل ان يقول ان القراءة بذلك لحن لاستقصاء ذلك فى السماع والقياس قال البصير كسر الياء ليكون طبقا لكسرة همزة قوله انى كفرت لانه اراد الوصل دون الوقف والابتداء بانى لان الابتداء بانى كفرت محال فلما اراد هذا المعنى كان كسر الياء ادل على هذا من فتحها اللغة الاصراخ الاغاثة باجابة الصارخ يقال استصرخني فلان فاصرخته اي استغاث بي فاغثته المعنى لما تقدم وعيد الكفار وصفة يوم الحشر وما يجرى فيه من الجدال بين الاتباع والمتبوعين عقب ذلك سبحانه بكلام الشيطان فى ذلك اليوم فقال وقال الشيطان وهو ابليس باتفاق المفسرين يقول لاوليائه الذين اتبعوه لما قضى الامر اى فرغ من الحكم بين الخلائق ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار عن ابن عباس والحسن وقال انه يخطبهم بذلك قال الحسن وهو احقر واذل من ان يخطب لولا ان الله اذن له فيه توبيخا لاهل النار وقيل انه يوضع له منبر فى النار فيرقاه ويجتمع الكفار عليه بالائمة عن مقاتل ان الله وعدكم وعد الحق من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب ووعدتكم ان لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار وقيل وعدتكم الخلاص من العقاب بارتكاب المعاصى فاخلفتكم اى كذبتكم وقيل لم اوف لكم بما وعدتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم اى ما كان لي عليكم سلطان الاكراه والاجبار على الكفر والمعاصى وانما كان لي سبيل الوسوسة والدعوة فاستجبتم لي بسوء اختياركم وقيل ان معناه ما اظهرت لي حجة احتج بها عليكم الا ان دعوتكم فيكون هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه لكن دعوتكم الى الضلال واغويتكم فصدقتموني واجبتموني وصدقتم مقالتى بسوء اختياركم لانفسكم فلا تلوموني على ما حل بكم من العقاب بسوء اختياركم ولوموا انفسكم حيث عدلتم عن امر الله الى اتباعي من غير دليل

وبهاك ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اى ما انا بمغيثكم وما انتم بمغيثي ولا بمعيني الى كفرت بما اشركتمون من قبل اى انى كفرت الايمان بما كان من اشراككم
اياى مع الله فى الطاعة انى جحدت ان اكون لله شريكا فيما اشركتموني فيه من قبل هذا اليوم وقال الفراء وجماعه تقديره انى كفرت بما اشركتمونى به اى
بالله وتعلق بقوله من قبل فى وقت آدم حين امر بالسجود فابى واستكبر ان الظالمين لهم عذاب اليم قيل انه من تمام قول الشيطان لاهل النار وقيل
وقيل انه ابتداء وعيد من الله تعالى لهم وهو الاظهر وفى هذه الآية دلالة على ان الشيطان لا يقدر على اكثر من الدعاء والاغواء وانه ليس عليه
عقاب معاصيهم وانما عليه عقاب الدعوة فحسب قوله تعالى وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي
أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ
اربع آيات فى الكوفى والبصرى وثلث آيات فى الباقين تمام الثانيه فى السماء القراءة فى الشواذ قراءة الحسن وادخل الذين آمنوا برفع اللام الحجة
قال ابن جنى هذه القراءة على ان ادخل من كلام الله تعالى كانه قطع الكلام واستونف فقال الله انا ادخل المؤمنين جنات وعلى هذا فقوله باذن
ربهم اى باذنى الا انه اعاد ذكر الرب ليضيفه اليهم فيكون اذهب فى الاكرام والتقرب منه لهم اللغة التحية التلقى بالكرامة فى المخاطبة واما قوله
التحيات لله فان فى ذلك ثلثة اقوال اولها ان المعنى الملك لله تعالى حياك الله اى ملكك الله وثانيها البقاء لله يقال حياك الله اى ابقاك
فيكون بمعنى احياك كما يقال وصى واوصى ومهل وامهل وثالثها ان ذلك بمعنى السلام قال القتيبى وانما جمع لانه كان فى الارض ملوك يحيون
بتحيات مختلفه فيقال لبعضهم ابيت اللعن ولبعضهم اسلم وانعم ولبعضهم عش الف سنة فقيل لنا قولوا التحيات لله اى كل الالفاظ التى تحيى بها
الملوك هى لله والاجتثاث اقتلاع الشىء من اصله يقال جثه واجتثه والجثه اخذت منه المعنى لما تقدم وعيد الكافرين عقبه سبحانه
بالوعد للمؤمنين فقال وادخل الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله وعملوا الصلحات اى الطاعات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها قد
سبق معناه باذن ربهم اى بامر ربهم واطلاقه تحيتهم فيها سلام مر تفسيره فى سورة يونس ثم ضرب سبحانه مثلا يقرب من افهام السامعين ترغيبا
للخلق فى اتباع الحق فقال الم تر اى الم تعلم يا محمد كيف ضرب الله مثلا اى بين الله شبها ثم فسر ذلك المثل فقال كلمة طيبة وهى كلمة التوحيد شهادة ان
لا اله الا الله عن ابن عباس وقيل هى كل كلام امر الله به من الطاعات عن ابى على قال وانما سماها طيبه لانها زاكية ناميه لصاحبها بالخيرات والبركات كشجرة
طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء اى شجرة زاكيه راسخه اصولها فى الارض عاليه اغصانها وثمارها فى جانب السماء واراد به المبالغة فى الرفعة فالاصل
سافل والفرع عال الا انه يتوصل من الاصل الى الفرع وروى انس عن النبى ص ان هذه الشجرة الطيبة هى النخلة وقيل انها شجرة فى الجنة عن ابن عباس
وروى ابن عقدة عن ابى جعفر عليه السلم ان الشجرة رسول الله ص وفرعها علي وغصن الشجرة فاطمة وثمرها اولادها واغصانها وورقها شيعتها
ثم قال ع ان الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقه وان المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة ورقة وروى عن ابن
عباس قال قال جبرائيل ع للنبي صلى الله عليه وآله انت الشجرة وعلى غصنها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ع ثمارها وقيل اراد بذلك شجرة هذه صفتها
وان لم يكن لها وجود فى الدنيا لكن الصفة معلومه وقيل ان المراد بالكلمة الطيبه الايمان وبالشجرة الطيبة المؤمن تؤتى اكلها كل حين اى تخرج هذه
الشجرة ما يوكل منها كل حين اى فى كل ستة اشهر عن ابن عباس وابى جعفر ع وبه قال الحسن وسعيد بن جبير واراد بذلك انه يوكل ثمرها فى الصيف وطلعها
فى الشتاء وما بين صرام النخلة الى حملها ستة اشهر وقال مجاهد وعكرمة كل حين اى كل سنه لانها تحمل فى كل سنه مرة وقال سعيد بن المسيب فى كل
شهرين لان من اول وقت ما يطعم النخل الى صرامه يكون شهرين وقيل لان من وقت يصرم النخل الى حين يطلع يكون شهرين وقال الربيع بن انس
كل حين اى كل غدوة وعشية وروى ذلك عن ابن عباس ايض وقيل معناه فى جميع الاوقات لان ثمر النخل يكون اولا طلعا ثم يصير بلحا ثم بسرا ثم
رطبا ثم تمرا فيكون ثمره موجودة فى الاوقات كلها ويدل على ان الحين بمنزلة الوقت قول النابغة فى صفة الحية والملدوغ يبادرها الراقون من سوء
سمها حينا ويطلقه حينا يراجع يعنى ان السم يخف المه وقتا ويعود وقتا وقيل انه سبحانه شبه الايمان بالنخلة لثبات الايمان فى قلب المؤمن
كثبات النخلة فى منبتها وشبه ارتفاع عمله الى السماء بارتفاع فروع النخلة وشبه ما يكتسبه المؤمن من بركة الايمان وثوابه فى كل وقت وحين بما ينال
من ثمرة النخلة فى اوقات السنة كلها من الرطب والتمر وقيل ان معنى قوله تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ما يفتى به الائمة من آل محمد شيعتهم فى
الحلال والحرام ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون اى لكى يتذكروا فيعرفوا الغرض بالمثل ومثل كلمة خبيثة وهى كلمة الشرك والكفر

عن ابن عباس وغيره وقيل هو كل كلام في معصية الله تعالى عن ابي علي كشجرة خبيثة غير زاكية وهي شجرة الحنظل عن ابن عباس وانس ومجاهد وقيل انها
شجرة هذه صفتها وهو انه لا قرار لها في الارض عن الحسن وقيل انها الكشوث عن الضحاك وروى عن ابي الجارود عن ابي جعفر عم ان هذا مثل بني
اميه اجتثت من فوق الارض اي قطعت واستوصلت واقتلعت جثته من الارض ما لها من قرار اي ما لتلك الشجرة من ثبات فان الريح تنسفها
وتذهب بها فكما ان هذه الشجرة لا ثبات لها ولا بقاء ولا ينتفع بها احد فكذلك الكلمة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها ولا يثبت له منها نفع ولا ثواب
وروى عن ابن عباس ايضا انها شجرة لم يخلقها الله تعالى بعد وانما هذا مثل ضربه وهذا القول حسن لان الحنظل وغيره قد ينتفع به في الادوية

قوله تعالى يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّٰهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّٰهُ مَا يَشَاءُ اَلَمْ تَرَ اِلَى
الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ كُفْرًا وَاَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ وَجَعَلُوا لِلّٰهِ اَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ
قُلْ تَمَتَّعُوا فَاِنَّ مَصِيرَكُمْ اِلَى النَّارِ اربع آيات اللغة الاحلال وضع الشيء في محله اما بمجاورة ان كان من قبيل الاجسام
او بمداخلة ان كان من قبيل الاعراض والبوار الهلاك يقال بار الشيء يبور بورا اذا هلك ورجل بور اي هالك وقوم بور ايضا قال ابن الزبعرى
يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور والانداد الامثال المنادون قال فهدى روس المترفين الانداد الى امير المؤمنين الممتاد
الاعراب جهنم انتصب على البدل من قوله دار البوار ويصلونها في موضع نصب على الحال من قومهم وان شئت كان حالا من جهنم وان شئت
فمنها كقوله محله يعد قوله فانت به قومها المعنى لما قدم سبحانه ذكر الكلمة الطيبة عقبه بذكر ما يحصل لصاحبها من المثوبة والكرامة فقال
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا اي يثبتهم في كرامته وثوابه بقولهم الثابت الذي وجد منهم وهو كلمة الايمان لانه ثابت
بالحجج والادلة وقيل معناه يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحسن سيئتها في الحيوة الدنيا حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الحق
ويثبتهم بها في الآخرة حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الجنة وقيل معناه يثبتهم بالتمكين في الارض والنصرة والفتح في الدنيا وباسكانهم الجنة
في الآخرة عن ابي مسلم وقال اكثر المفسرين ان المراد بقوله في الآخرة في المقبرة والآية وردت في سوال القبر وهو قول ابن عباس وابن مسعود
وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم وروى محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الكافي باسناده عن سويد بن غفلة عن امير المؤمنين عم قال ان ابن
آدم اذا كان في آخر يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة مثل له ماله وولده وعمله فيلتفت الى ماله فيقول والله اني كنت عليك حريصا شحيحا فما لي
عندك فيقول خذ مني كفنك فيلتفت الى ولده فيقول والله اني كنت لكم محبا وعليكم لحاميا فما لي عندكم فيقولون نؤديك الى حفرتك نواريك
فيها قال فيلتفت الى عمله فيقول والله اني كنت فيك لزاهدا وانك كنت علي لثقيلا فما لي عندك فيقول انا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى اعرض انا
وانت على ربك قال وان كان لله وليا اتاه اطيب الناس ريحا واحسنهم منظرا واحسنهم رياشا فقال ابشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك
خير مقدم فيقول له من انت فيقول انا عملك الصالح ارتحل من الدنيا الى الجنة وانه ليعرف غاسله ويناشد حامله ان يعجله فاذا ادخل قبره اتاه ملكا
القبر يجران اشعارهما ويخدان الارض بانيابهما اصواتهما كالرعد القاصف ابصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول الله ربي وديني الاسلام ونبيي محمد صلى فيقولان له ثبتك الله فيما تحب وترضى وهو قوله سبحانه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ثم يفسحان له في قبره مد بصره ثم يفتحان له بابا الى الجنة ثم يقولان له نم قرير العين نوم الشاب الناعم فان الله تعالى
يقول اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا قال واذا كان لربه عدوا فانه يأتيه اقبح خلق الله زيا وانتنه ريحا فيقول ابشر بنزل من
حميم وتصلية جحيم وانه ليعرف غاسله ويناشد حملته ان يحبسوه فاذا ادخل قبره اتاه ملكا القبر فالقيا اكفانه ثم يقولان له من ربك وما
دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقولان له لا دريت ولا هديت فيضربانه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله من دابة الا تذعر لها ما خلا
الثقلين ثم يفتحان له بابا الى النار ثم يقولان له نم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج حتى ان دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه
ويسلط الله عليه حيات الارض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وانه ليتمنى قيام الساعة لما هو فيه من الشر نعوذ بالله من
عذاب القبر ويضل الله الظالمين اي يضلهم عن هذا التثبيت في الدنيا وفي الآخرة ويفعل الله ما يشاء من الامهال والانتقام وضغطة القبر
ومسائلة منكر ونكير لا اعتراض عليه في ذلك ولا قدح لاحد على منعه هذا تمام الترغيب والترهيب ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله
فقال الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا يحتمل ان يكون المراد الم تر الى هؤلاء الكفار عرفوا نعمة الله بمحمد صلى اي عرفوا محمدا ثم كفروا به فبدلوا

حزب

ع ١٦

عشر

١٥

مكان شكرها كفرا وروي عن الصادق ع انه قال نحن والله نعمة الله التي انعم الله بها على عباده وبنا يفوز من فاز ذكره علي بن ابرهيم في تفسيره ويحتمل
ان يكون المراد جميعا نعم الله تعالى على العموم بدلوها اقبح التبديل فجعلوا مكان شكرها الكفر بها واختلف في المعنى بالآية فروي عن امير المؤمنين ع
وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك انهم كفار قريش كذبوا نبيهم ونصبوا له الحرب والعداوة وسأل رجل امير المؤمنين ع عن هذه
الآية فقال هما الافجران من قريش بنو امية وبنو المغيرة فاما بنو امية فمتعوا الى حين واما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وقيل انهم جبلة بن الايهم
ومن اتبعه من العرب تنصروا ولحقوا بالروم واحلوا قومهم دار البوار اي انزلوا قومهم دار الهلاك بان اخرجوهم الى بدر وقيل انزلوهم دار الهلاك
وهو النار بدعائهم اياهم الى الكفر بالنبي ص واغوائهم اياهم جهنم يصلونها فبئس القرار هذا تفسير دار البوار يعني ان تلك الدار هي جهنم
يدخلونها وبئس القرار قرار من قراره النار وجعلوا لله اندادا اي وجعل هؤلاء الكفار الذين بدلوا نعمة الله كفرا لله بطلا وامثالا في العبادة
زيادة على كفرهم وجحدهم ليضلوا عن سبيله اي ليكون عاقبة امرهم الى الضلال الذي هو الهلاك وليست هذه اللام لام الغرض لانهم لم يعبدوا
الاوثان من دون الله وغرضهم ان يهلكوا ومن قرأ ليضلوا بضم الياء فمعناه ليضلوا الناس عن سبيل الله ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله
قل لهؤلاء الكفار الذين وصفناهم تمتعوا وانتفعوا بما يكون لهؤلاء من عاجل هذه الدنيا والمراد به التهديد وان كان بصورة الامر فان مصيركم
اي مرجعكم ومآلكم الى النار وانكم فيها معذبون قوله تعالى قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ
وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۞ وَسَخَّرَ
لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۞ اربع آيات
في الكوفي والمدني ثلث في غيرهم القراءة قرأ زيد عن يعقوب من كل ما سألتموه بالتنوين وهو قراءة ابن عباس والحسن ومحمد بن علي الباقر و
جعفر بن محمد الصادق عليهم السلم والضحاك وعمرو بن فايد وقرأ سائر القراء من كل ما سألتموه بالاضافة الحجة اما القراءة بالتنوين فان المفعول
فيها ملفوظ به اي وآتاكم ما سألتموه من كل شيء سألتموه ان يؤتيكم منه وقال الضحاك ان ما للنفي ومعناه وآتيكم من كل شيء لم تسألوه اياه واما القراءة
على الاضافة فالمفعول فيها محذوف اي وآتاكم شيئا لكم من كل شيء سألتموه اللغة الخلال مصدر خاللته مخالة وخلالا اي صادقته قال امرء
القيس صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقلي الخلال ولا قالي وقد يكون الخلال جمع خلة فيكون مثل قلة وقلال والدؤب مرور
الشيء في العمل على عادة جارية فيه يقال داب يداب دابا ودؤبا فهو دائب الاعراب يقيموا جزم من ثلثة اوجه احدها انه جواب الامر الذي
هو قل لان المعنى في قل ان تقل لهم يقيموا الصلوة والثاني انه جواب امر محذوف تقديره قل لعبادي اقيموا الصلوة يقيموا الصلوة الثالث انه
على حذف لام الامر كانه قال قل لعبادي ليقيموا الصلوة وانما جاز حذف اللام هنا لان في الكلام دليلا على المحذوف الا ترى ان لفظ الامر قبل
قد دل على الغائب تقول قل لزيد ليضرب عمرا وان شئت قلت قل لزيد يضرب عمرا ولا يجوز ان يكون يضرب نائبا يضرب عمرا بالجزم حتى
تقول ليضرب لان لام الغائب ليست هنا عوض منها اذا حذفتها وقوله لا بيع فيه ولا خلال ان شئت رفعت البيع والخلال جميعا وان شئت
فتحتهما وان شئت فتحت احدهما ورفعت الآخر وقد شرحنا ذلك فيما مضى المعنى قل يا محمد لعبادي الذين آمنوا اي اعترفوا بتوحيد الله وعدله
عني به اصحاب النبي صلى الله عليه وآله عن ابن عباس وقيل اراد جميع المؤمنين عن الجبائي يقيموا الصلوة اي يؤدوا الصلوات الخمس لمواقيتها فان
الصلوة لا تصير قائمة الا باقامتهم وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اي وقل لهم ينفقوا من اموالهم من وجوه البر من الفرايض والنوافل ينفقون
في النوافل ينفقون في النوافل سرا ليدفعوا عن انفسهم تهمة الرياء وفي الفرايض علانية ليدفعوا تهمة المنع من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه يعني يوم القيمة
والمراد بالبيع اعطاء البدل ليتخلص به من النار لان هناك مبايعة ولا خلال اي ولا مصادقة وهذا مثل قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين ثم بين سبحانه انه المستحق للالهية فقال الله الذي خلق السموات والارض اي انشاهما من غير شيء وبدا بذكرهما لعظم شانهما
في القدرة والنعمة وانزل من السماء ماء اي غيثا ومطرا فاخرج به اي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم يعني ان الغرض في ذلك ان يؤتيكم ارزاقكم
وسخر لكم الفلك اي السفن والمراكب لتجري في البحر بامره اي بامر الله لانها تسير بالرياح والله عز اسمه هو المنشئ للرياح وسخر لكم الانهار التي
تجري بالمياه التي ينزلها من السماء ويجريها في الاودية وينصب منها في الانهار وسخر لكم الشمس والقمر اي ذللهما لنا نعمكم الشمس والقمر في سيرهما

ع١٧

لتنتفعوا بضوء الشمس نهارا وبضوء القمر ليلا ولتبلغ بهما الثمار والنبات في النضج الحد الذي عليه تتم النعمة فيهما دائبين اي دائبين لا يفتران في صلاح
الخلق والنبات ومنافعهم وسخر لكم الليل والنهار اي ذللكم ومهدهما لمنافعكم لتسكنوا في الليل ولتبتغوا في النهار من فضله وآتيكم من كل ما سألتموه
معناه ان الانسان قد يسأل الله العافية فيعطي ويسأله النجاة فيعطي ويسأله الغنى فيعطي ويسأله الولد والعز فيعطي ويسأله تيسير الامر
وشرح الصدر فيعطي فهذا في الجملة حاصل في الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه مفسدة في الدين عليه او على غيره فاين يذهب به مع هذه النعم التي
لا تحصى كثرة عن الله الذي هو في كل حال محتاج اليه وهو متظاهر بالنعم عليه ودخلت من للتبعيض لانه لو قال وآتاكم كل ما سألتموه لاقتضى ان كل
ما يسأله العبد يعطيه الله تعالى والامر بخلافه لان ما فيه مفسدة لا يعطيه الله اياه وتقديره وآتيكم من كل ما سألتم شيئا وقيل معناه وآتاكم من
كل ما بكم اليه حاجة فما من شيء يحتاج اليه العباد الا وهو موجود فيما بينهم وهو كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا ولم يخص كل واحد من الخلق
باعطاء كل ما سأله وقيل معناه وآتاكم من كل شيء ما سألتموه وما لم تسألوه فما ههنا نكرة موصوفة والجملة صفة له وحذف الجملة المعطوفة وهو لم تسألوه
كقوله سرابيل تقيكم الحر والمعنى وتقيكم البرد وان فيما ابقى دليل على ما القى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدروا على احصائها لكثرتها والنعمة
ههنا اسم اقيم مقام المصدر ولذلك لم يجمع نبه سبحانه انه هو المنعم على الحقيقة وانه المستحق للعبادة ويروى عن طلق بن حبيب انه قال
ان حق الله تعالى اثقل من ان تقوم به العباد فان نعمة الله اكثر من ان تحصيها العباد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين ان الانسان لظلوم
اي كثير الظلم لنفسه كفار اي كثير الكفران لنعم ربه وقيل معناه لظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ولم يرد بالانسان هنا العموم
بل هو مثل ما في قوله والعصر ان الانسان لفي خسر النظم اتصل قوله سبحانه قل لعبادي يقيموا الصلوة بما تقدم من قوله قل تمتعوا فان مصيركم
الى النار فانه عقب ذلك الامر للمؤمنين بما يوجب النعيم المقيم ومرافقة الابرار ليكون قد عقب الوعيد بالوعد والعقاب بالثواب واتصلت
الاية الثانية بقوله وجعلوا لله اندادا فانه سبحانه لما ذكر ما هم عليه من اتخاذ الانداد لله سبحانه بين بعده انه الواجب الوجود المستحق للالهية
الذي يحق له العبادة هو الله الذي خلق السموات والارض الاية قوله تعالى وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي
وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ
مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ
مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلٰوةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝
رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ۝ سبع آيات القراءة في الشواذ قراءة الجحدري والثقفي وابو الهجهاج واجنبني بقطع الهمزة
وقرأ علي ع وابو جعفر الباقر وجعفر بن محمد عليهم السلم ومجاهد تهوى اليهم بفتح الواو وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وهبيرة عن حفص وتقبل دعائي ربنا
باثبات الياء في الوصل وفي رواية البزي عن ابن كثير انه يصل ويقف بالياء وقال قنبل انه يشم الياء في الوصل ولا يثبتها ويقف عليها بالالف
والباقون دعاء بغير ياء وقرا الحسين بن علي وابو جعفر محمد بن علي ع والزهري وابرهيم النخعي ولولدي وقرا يحيى بن يعمر ولولدي وقرا سعيد بن
جبير لوالدي الحجة يقال جنبت الشيء اجنبه جنوبا ومن العرب من يقول اجنبته اي جنبته عن الشيء وكان معنى قوله اجنبني وبني ان نعبد
الاصنام اصرفني واياهم عن عبادة الاصنام ومعنى اجنبني اجعلني كالجنيب عن ذلك فاما قوله تهوى اليهم بفتح الواو فهو من هويت الشيء
اهواه اذا احببته وانما جاز تعديته بالى لانه بمعنى هويت الشيء ملت اليه فكانه قال تميل اليهم فهو محمول على المعنى ومثله قوله سبحانه احل
لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فعدى الرفث بالى وانت لا تقول رفثت الى فلانة وانما تقول رفثت بها او معها ولكنه لما كان معنى الرفث
ههنا معنى الافضاء عداه بالى فكانه قال احل لكم الافضاء الى نسائكم قال ابن جني المعنى في قراءة الجماعة تهوي اليهم تميل اليهم اي تحبهم فهذا
في المعنى كقوله سقط في هواك اي يخلد اليه ويقيم عليه وذلك ان الانسان اذا احب الشيء اكثر من ذكره واقام عليه واذا كرهه خف الى سواه
وقولهم هويت فلانا من لفظ هوى الى الشيء يهوى اليه الا انهم خالفوا بين المثالين لاختلاف ظاهر الامرين وان كانا على معنى واحد متلاقيين
واما من وصل دعاء بياء فهو القياس ومن اشم الياء في الوصل ولا يثبتها فللدلالة الكسرة على الياء قال ابو علي حذف الياء في الوقف اقيس من حذفها
في الوصل لان الوقف موضع تغيير يغير فيه الحرف والمحذوف عليه كثير قال الاعشى فهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت ان يأتين قال

١٦

ودمية اءني كاشف وجهه اذا ما انتسبت له انكرت ومن قرا لولدي فانه يعني اسمعيل و اسحق ومن قرا لولدي فان الولد قد يكون واحدا وقد يكون
جمعا تقول العرب ولدك من دمى عقبيك ومعناه ولدك من ولدته فسال دمك على عقبيك عند ولادته كامن اتخذته ولدا وان كان جمعا فيجوز
ان يكون جمع ولد هو كاسد واسد ويجوز ان يكون جمع ولد ايضا فيكون مثل الفلك فانه جمع الفلك اللغة الوادي سفح الجبل العظيم ومنها قيل
للانهار العظام الاودية لان حافاتها كالجبال لها ومنه الدية لانها مال عظيم في امر عظيم المعنى واذ قال ابرهيم معناه واذكر يا محمد اذ قال ابرهيم عليه
رب اجعل هذا البلد آمنا وما حولها من الحرم قيل ان ابرهيم ع لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة وانما قال
هناك بلدا آمنا وقال هنا هذا البلد معرفا لان النكرة اذا كررت واعيدت صارت معرفة ومثله في التنزيل فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة
كانها كوكب فاستجاب الله دعاء ابرهيم ع حتى كان الانسان يرى قاتل ابيه فيها فلا يعرض له وتدنو الوحوش فيها من الناس فتأمن منهم فتدنى
ان نعبد الاصنام اي والطف لي ولبني لطفا نجتنب به عبادة الاصنام ودعاء الانبياء لا يكون الا مستجابا فعلى هذا يكون سواله ذلك مخصوصا بمن
علم الله من حاله انه يكون مومنا لا يعبد الا الله ويكون الله سبحانه قد اذن له في الدعاء لهم واستجاب دعاءه فيهم رب انهن اضللن كثيرا من
الناس معناه ضل بسببهن وبعبادتهن كثيرا من الناس كما يقال فتنتني فلانة يعني فتنت بحبها لا انها عملت شيئا وكما في قول الشاعر ادى امراء منكم
اضل بعيره له ذمة ان الذمام كثير وانما اراد ضل بعيره لان احدا لا يضل بعيره قاصدا الى اضلاله فمن تبعني فانه مني يريد فمن تبعني من ذريتي
الذين اسكنتهم هذا البلد على ديني في عبادة الله وحده وترك عبادة الاصنام فانه من جملتي وحاله كحالي ومن عصاني فانك غفور رحيم اي
ساتر على العباد معاصيهم رحيم بهم في جميع احوالهم منعم عليهم ثم حكى سبحانه اتمام دعاء ابرهيم ع وانه قال ربنا اني اسكنت بعض اولادي ولا
خلاف انه يريد اسمعيل ع مع امه هاجر وهو اكبر ولده وروى عن الباقر ع انه قال نحن بقية تلك العترة وقال كانت دعوة ابرهيم ع لنا خاصة
بواد غير ذي زرع يريد وادي مكة وهو الابطح وانما قال غير ذي زرع يريد وادي مكة وهو الابطح وانما قال غير ذي زرع لانها لم يكن يومئذ بها ماء
ولا ضرع ولم يذكر مفعول اسكنت لان من يفيد بعض القوم كما يقال من بني فلان واكلنا من الطعام وكما قال سبحانه افيضوا علينا من الماء او مما
رزقكم الله وتقديره اسكنت من ذريتي اناسا او ولدا من البطن عند بيتك المحرم انما اضاف البيت اليه سبحانه لانه مكة لا يملكه احد سواه وما
عداه من البيوت قد ملكه غيره من العباد وسال فقال كيف سماه بيتا ولم يبنه ابرهيم ع بعد والجواب من وجهين احدهما انه لما كان من المعلوم
انه سيبنيه سماه بيتا والمراد عند بيتك الذي مضى في سابق علمك كونه والثاني ان البيت قد كان قبل ذلك وانما خربه طسم وجديس وقيل ان رفعه
الله الى السماء ايام الطوفان وانما سماه المحرم لانه لا يستطيع احد الوصول اليه الا بالاحرام وقيل لانه حرم فيه ما احل في غيره من البيوت من الجماع و
الملابسة بشيء من الاقذار والدماء وقيل معناه العظيم الحرمة ربنا ليقيموا الصلوة واللام يتعلق بقوله اسكنت اي اسكنتهم هذا الوادي ليدا وموا
على الصلوة ويقيموا شرائطها وفصل بينه وبين ما يتعلق به بقوله ربنا لان الفصل تاكيدا يستحب في هذا واذا جاء نحو قوله على حين الهى الناس
جل امورهم فندلا زرق المال ندل الثعالب اي بلالا المال يا زريق فصل بالنداء بين المصدر وما يتعلق به كان هذا اولى فاجعل افئدة من الناس
تهوي اليهم هذا سوال من ابرهيم ع ان يجعل الله قلوب الخلق تحن الى ذلك الموضع ليكون في ذلك انس لذريته ممن يرد عليهم من الوفود وليدر
ارزاقهم على مرور الاوقات ولولا لطف الله سبحانه بامالة قلوب الناس اليه اما للدين كالحج والعمرة واما للتجارة لما صح ان يعيش سكنة قال
سعيد بن جبير لو قال افئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال من الناس فهم المسلمون وروى عن مجاهد انه قال ان ابرهيم لو
قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم وروى الفضيل بن يسار وغيره عن الصادق ع انما امر الناس ان يطوفوا بهذه الاحجار ثم
ينفروا الينا فيعلمونا ولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم ثم قرا هذه الآية وقيل ان معنى تهوي اليهم تنزع اليهم وتميل عن ابن عباس وقتادة وقيل
معناه تنزل وتهبط اليهم لان مكة في غور عن ابي مسلم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون اي ليشكروك ويعبدوك ربنا انك تعلم ما نخفي وما
نعلن هذا اعتراف من ابرهيم ع لله سبحانه بانه يعلم ما يبطن الخلق وما يظهرونه وانه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وقيل ان قوله وما يخفى
على الله من شيء في الارض ولا في السماء انما هو اخبار منه سبحانه بذلك وابتداء كلام من جهته لا على سبيل الحكاية عن ابرهيم بل هو اعتراض
عن الحبائي ثم عاد الى حكاية كلام ابراهيم ع فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق وهذا اعتراف منه عليه السلم من عمل الله تعالى وحمد
على احسانه بان وهب له على كبر سنه ولدين قال ابن عباس ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنه وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي

واجنبني

من ذريتي

عشرة وقال سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم ع الا بعد مائة وسبع عشرة سنة انّ ربى لسميع الدعاء اى قابله ومجيبه عن ابن عباس ومنه قولهم
سمع الله لمن حمده رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن ذريتى تقديره واجعل من ذريتى مقيم الصلوة فحذف الفعل لان ما قبله يدل عليه وهذا سوال
لابرهيم ع من الله تعالى بان يلطف له اللطف الذى عنده يقيم الصلوة ما يتمسك بالدين وان يفعل مثل ذلك بجماعة من ذريته وهم الذين
اسلموا منهم فسال ع لهم مثل ما ساله لنفسه ربنا وتقبل دعاء اى اجب دعائى فان قبول الدعاء انما هى الاجابة وقبول الطاعة الانابة
ربنا اغفر لى ولوالدى استدل اصحابنا بهذا على ما ذهبوا اليه من ان ابوى ابرهيم ع لم يكونا كافرين لانه انما سال المغفرة لهما يوم القيمة فلو كانا
كافرين لم يسال ذلك لهم لانه قال فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فصح ان اباه الذى كان كافرا انما هو جده لامه او عمه على الخلاف فيه ومن
قال انما دعا لابيه لانه وعده ان يسلم فلما مات على الكفر تبرأ منه عن الحسن فقوله فاسد لان ابرهيم ع انما دعا بهذا الدعاء بعد الكبر وبعد
ان وهب له اسمعيل واسحق وقد تبين له فى هذا الوقت عداوة ابيه الكافر بالله فلا يجوز ان يقصده بدعائه وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
اى واغفر للمؤمنين ايضا وقت يقوم الخلق للحساب وقيل معناه يوم يظهر وقت الحساب كما قال قامت السوق النظم اتصلت الآيات
بما قبلها لان النهى عن عبادة الاصنام والامر بعبادة الله قد تقدم فبين الله سبحانه عقيب ذلك ما كان عليه ابرهيم ع من التشديد فى ابطال
عبادة الاصنام والدعاء بما دعا به وقيل انه معطوف على ما تقدم من قوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا وقيل انه لما قال واتيكم من كل ما سالتموه
بين عقيبه ما دعا به ابرهيم ع وساله اياه واجابته لدعائه وسواله قوله تعالى وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ
لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ۝ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۝ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ
مِنْ زَوَالٍ ۝ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ۝ ه
اربع آيات اللغة الاهطاع الاسراع قال بمهطع سرح كان زمامه فى راس جذع من اوائل مشذب وقال آخر بدجلة اهلها ولقد اراهم
بدجلة مهطعين الى السماع اى مسرعين وقيل ان الاهطاع مد العنق والمهطع طويل العنق قال احمد بن يحيى المهطع الذى ينظر فى ذل وخشوع
ولا يقلع بصره والاقناع رفع الراس قال الزجاج المقنع الرافع والمقنع المرتفع قال الشماخ يباكرن العضاه بمقنعات نواجذهن كالحدإ
الوقيع اى كالفوس المحددة يصف ابلا ترعى الشجر والطرف مصدر طرفت عين فلان اذا نظرت وهو ان ينظر ثم يغمض والطرف العين ايضا وافئدتهم
هواء اى منحرفة لا تعى شيئا للخوف والفزع شبهها بهواء الجو قال حسان الا ابلغ ابا سفيان عنى فانت مجوف نخب هواء وقال زهير كان الرحل منها
فوق صعل من الظلمات جؤجؤه هواء والاجل الوقت المضروب لانقضاء الامد الاعراب يوم ياتيهم نصب على انه مفعول به والعامل فيه
انذرهم ولا يكون على الظرف لانه لم يومر بالانذار فى ذلك اليوم فيقول عطف على ياتيهم وليس بجواب الامر لانه لو كان جوابا لجاز فيه النصب
والرفع فالنصب مثل قول الشاعر يا ناق سيرى عنقا فسيحا الى سليمن فنستريحا والرفع على الاستيناف وتبين لكم كيف فعلنا بهم فاعل تبين محذوف
اى تبين لكم فعلنا بهم ولا يكون الفاعل كيف لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله لان كيف لا يخبر عنه وانما الخبر به كيف هنا منصوب بقوله فعلنا المعنى
لما ذكر سبحانه يوم الحساب وصفه وبين انه لا يمهل الظالمين عن غفلة لكن لتاكيد الحجة فقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وفى هذا
وعيد للظالم وتعزية للمظلوم ومعناه ولا تظنن الله ساهيا عن مجازاة الظالمين على اعمالهم وقيل ان تقديره لا تحسبن الله لا يعاقب الظالمين
على افعالهم ولا ينتصف للمظلومين منهم انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار معناه انما يؤخر عقابهم ومجازاتهم الى يوم القيمة وهو اليوم
الذى تكون فيه الابصار شاخصة عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى فى ذلك اليوم ولا تطرف عن الجبائى وقيل تشخص ابصارهم الى اجابة
الداعى حين يدعوهم عن الحسن وقيل تبقى ابصارهم مفتوحة لا تنطبق للتحير والرعب مهطعين اى مسرعين عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة
وقيل يريد دائمى النظر الى ما يرون ولا يطرفون عن ابن عباس ومجاهد مقنعى رؤسهم اى رافعى رؤسهم عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة
قالوا يرفعون رؤسهم الى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الراس وذلك من هول يوم القيمة وقال مورج معناه ناكسى رؤسهم
بلغة قريش لا يرتد اليهم طرفهم اى لا ترجع اليهم اعينهم ولا يطبقونها ولا يغمضونها وانما هو نظر دائم وافئدتهم هواء اى قلوبهم خالية من كل شىء فزعا
وخوفا عن ابن عباس وقيل خالية من كل سرور وطمع فى الخير لشدة ما يرون من الاهوال كالهواء الذى بين السماء والارض وقيل معناه وافئدتهم زائلة

من مواضعها الحلق ارتفعت الى حلوقهم لا تخرج ولا تعود الى اماكنها بمنزلة الشيء الذاهب في جهات مختلفة كالمتردد في الهواء عن سعيد بن جبير و
قتادة وقيل معناه خالية عن عقولهم عن الاخفش وانذر الناس معناه ودم يا محمد على انذارك الناس وهو عام في كل مكلف عن الجبائي وابي مسلم وقيل
معناه وخوف اهل مكة بالقرآن عن ابن عباس والحسن يوم يأتيهم العذاب وهو يوم القيمة او يأتيهم العذاب الاستيصال في الدنيا وقيل هو يوم
المعاينة عند الموت والاول اظهر فيقول الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك اى ردنا الى الدنيا واجعل
ذلك مدة قريبة نجب دعوتك فيها ونتبع الرسل اى نتبع رسلك فيما يدعوننا اليه فيقول الله تعالى مخاطبا لهم او تقول الملائكة بامره اولم تكونوا اقسمتم
اى حلفتم من قبل في دار الدنيا ما لكم من زوال اي ليس لكم انتقال من الدنيا الى الآخرة عن مجاهد وقيل معناه ما لكم من زوال من الراحة الى العذاب
عن الحسن وفي هذا دلالة على ان اهل الآخرة غير مكلفين خلافا لما يقوله النجار وجماعة لانهم لو كانوا مكلفين لما كان لقولهم اخرنا الى اجل قريب
وجه ولكان ينبغي لهم ان يؤمنوا فيخلصوا من العقاب اذا كانوا مكلفين وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم هذا زيادة
توبيخ لهم وتعنيف اى وسكنتم ديار من كذب الرسل قبلكم فاهلكهم الله وعرفتم ما نزل بهم من البلاء والهلاك والعذاب المعجل عن ابن عباس
والحسن ومساكنهم دورهم وقراهم وقيل انهم عاد وثمود وقيل هم المقتولون ببدر وضربنا لكم الامثال وبينا لكم الاشباه واخبرناكم باحوال الماضين قبلكم
لتعتبروا بهم فلم تعتبروا ولم تتعظوا وقيل الامثال ما ذكر في القرآن مما يدل على انه تعالى قادر على الاعادة كما انه قادر على الانشاء والابتداء وقيل
هي الامثال المنبهة على الطاعة الزاجرة عن المعصية عن الجبائي وفي هذه الآيات دلالة على ان الايمان من فعل العبد اذ لو كان من فعل الله
لم يكن لتمني العود الى الدنيا معنى **قوله تعالى** وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال * فلا تحسبن الله
مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام * يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار * وترى
المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد * سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار * ليجزي الله كل نفس ما كسبت
ان الله سريع الحساب * هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب * سبع آيات
القراءة قرأ الكسائي وحده لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الثانية والباقون لتزول بكسر الاولى ونصب الثانية وفي الشواذ عن علي ع وعمر وابن مسعود
وابي بن كعب وان كاد مكرهم لتزول وقرأ زيد عن يعقوب من قطر آن على كلمتين منونتين وهو قراءة ابي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير والكلبي
وقتادة وعيسى الهمداني والربيع وقرأ سائر القراء قطران **الحجة** قال ابو علي من قرأ لتزول بالنصب فان ان هي النافية فيكون مثل قوله وما كان الله
ليطلعكم على الغيب فمعناه وما كان مكرهم لتزول منه الجبال والجبال كأنه امر النبي صلى الله عليه وآله واعلامه ودلالته اي ما كان مكرهم لتزول منه
ما هو مثل الجبال في امتناعه ممن اراد ازالته ومن قرأ لتزول كانت ان هي المخففة من الثقيلة معنى تعظيم امر مكرهم بخلاف القراءة الاولى فيكون كقوله
ومكروا مكرا كبارا اى كان مكرهم لعظمه وكبره يكاد يزيل ما هو مثل الجبال في الامتناع على من اراد ازالتها وثباتها ومثل هذا في التعظيم الامر قول الشاعر
الم تر صدعا في السماء مبينا على ابن لبنى الحرث بن هشام وقال ابى حارث الجولان من فقد ربه وحوران منه خاشع متضائل وقال اوس
الم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم والقمر الواجب ويدل على ان الجبال يعني بها امر النبي صلى الله عليه وآله قوله بعد فلا تحسبن الله مخلف
وعده رسله اى فقد وعد الظهور عليهم والغلبة لهم في قوله ليظهره على الدين كله وقوله قل للذين كفروا ستغلبون وقد استعمل لفظ الجبال في
غير هذا في تعظيم الشيء وتفخيمه قال ابن مقبل اذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى لها شاعرا مثلي اطب واشعرا واكثر بيتا شاعرا ضربت به بطون
جبال الشعر حتى تيسرا ومن قرأ ان كان مكرهم لتزول فهي مخففة من الثقيلة ايضا فتقديره وانه كاد يزول منه الجبال قال ابن جني القطر والصفر النحاس
وهو ايضا القلس رويناه عن قطرب وهو ايضا الصاد ومنه قدور الصاد اى قدور الصفر والآني الذي قرب ادراكه انى الشيء يأني انيا وانى مقصور
ومنه قوله عز وجل غير ناظرين اناه اى بلوغه وادراكه قال ابو علي ومنه الاناء لانه الظرف الذي قد بلغ غايته المراد منه من حوز وصناعة ونحو ذلك
قال امية وسليمان اذ سال له القطر على ملكه ثلث ليال واما القطران ففيه ثلث لغات قطران على وزن فعلان وقطران بفتح القاف واسكان
الطاء وقطران بكسر القاف واسكان الطاء والاصل فيه قطران فاسكنا على ما يقال في كلمة وكلمة وكلمة لغة تميم قال ابو النجم جون كأن العرق المسوحا
لبسه القطران والمسوحا وقال كأن قطرانا اذا تلاها ترمي به الريح الى مجراها **اللغة** البروز الظهور والاصفاد جمع الصفد وهو الغل الذي تقرن به
اليد الى العنق ويجوز ان يكون السلسلة التي يقع بها التقرين والتقرين جمع الشيء الى نظيره والقران الحبل يقرن به شيئان يقال صفدته بالحديد

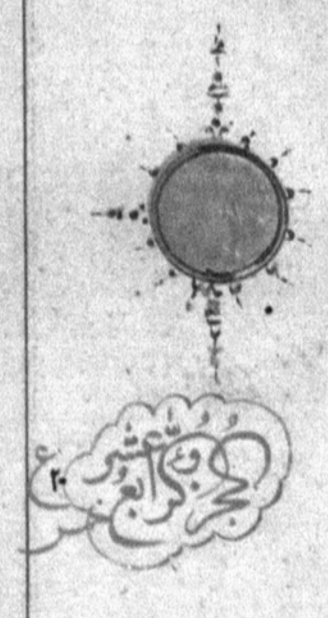
عشر ع ١٩

واصفدته وصفدته قال عمرو بن كلثوم فابوا بالنهاب وبالسبايا وابنا بالملوك مصفدينا ومنه اصفدته اصفادا اذا اعطيته مالا والصفد العطاء وهو
من الاول لان العطية بصفد المودة ويقيدها والى هذا المعنى اشار المتنبي بقوله ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا والاختيار في الحديد صفدته وفي العطية
اصفدته قال الاعشى تضيفته يوما فقرب مجلسي واصفدني على الزمانة قائدا ومعناه اعطاني قائدا وقال النابغة في الصفد الذي هو العطية هذا الثناء
فان تسمع لقائله فما عرضت ابيت اللعن بالصفد والسربال القميص قال امرؤ القيس ومثلك بيضاء العوارض طفلة لعوب تنسيني اذا قمت سربالي
والبلاغ الكفاية ومنه البلاغة وهو البيان الكافي والتبليغ هو الذي يبلغ بلسانه كنه ما في ضميره الاعراب مخلف وعده رسله اضافة مخلف
الى وعده اضافة غير محضة لانه في تقدير الانفصال ووعده وان كان مجرورا في اللفظ فانه منصوب لانه مفعول في المعنى فان الاخلاف يقتضي
مفعولين يقال اخلفت زيدا وعدا فعلى هذا يكون تقديره مخلفا وعده رسله وقيل انه قرئ في الشواذ مخلف وعده بالنصب رسله بالجر وهي
رديئة للفصل بين المضاف والمضاف اليه وانشد وافي ذلك فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده ومعناه فزججها ابي مزاده القلوص والعامل في قوله
يوم تبدل الارض قوله مخلف وعده او ذو انتقام اي ينتقم ذلك اليوم او يكون محذوفا على تقدير واذكر يوم تبدل وان شئت جعلته نصبا لقوله
يوم يقوم الحساب والارض مرفوعة على ما لم يسم فاعله وغير منصوب على انه مفعول ما لم يسم فاعله تقول بدل الخاتم خاتما اخر اذا كسر وصنع صنعة
اخرى وقد يقول بدل زيد اذا تغيرت حاله المعنى ثم بين سبحانه عن مكر الكفار ووعده صدق رسله عليهم السلام تسلية لنبينا ص فقال وقد مكروا
مكرهم اي وقد مكروا بالانبياء قبلك ما امكنهم من المكر كما مكروا بك فعصمهم الله من مكرهم كما عصمك وقيل اراد به كفار قريش الذين دبروا في امر النبي
صلى الله عليه واله واحتالوا عليه ومكروا بالمؤمنين وخدعوهم وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم فحذف المضاف كما حذف من قوله ترى الظالمين
مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم اي جزاؤه وقيل وقد عرف الله مكرهم فهو يجازيهم عليه وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اي ولم يكن مكرهم
ليبطل حجج القرآن وما معك من دلائل النبوة فان ذلك ثابت بالدليل والبرهان والمعنى لا تزول منه الجبال فكيف يزول منه الدين الذي هو
اثبت من الجبال وعلى القراءة الاخرى فالمعنى ان مكرهم وان بلغ كل مبلغ فلا يزيل دين الله تعالى على ما تقدم بيانه ولا يغير ذلك انبياءه ولا يزيل
امرهم ولا سيما امر محمد ص فانه اثبت من الجبال وقد قيل ان المراد به نمرود بن كوش بن كنعان حين اخذ التابوت واخذ اربعة من النسور فجاعها
اياما وعلق فوقها اللحم وربط التابوت اليها فطارت النسور بالتابوت وهو ووزيره فيه الى ان بلغت حيث شاء الله تعالى وظن انه بلغ
السماء ففتح باب التابوت من اعلاه فرأى بعد السماء منه كبعدها حين كان في الارض ففتح بابا من اسفل التابوت فرأى الارض قد غابت عنه
فهاله الامر فصوب النسور وسقط التابوت وكانت له وجبة عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي فلا تظنن
الله عز اسمه مخلفا رسله ما وعدهم به من النصر والظفر بالكفار والظهور عليهم ان الله عزيز اي ممتنع بقدرته من ان ينال باهتضام وهو من
الكفار ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قيل فيه قولان احدهما ان المعنى تبدل صورة الارض وهيئتها عن ابن عباس فقد روي عنه
انه قال تبدل آكامها وآجامها وجبالها واشجارها والارض على حالها وتبقى ارض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة وتبدل
السموات فيذهب شمسها وقمرها ونجومها وكان ينشد فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت اعرف ويعضده ما رواه ابو هريرة
عن النبي ص انه قال تبدل الله الارض غير الارض والسموات فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا ثم يزجر الله الخلق
زجرة فاذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الاولى ما كان في بطنها كان في بطنها وما كان على ظهرها كان على ظهرها والآخر ان المعنى تبدل الارض
ويخلق ارض غيرها والسموات كذلك ايضا تبدل بغيرها وتفنى هذه عن الجبائي وجماعة من المفسرين وفي تفسير اهل البيت عليهم السلم بالاسناد
عن زرارة ومحمد بن مسلم وحمران بن اعين عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم قالوا تبدل بخبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب
قال الله تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وهو قول سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وروى سهل بن سعد الساعدي عن النبي ص قال
تحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء كالقرص النقي ليس بها معلم لاحد وروي عن ابن مسعود انه قال تبدل الارض بنار فتصير الارض
كلها نارا يوم القيمة والجنة من ورائها يرى كواعبها واكوابها ويلجم الناس العرق ولم يبلغوا الحساب بعد وقال كعب تصير السموات جنانا
ويصير مكان البحر النار وتبدل الارض غيرها وروي عن ابي ايوب الانصاري قال اتى النبي ص حبر من اليهود فقال ارأيت اذ يقول الله في كتابه
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين الخلق عند ذلك فقال اضياف الله فلن يعجزهم ما لديه وقيل تبدل الارض لقوم بارض الجنة

والقوم

١٩

ولتقوم بعرض النار وقال الحسن يحشرون على الارض الساهرة وهي ارض غير هذه وهي ارض الآخرة وفيها يكون جهنم وتقدير الكلام وتبدل
السموات غير السموات الا انه حذف لدلالة الظاهر عليه وبرزوا لله اي يظهرون من قبورهم للمحاسبة لا يسترهم شيء وجعل ذلك بروزا لله لان
حسابهم معه وان كانت الاشياء كلها بارزة له لا يستر عنه شيء الواحد الذي لا شبيه له ولا نظير القهار المالك الذي لا يضام يقهر
عباده بالموت اي رام وترى المجرمين يعني الكفار عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر لانه تقدم ذكرهم يومئذ اي يوم القيمة مقرنين في
الاصفاد اي مجموعين في الاغلال قرنت ايديهم بها الى اعناقهم وقيل يقرن بعضها الى بعض عن الجبائي وقيل مشدودين قرنوا بحبل من الاصفاد
والقيود عن ابي مسلم وقيل يقرن كل كافر مع شيطان كان يضله في غل من حديد عن ابن عباس والحسن وبينه قوله احشروا الذين ظلموا و
ازواجهم اي قرناءهم من الشياطين وقوله واذا النفوس زوجت سرابيلهم اي قميصهم من قطران وهو ما يطلى به الابل شيء اسود لزج منتن
يطلون به فيصير كالقميص عليهم ثم يرسل النار عليهم ليكون اسرع اليهم وابلغ في الاشتعال واشد في العذاب عن الحسن والزجاج وقيل
نحاس اصفر مذاب قد انتهى حره عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وجوز الجبائي على القراءتين ان يسربلوا بسربالين احدهما من القطران
والآخر من القطران الآن وتغشى وجوههم النار اي وتصيب وجوههم النار لا قطران عليها ليجزي الله كل نفس ما كسبت اللام تعلقت بما
تقدم اخبر سبحانه انه انما يفعل ذلك بهم ليجزي كل نفس بما كسبت ان كسبت خيرا بان آمنت واطاعت اثابها الله بالنعيم المقيم وان
كسبت شرا بان كفرت وجحدت عاقبها بالعقاب الاليم في نار الجحيم ان الله سريع الحساب اي سريع المجازاة وقد سبق بيانه هذا بلاغ للناس
هذا اشارة الى القرآن عن ابن عباس والحسن وابن زيد وغيرهم اي هذا القرآن موعظة للناس بالغة كافية وقيل هو اشارة الى ما
تقدم ذكره اي هذا الوعيد كفاية لمن تدبره من الناس والاول هو الصحيح ولينذروا به اي انزل ليبلغوا ولينذروا وليخوفوا بما فيه
من الوعيد وليعلموا انما هو اله واحد لا شريك له بالنظر في ادلة التوحيد التي بينها الله تعالى في القرآن وليذكر اولوا الالباب اي
وليتعظ به اهل العقول وذوو النهى وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن كاف في جميع ما يحتاج الناس اليه في امور الدين لان
جميع امور الدين جملها وتفاصيلها تعلم بالقرآن اما بنفسه او بواسطة فيجب للمؤمن المجتهد المهتم بامور الدين ان يشمر عن ساق الجد
في طلب علوم القرآن ويصدق غايته بمعرفة ما فيه من بدايع الحكمة ومواضع البيان مكتفيا به عما سواه لينال السعادة في دنياه وعقباه
وفي قوله وليعلموا انما هو اله واحد دلالة على انه سبحانه اراد من الناس علم التوحيد خلافا لاهل الجبر في قولهم انه سبحانه اراد من النصارى
اثبات التثليث ومن الزنادقة القول بالتشبيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفي قوله وليذكر دلالة على انه اراد من الجميع التدبر والتذكر
وعلى ان العقل حجة لان غير ذوي العقول لا يمكنهم الفكر والاعتبار **النظم** اتصلت الآية الثانية بقوله انما يؤخرهم اي فلا تحسبوا ان الله
يخلف وعده بل يجازيهم وينصر رسله وقيل اتصلت بقوله انما يؤخرهم اي فلا تحسبوه يخلف وعده في العقوبة للكفار بل ان شاء اخر
وان شاء عجل واتصل قوله يوم تبدل الارض بغير الارض بقوله ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله اي لا يخلفهم وعده لا في الدنيا ولا في الآخرة
عن ابي مسلم وقيل المراد انه ذو انتقام من الكفار ذلك اليوم واتصل قوله ليجزي الله كل نفس ما كسبت بقوله يوم تبدل الارض ٥



سورة الحجر مكية في قول قتادة ومجاهد وقال الحسن الا قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقوله كما انزلنا على
المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين **عدد آيها** وهي تسعة وتسعون آية بالاجماع **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله
قال من قرأها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى **تفسيرها** لما ختم الله سبحانه سورة ابراهيم
بذكر القرآن وانه بلاغ وكفاية لاهل الاسلام افتتح هذه السورة بذكر القرآن وانه مبين الاحكام **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ۝ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ۝ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون ۝ وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ۝ ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون ۝ خمس آيات **القراءة**
قرأ اهل المدينة وعاصم ربما يود خفيفة الباء والباقون بالتشديد وروي محمد بن حبيب الشموني عن الاعشى عن ابي بكر ضمها **الحجة**
قال ابو علي انشد ابو زيد ماوي ربما غارة شعواء كاللذعة بالميسم وانشد ايضا يا صاحبا ربت انسان حسن يسأل عنك اليوم او
يسأل عن وقال السكري ربما وربتما وربما ورب وربت ست لغات قال سيبويه رب حرف ويلحقها ما على وجهين احدهما ان يكون نكرة

بمعنى شيء وذلك قوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال فما في هذا البيت اسم لما تقدم من حذف الضمير اليه من الصفة والمعنى
رب شيء تكرهه النفوس واذا عاد اليه الهاء كان اسما ولم يجز ان يكون حرفا كما ان قوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين لما عاد اليه ذكر علمت
بذلك انه اسم وقوله فرجة يرتفع بالظرف في قوله الناس جميعا ولا يرتفع بالابتداء وقد يقع ايضا من بعد رب في مثل قوله الا رب من تغتشه
لك ناصحا ومؤتمن بالغيب غير امين فكما دخلت رب على من وكانت نكرة في معنى شيء كذلك تدخل على ما والآخر ان تدخل كافة كما في الآية ونحو
قول الشاعر ربما اوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات والنحويون يسمون ما هذه كافة ويريدون انها بدخولها كفت الحرف عن العمل الذي كان له
لدخوله على ما لم يكن يدخل عليه الا ترى ان رب انما تدخل على الاسم المفرد نحو رب رجل كريم تقول ذاك وربه رجل تقول ذاك ولا يدخل على الفعل
فما دخلت ما عليها سوغت لها الدخول على الفعل فمن ذلك قوله ربما يود الذين كفروا فوقع الفعل بعدها في الآية وهو على لفظ المضارع ووقع
في قوله ربما اوفيت في علم على لفظ الماضي وهكذا ينبغي في القياس لانها تدل على امر قد مضى وانما وقع في الآية على لفظ المضارع لانه حكاية
لحال آتية كما ان قوله وان ربك ليحكم بينهم حكاية لحال آتية ومن حكاية الحال قول القائل جارية في رمضان الماضي تقطع الحديث
بالايماض ومن زعم ان الآية على اضمار كان وتقديره ربما كان يود فقد خرج بذلك عن قول سيبويه الا ترى ان كان لا يضمر ولم يجز عبد الله
المقتول وانت تريد كن عبد الله المقتول فاما اضمارها بعد ان في قولهم ان خيرا فخير فانما جاز ذلك لاقتضاء الحرف له فصار اقتضاء الحرف له
لذكره فاما ما انشده ابن حبيب لسهم بن سورة لقد رزئت كعب بن عوف وربما فتى لم يكن يرضى بشيء يضيمها فان قوله فتى في ربما
فتى يحتمل ضربين احدهما ان يكون لما جرى ذكر رزئت استغنى بجري ذكره من ان يعيده فكانه قال ربما رزئت فتى فيكون انتصاب فتى
برزئت هذه المضمرة كقوله الآن وقد عصيت قبل فاستغنى بذكر آمنت المتقدم عن اظهاره بعد وقد يجوز ان ينصب فتى برزئت هذه
المذكورة كانه قال لقد رزئت كعب بن عوف فتى وربما لم يكن يرضى اي رزئت فتى لم يكن يضام ويكون هذا الفصل في انه اجنبي
بمنزلة قوله ابو امه حي ابوه يقاربه ويجوز ان يكون مرتفعا بفعل مضمر كانه قال ربما لم يرض فتى كقوله وقلما وصال على طول الصدود
يدوم ويجوز ان يكون ما نكرة بمنزلة شيء ويكون فتى وصفا لها لانها لما كانت كاسماء المبهمة في ابهامها وصفت باسماء الاجناس كانه
رب شيء فتى لم يكن كذا فهذه الاوجه كلها ممكنة ويجوز في الآية ان يكون ما بمنزلة شيء ويود صفة له لان ما لعمومها تقع على كل شيء
فيجوز ان يعني الود كانه قال رب ود يوده الذين كفروا ويكون يود في هذا الوجه ايضا حكاية حال الا ترى انه لم يكن بعد وهذه الآية
في المعنى كقوله ارجعنا نعمل صالحا وكقوله حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون وكتمنيهم الرد في قوله يا ليتنا نرد ولا نكذب
واما قوله ربما بالتخفيف فلانه حرف مضاعف والحروف المضاعفة قد تحذف وان لم يحذف غير المضاف فمن المضاف الذي حذف ان
وان وليس كل المضاف يحذف ولم اعلم الحذف في ثم واما دخول التاء في ربتما فان من الحروف ما يدخل عليه حرف التأنيث نحو ثم وثمت
ولا ولات قال ثمت لا تجزونني عند ذاكم ولكن يجزي المليك فيعقب فكذلك لحقت التاء في قولهم ربتما وانشد الزجاج في تخفيف رب
قول الحادرة فسمي ما يدريك ان رب فتية باكرت لذتهم بادكن مترع قال ويسكنون في التخفيف يقولون رب رجل جائني وانشد ما
ابيت الهذلي ازهير ان شب القذال فانني رب هيضل مرس لففت بهيضل يقولون ربت رجل وربت رجل بفتح الراء ورب رجل وربما رجل
جائني بفتح الراء وربتما رجل جائني فيخففون حكى ذلك قطرب المعنى قرآن عطف على الكتاب وانما عطفه عليه وان كان الكتاب هو
القرآن لاختلاف اللفظين وما فيهما من الفائدتين وان كانا لموصوف واحد لان وصفه بالكتاب يفيد انه مما يكتب ويدون ووصفه بالقرآن
يفيد انه مما يؤلف ويجمع بعض حروفه الى بعض كما قال الشاعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وذا الراي حين
تغم الامور بذات الصليل وذات اللجم ويقال لم جاز ربما يود الذين كفروا ورب للتقليل وجوابه على وجهين احدهما انه ابلغ في التهدد
كما يقولون ربما ندمت على هذا وانت تعلم انه يندم ندما طويلا اي يكفيك قليل الندم فكيف كثيره والثاني انه يشغلهم العذاب عن تمني
ذلك الا في اوقات قليلة المعنى الر قد تقدم الكلام في هذه الحروف واقوال العلماء فيها تلك آيات الكتاب وقرآن مبين اي هذه
آيات الكتاب وآيات القرآن مميز بين الحق والباطل وقيل المبين البين الواضح عن ابي مسلم وقيل هو المبين للحلال والحرام والاوامر والنواهي
والادلة وغير ذلك وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل عن مجاهد وقيل المراد به الكتب المنزلة قبل القرآن عن قتادة ربما يود الذين

كفروا

كفروا لو كانوا مسلمين اى ربما يتمنى الكفار الاسلام فى الآخرة اذا صار المسلمون الى الجنة والكفار الى النار ويجوز ان يتمنوا ذلك وقت
اليأس وروى مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله تدخل الجنة وتشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين وقال الصادق ع ينادى مناد يوم القيمة يسمعه الخلايق انه لا يدخل الجنة الا مسلم فثم يود ساير الخلايق انهم كانوا
مسلمين وروى مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وآله قال اذا اجتمع اهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين
الم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا فى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله عز وجل
ما قالوا فيأمر من فى النار من اهل الاسلام فيخرجوا منها فحينئذ يقول الكفار يا ليتنا كنا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا معناه ذرهم يأكلون
فى دنياهم اكل الانعام ويتمتعوا فيها بما يريدون والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالا بعد حال ويلههم الامل اى ويشغلهم آمالهم الكاذبة
عن اتباع النبى صلى الله عليه وآله والقرآن يقال الهاه الشئ اى اشغله وانساه فسوف يعلمون وبال ذلك فيما بعد حين يحل بهم العذاب
يوم القيمة ويصار بهم الى ما يجحدون به وفى هذه الآية اشارة الى ان الانسان يجب ان يكون مقصور الهمة على امور الآخرة مستعدا للموت
مسارعا الى التوبة ولا يأمل الآمال المودية الى الصد عنها وقد روى عن امير المؤمنين ع انه قال ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع
الهوى وطول الامل فان اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الامل ينسى الآخرة وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم معناه ولم
نهلك اهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة الا وكان لهم اجل مكتوب لا بد ان سيبلغونه بريد فلا يغرن هؤلاء الكفار امهالى اياهم
انما نزل العذاب بهم فى الوقت المكتوب المقدر لذلك ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اى لم تكن امة فيما مضى تسبق اجلها
فتهلك قبل ذلك ولا تتاخر عن اجلها الذى قدرها بل اذا استوفت اجلها اهلكه الله **قوله تعالى** وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ • لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ • وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ • كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ • لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ • وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ
بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ • لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ • وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا
لِلنَّاظِرِينَ • وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ • إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ • ثلث عشرة آية **القراءة**
قرا اهل الكوفة غير ابى بكر ما ننزل بنونين الملائكة بالنصب وقرا ابو بكر عن عاصم تنزل بضم التاء الملائكة بالرفع الباقون ما تنزل بفتح التاء والزاء
الملائكة بالرفع وقرا ابن كثير سكرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وفى الشواذ قراءة الزهرى سكرت **الحجة** قال ابو على حجة من قرأ
ننزل قوله تنزل الملائكة والروح وحجة من قرأ ننزل قوله انا نزلنا اليكم الملائكة وحجة من قرأ ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة تنزيلا ووجه التثقيل
فى سكرت ان الفعل مسند الى جماعة فهو مثل مفتحة لهم الابواب ووجه التخفيف ان هذا النحو من الفعل المسند الى الجماعة قد يخفف
قال ما زلت افتح ابوابا واغلقها **اللغة** الشيع الفرق عن الزجاج وكل فرقة شيعة واصله من المشايعة وهى المتابعة قال شايع فلان
فلانا على امره اى تابعه عليه ومنه شيعة على ع وهم الذين تابعوه على امره ودانوا بامامته وفى حديث ام سلمة عن النبى صلى الله عليه وآله
شيعة على هم الفائزون يوم القيمة وسلك واسلك بمعنى والمصدر السلك والسلوك قال عدى بن زيد وكنت لزاز خصمك لم اعرد وقد
سلكوك فى يوم عصيب وقال آخر حتى اذا اسلكوهم فى قتائدة طردا كما يطرد الجمالة الشردا والعروج الصعود فى الدرج والمضارع يعرج ويعرج
ابو عبيدة سكرت ابصارنا غشيت قال ابو على فكان معناه لا ينفذ نورها ولا تدرك الاشياء على حقيقتها ومعنى الكلمة انقطاع الشئ من
سننه الجارى فمن ذلك سكر الماء وهو رده عن سننه فى الجرى وقالوا السكر فى الراى قبل ان يعزم على الشئ واذا عزم على امر ذهب السكر ومنه
السكر فى الشراب انما هو ان ينقطع عما هو عليه من المضاء فى حال الصحو فلا ينفذ رأيه ونظره على حد نفاذه فى صحوه وقالوا سكران لا يبت
فعبروا عن هذا المعنى فيه قال الزجاج فسروا سكرت اغشيت وسكرت تحيرت وسكنت عن ان تنظر والعرب تقول سكرت الريح سكنت
وكذلك سكر الحر قال الشاعر وجاء الشتاء واجتال القنبر وطلعت عين الجوزاء وسكر والبرج اصله الظهور ومنه البرج من بروج السماء
وبرج الحصن ويقال تبرجت المرأة اذا اظهرت زينتها والرجيم المرجوم والرجم الرمى بالشئ باعتماد ومن غيرالة مهياة للاصابة فان القوس

عشر

خمس ع

يرمى عنها ولا يرجم بها وجمعه شهب والشهاب القطعة من النار قال الزجاج والشهب المنقضة من آيات النبي صلى الله عليه وآله والدليل
على ذلك انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وآله لان شعراء العرب الذين كانوا يمثلون بالبرق وبالسيل وبالاشياء المسرعة لم يوجد في اشعارها بيت
واحد فيه ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولد النبي صلى الله عليه وآله استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة كانه كوكب في اثر
عفرية مسوم في سواد الليل منقضب الاعراب لوما دعاء الى الفعل وتحضيض عليه وهو بمعنى لولا وهلا وقد جاءت لوما في معنى لولا التي
لها جواب قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري الا من استرق السمع استثناء منقطع والمعنى لكن من
استرق السمع يتبعه شهاب قال الفراء هو استثناء صحيح لان الله تعالى لم يحفظ السماء ممن يصعد اليها ليسترق السمع لكن اذا سمعه واداه
الى الكهنة اتبعه بشهاب المعنى وقالوا اى قال المشركون للنبي صلى الله عليه وآله يا ايها الذي نزل عليه الذكر اى القرآن في زعمه وعنده
انك لمجنون في دعواك انه نزل عليك ومن توهمك انا نتبعك ونؤمن بك لوما تاتينا بالملائكة يشهدون لك على صدق قولك ان كنت
من الصادقين فيما تدعيه عن ابن عباس والحسن ثم اجابهم سبحانه بالجواب المقنع فقال ما ننزل الملائكة الا بالحق اى لا تنزل الملائكة
الا بالحق الذي هو الموت لا يقع فيه تقديم ولا تاخير فيقبض ارواحهم عن ابن عباس وقيل لا ينزلون الا بعذاب الاستيصال ان لم يؤمنوا عن
الحسن ومجاهد والجبائي اى حين تنزل الملائكة منظرين اى مؤخرين ممهلين اى لا يمهلون ساعة ثم زاد سبحانه في البيان فقال انا نحن
نزلنا الذكر اى القرآن وانا له لحافظون عن الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير عن قتادة وابن عباس ومثله لا ياتيه الباطل من بين
يديه ومن خلفه وقيل معناه متكفل بحفظه الى آخر الدهر على ما هو عليه فتنقله الامة وتحفظه عصرا بعد عصر الى يوم القيمة لقيام الحجة
على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي صلى الله عليه وآله عن الحسن وقيل يحفظه عن كيد المشركين فلا يمكنهم ابطاله ولا يندرس ولا
ينسى عن الجبائي وقال الفراء يجوز ان يكون الهاء في له كناية عن النبي صلى الله عليه وآله فكانه قال انا نحن نزلنا القرآن وانا لمحمد حافظون
وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث اذ المنزل والمحفوظ لا يكون الا محدثا ولقد ارسلنا من قبلك يا محمد رسلا عن ابن عباس فحذف
المفعول لدلالة الارسال عليه في شيع الاولين اى في فرق الاولين عن الحسن والكلبي وقيل في امم الاولين عن عطا عن ابن عباس وما
ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله اذ اخبره ان كل رسول كان مبتلى باستهزاء قومه بالرسل انما حملهم
على ذلك استبعادهم اليه واستيحاشهم منه واستنكارهم له حتى توهموا انه مما لا يكون ولا يصح مع مخالفته لما وجدوا عليه اسلافهم كذلك
نسلكه في قلوب المجرمين فيه قولان احدهما ان معناه انا نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفار باخطاره عليها والقائه فيها وبان
يفهم اياه وانهم مع ذلك لا يؤمنون به ماضين على سنة من تقدمهم في تكذيب الرسل كما اسلكنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الامم عن البلخي
والجبائي والمراد ان اعراضهم عن القرآن لا يمنعنا من ان ندخله في قلوبهم تاكيدا للحجة عليهم والآخر ان المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم
عقوبة لهم على كفرهم والاول هو الصحيح وقد رواه عن جماعة من المفسرين ان المراد نسلك الشرك في قلوب الكفار وذلك لا يصح لانه لم يجر
للشرك ذكر فقد جرى ذكر الذكر وهو القرآن ولانه قال لا يؤمنون به ولو عاد الضمير في قوله به الى الشرك لكانوا محمودين اذ كانوا لا يؤمنون
بالشرك ولا خلاف ان الآية وردت على سبيل الذم لهم ولو كان الله سبحانه قد سلك الكفر الكفار في قلوبهم لسقط عنهم الذم ولما جاز
ان يقول لهم كيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وكيف ينكر عليهم هذا الانكار وهو الواضع
لذلك في قلوبهم وكيف يامرهم باخراجه من حيث وضعه فيهم تعالى وتقدس عن ذلك وقد خلت سنة الاولين اى مضت طريقة الامم
المتقدمة بان كانت رسلهم تدعوهم الى كتب الله المنزلة ثم لا يؤمنون وقيل مضت سنة الاولين بان عوجلوا بعذاب الاستيصال عند اتيان
بالآيات المقترحة مع اصرارهم على الكفر عن ابي مسلم وقيل مضت سنتهم في التكذيب كما ان قومك كذبوك عن ابن عباس ثم قال بعد ما تقدم
ذكر اقتراحهم الآيات ولو اقترحهم الآيات ولو فتحنا عليهم اى على هؤلاء المشركين بابا من السماء ينظرون اليه فظلوا فيه يعرجون اى فظلت
الملائكة تصعد وتنزل في ذلك الباب عن ابن عباس وقتادة وقيل فظل هؤلاء المشركون يعرجون الى السماء من ذلك الباب ويشاهدون
ملكوت السموات عن الحسن والجبائي وابي مسلم لقالوا انما سكرت ابصارنا اى سدت وغطيت عن مجاهد وقيل اغشيت وعميت عن ابن
عباس والكلبي وابي عمرو والكسائي وقيل تحيرت وسكنت عن ان تنظر بل نحن قوم مسحورون سحرنا محمد فلا نبصر وتخيل الاشيا الينا على خلاف

وما كانوا اذا ٣

حقيقتها

حقيقتها الخ ثم ذكر سبحانه دلالة التوحيد فقال ولقد جعلنا اى خلقنا وهيانا فى السماء بروجا اى منازل الشمس والقمر وزيناها للناظرين

بالكواكب السيرة عن ابى عبد الله عم وهى اثنا عشر برجا وقيل البروج النجوم عن ابن عباس والحسن وقتادة وحفظناها اى حفظنا السماء من

كل شيطان رجيم اى مرجوم مرمى بالشهب عن ابى على الجبائى وابى مسلم وقيل رجيم ملعون مشوم عن ابن عباس وحفظ الشى جعله على

ما ينفى عنه الضياع فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه حتى لا ينسى وحفظ المال باحرازه حتى لا يضيع وحفظ السماء من الشيطان بالمنع

ان لا يدخلها ولا يبلغ الى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما اعد له من الشهب الا من استرق السمع والسرقة عند العرب ان يأتى

الانسان الحرز خفية فيأخذ ما ليس له والمراد بالسمع هنا المسموع والمعنى الا من حاول اخذ مسموع من السماء فى خفية فاتبعه اى لحقه

شهاب مبين اى شعلة نار ظاهر لاهل الارض بين لمن يراه ونحن فى رأى العين نرى كانهم يرمون بالنجوم والشهاب عمود من نور يضئ

ضياء النار لشدة ضيائه وروى عن ابن عباس انه كان فى الجاهلية كهنة ومع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع

فيستمع من الملائكة ما هو كائن فى الارض فينزل ويخبر به الكاهن فيفشيه الكاهن الى الناس فلما بعث الله عيسى عم منعوا من ثلث

سموات ولما بعث محمد صلعم منعوا من السموات كلها وحرست السماء بالنجوم والشهب من معجزات نبينا صلى الله عليه وآله لانه لم ير قبل

زمانه وقيل ان الشهب تحرق الشياطين وتقتلهم عن الحسن وقيل انها تخبل وتحرق ولا تقتل عن ابن عباس قوله تعالى والارض

مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين *

وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم * وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه

وما انتم له بخازنين * وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * وان

ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم * سبع آيات القراءة قرا حمزة وحده الريح لواقح والباقون الرياح الحجة قال ابو على لا اعرف لذلك وجها

الا ان يريد ان الريح تاتى مختلفة من كل جهة فكانت بمنزلة رياح وحكى الكسائى ارض اغفال وارض سباسب قال المبرد ويجوز ذلك على ان

يجعل الريح جنسا وليس بجيد لان الرياح ينفصل بعضها من بعض ومعروفة كل واحدة منها والارض ليست كذلك لانها بلد واحد اللغة

الرواسى الثوابت واحدها راسية والمراسى ما يثبت به والوزن وضع احد الشيئين بازاء الآخر على ما يظهر به مساواته فى المقدار وزيادته

والمعايش جمع معيشة وهى طلب اسباب الرزق مدة الحيوة وقد يطلبها الانسان لنفسه بالتصرف والتكسب وقد تطلب له فان اتاه

اسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهنى واللواقح الرياح التى تلقح السحاب حتى تحمل الماء اى تلقى اليه ما يحمل به الماء ويقال لقحت

الناقة اذا حملت والقحها الفحل واللواقح فى معنى الملقحات وقيل فى علة ذلك قولان احدهما انه فى معنى ذات لقاح ومثله هم ناصب اى

ذو نصب قال النابغة كلينى لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطئ الكواكب اى منصب وقال نهشل بن حرى ليبك يزيد ضارع لخصومة

ومختبط مما تطيح الطوائح والآخر ان الرياح لاقحة بحملها الماء ملقحة بالقائها اياه الى السحاب ويقال سقيته فيما يشربه تسقية واسقيته

بالالف فيما تشربه ارضه قال على بن عيسى وقد يجئ احدهما بمعنى الآخر كقوله نسقيكم مما فى بطونها وقال ذو الرمة وقفت على ربع لمية ناقتى

فما زلت ابكى عنده واخاطبه واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمنى احجاره وملاعبه اى ادعو له بالسقيا الاعراب والارض منصوب بفعل

مضمر تقديره ومددنا الارض مددناها كقوله والقمر قدرناه اى وقدرنا القمر قدرناه ومن لستم له برازقين فى موضع نصب عطفا على معايش

والمراد به العبيد والاماء والانعام والدواب عن مجاهد قال الفراء العرب لا تكاد تجعل من الا فى الناس خاصة فان كان مع العبيد

الدواب حسن حينئذ قال وقد يجوز ان يكون من فى موضع جر عطفا على الكاف والميم فى لكم وقال المبرد الظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر

المخفوض نحو مررت بك وزيد الا ان يضطر شاعر وانشد الفراء تعلق فى مثل السوارى سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف فرد الكعب

على الهاء فى بينها وقال هلا سالت بذى الجماجم عنهم وابى نعيم ذى اللواء المحرق فرد ابا نعيم على هم فى عنهم ويجوز ان يكون من فى موضع رفع

لان الكلام قد تم ويكون التقدير على قوله ولكم فيها من لستم له برازقين قال الزجاج والاجود من الاقوال الاول وجاز ان يكون عطفا على تاويل

لكم لان معنى قوله ولكم فيها معايش اعشناكم ومن لستم له برازقين اى رزقناكم ومن لستم له برازقين وان من شىء من مزيدة وشىء مبتدأ وعندنا

خبره وخزائنه مرفوع بالظرف لان الظرف جرى خبرا على المبتدأ ولا خلاف فى هذا بين سيبويه والاخفش المعنى لما تقدم ذكر السماء وما فيها

عشر

عبيده

خمس ع

من الادلة والنعم اتبعه بذكر الارض فقال والارض مددناها اى بسطناها وجعلنا لها طولا وعرضا والقينا فيها رواسى اى طرحنا فيها جبالا
ثابتة وانبتنا فيها اى فى الارض من كل شئ موزون اى مقدر معلوم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل من كل شئ يوزن فى العادة
كالذهب والفضة والصفر والنحاس ونحوها عن الحسن وقيل عنى بذلك كل ما تخرجه الارض عن ابى مسلم قال وانما خص الموزون بالذكر
دون المكيل لوجهين احدهما ان غاية المكيل ينتهى الى الوزن لان جميع المكيلات اذا صار طعاما دخل فى الوزن فالوزن اعم والآخر
ان فى الوزن معنى الكيل لان الوزن هو طلب المساواة وهذا المعنى ثابت فى الكيل فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل ورد عليه
الاجل المرتضى قدس الله روحه فقال ظاهر لفظ الآية يشهد بما قاله فان المراد بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا
عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة داخلة فى باب العبث ونظير ذلك قولهم كلام فلان موزون وافعاله موزونة والمراد ما ذكرناه وعلى
هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين فى القرآن على احد التأويلين وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب وجعلنا لكم فيها
معايش اى خلقنا لكم فى الارض معايش من زرع او نبات عن ابن عباس والحسن وقيل معايش اى مطاعم ومشارب تعيشون بها وقيل
هى التصرف فى اسباب الرزق مدة الحيوة ومن لستم له برازقين يعنى العبيد والدواب يرزقهم الله ولا ترزقونهم ومعناه يدور على ما
تقدم ذكره فى الاعراب واتى بلفظة من دون لفظة ما لانه غلب العقلاء على غيرهم وان من شئ اى ليس من شئ ينزل من السماء وينبت من
الارض الا عندنا خزائنه معناه الا ونحن مالكوه والقادرون عليه وخزائن الله سبحانه مقدوراته لانه يقدر تعالى ان يوجد ما يشاء من جميع
الاجناس ويقدر من كل جنس الى ما لا نهاية له وقيل المراد به الماء الذى منه النبات وهو مخزون عنده الى ان ينزله ونبات الارض وثمارها
انما تنبت بماء السماء قال الحسن المطر خزائن كل شئ وما ننزله اى وما ننزل المطر الا بقدر معلوم تقتضيه الحكمة وقيل انه سبحانه استعار
الخزائن للقدرة على ايجاد الاشياء وعبر عن الايجاد بالانزال لان الانزال فى معنى الاعطاء والرزق والمعنى ان الخير كله من عند الله ولا يأخذ
ولا يعطى الا بحسب المصلحة والحاجة ثم بين سبحانه كيفية الانزال فقال وارسلنا الرياح لواقح اى ينا الرياح لواقح اى ملقحة للسحاب
تحمله بالمطر فانزلنا من السماء ماء اى مطرا فاسقيناكموه اى فاسقيناكم ذلك الماء ومكناكم فيه وما انتم له بخازنين اى وما انتم ايها الناس
له بحافظين ولا خازنين بل الله يحفظه ثم يرسله من السماء ثم يحفظه فى الارض ثم يخرجه من العيون بقدر الحاجة فلا يقدر احد على
اخزان ما يحتاج اليه من السماء فى موضع وانا لنحن نحيى ونميت اخبر سبحانه انه يحيى الخلق اذا شاء ويميتهم اذا اراد ونحن الوارثون الارض
ومن عليها اخبر تعالى انه يرث الارض لانه اذا فنى الخلق ولم يبق احد كانت الاشياء كلها راجعة اليه ينفرد بالتصرف فيها ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين قيل فيه اقوال احدها ان معناه ولقد علمنا الماضين منكم ولقد علمنا الباقين عن مجاهد والضحاك
وقتادة وثانيها علمنا الاولين منكم والآخرين عن الشعبى وثالثها علمنا المستقدمين فى صفوف الحرب والمتاخرين عنها عن سعيد بن المسيب
ورابعها علمنا المتقدمين فى الخير والمبطئين عنه عن الحسن وخامسها علمنا المستقدمين الى الصف الاول فى الصلوة والمستاخرين فانه
كان يتقدم بعضهم الى الصف الاول ليدرك فضيلته ويتأخر بعضهم لينظر الى اعجاز النساء فنزلت الآية فيهم عن ابن عباس وسادسها
ان النبى صلى الله عليه وآله حث الناس على الصف الاول فى الصلوة وقال خير صفوف الرجال اولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء
آخرها وشرها اولها وقال ع ان الله وملائكته يصلون على الصف المتقدم فازدحم الناس وكانت دور بنى عذرة بعيدة من المسجد فقالوا
لنبيعن دورنا ولنشترين دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية عن الربيع بن انس فعلى هذا يكون
المعنى انا نجازى الناس على نياتهم وان ربك هو يحشرهم معناه ان ربك يا محمد او ايها السامع هو الذى يجمعهم يوم القيمة ويبعثهم
بعد اماتتهم للمجازاة والمحاسبة انه حكيم فى افعاله عليم بما يستحق كل منهم النظم انما اتصل قوله وانا لنحن نحيى ونميت بما بعده بما
ذكره فيما قبل من انواع النعم فبين سبحانه انه يميتهم كل ما خولهم فى ذلك تزهيدا فى الدنيا وترغيبا فى الآخرة عن ابى مسلم وقيل انه لما بين
انواع نعمه عرفهم بعد انه لم يخلق ذلك للبقاء وانما انعم به عليهم ليكون طريقا الى نعم الآخرة عن القاضى وقيل انه لما ذكرهم نعم الدنيا
نبه بالاحياء والاماتة وعلمه بجميع الاشياء وحشر الخلق على وجوب الانقطاع اليه والعبادة والطاعة له قوله تعالى وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ

٢١

عشر

حس

مِنْ حَمَاٍ مَسْنُونٍ ۞ فَاِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ ۞ اِلَّا اِبْلِيسَ اَبَى اَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۞
قَالَ يَا اِبْلِيسُ مَا لَكَ اَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۞ قَالَ لَمْ اَكُنْ لِاَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَاٍ مَسْنُونٍ ۞ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ
رَجِيمٌ ۞ وَاِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ اِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۞ عشر آيات اللغة الصلصال الطين اليابس اخذ من الصلصلة وهي من التقعقع
ويقال لصوت الحديد ولصوت الرعد صلصله وهو صوت شديد يتردد في الهوآء وصل يصل اذا صوت قال بعضهم الصدر حسم
اذا فرغت صفرا من الماء صلت ويقال الصلصال المنتن احذ من صل اللحم واصل اذا انتن والحماء جمع حماه وهو الطين المتغير الى السواد
ويقال حمات البير واحماتها انا والمسنون المصبوب من سننت الماء على وجهه اى صببته ويقال سننت بالسين غير معجمة ارسلت الماء و
شننت بالشين معجمه صببت الماء وقيل انه المتغير من قولهم سننت الحديدة على المسن اذا غيرتها بالحديد واصله الاستمرار في وجه من قولهم
هو على سنن واحد والسنة الطريقة والسنة الوجه صورته قال ذو الرمة تريك سنة وجه غير مقرفه ملساء ليس بها خال ولا ندب قال
سيبويه جمع الجان جنان نحو شل حايط وحيطان وراع ورعيان والسموم الريح الحارة احذ من دخولها بلطفها في مسام البدن ومنه السم
القاتل ويقال سم يومنا يسم اذا هبت فيه الريح السموم الاعراب من جعل الجان جميعا فان لم يقل خلقناها كما قال مما في بطونه ومما في بطونها
وقوله مالك الا تكون مع الساجدين ما مبتدا ولك خبره والتقدير اى شيء ثابت لك والا تكون تقديره في ان لا تكون فحذف في وهي متعلقه
بالخبر ايضا فلما حذفت في انتصب موضع ان تكون على قول سيبويه وبقي على الجر على قول الخليل وابو الحسن حمل ان على الزيادة ولا تكون
في موضع الحال قال وتقديره مالك خارجا عن الساجدين المعنى لما ذكر سبحانه الاحياء والاماتة والنشاة الثانية عقبه ببيان النشاة
الاولى فقال ولقد خلقنا الانسان يعني آدم من صلصال اى من طين يابس يسمع له عند النقر صلصله اى صوت عن ابن عباس
والحسن وقتادة واكثر المفسرين وقيل طين صلب يخالطه الكثيب عن الضحاك وقيل منتن عن مجاهد واختاره الكسائي من حماء اي
من طين متغير مسنون اى مصبوب كانه افرغ حتى صار له صوت كما يصب الذهب والفضة وقيل انه الرطب عن ابن عباس وقيل
مسنون مصور عن سيبويه قال احذ من سنة الوجه والجان وهو ابليس عن الحسن وقتادة وقيل هو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر عن
ابن عباس وقيل هم الجن نسل ابليس وهو منصوب بفعل مضمر يعناه وخلقنا الجان خلقناه من قبل اى من قبل خلق آدم عم من نار السموم
اى من نار لها ريح حارة تقتل وقيل هي نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس
من حي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وقيل
السموم النار الملتهبه عن ابي مسلم وفي هذه اشارة الى ان الانسان لا يفضل باصله وانما يفضل بدينه وعمله وصالح عمله واصل آدم كان
من تراب وذلك قوله خلقه من تراب ثم جعل التراب طينا وذلك قوله وخلقته من طين ثم ترك ذلك الطين حتى تغير واسترخا وذلك
قوله من حماء مسنون ثم ترك حتى جف وذلك قوله من صلصال فهذه الاقوال لا تناقض فيها اذا هي اخبار عن حالة المختلفه واذ قال ربك
للملائكة تقديره واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة اني خالق اى ساخلق بشرا اى آدم وسمي بشرا لانه ظاهر الجلد لا يواريه شعر ولا صوف من
صلصال من حماء مسنون مر معناه فاذا سويته باتمام خلقته واكماله وقيل معناه صورته عدلت ونفخت فيه من روحي والنفخ اجراء الريح
في الشيء باعتماد فلما اجرى الله سبحانه الروح في آدم عليه السلم على هذه الصفة كان قد نفخ الروح فيه واذا اضاف روح آدم الى نفسه تكرمة
له وتشريفا وهي اضافة الملك فقعوا له ساجدين اى اسجدوا له قال الكلبي اى خروا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون هذا توكيد
بعد توكيد عند سيبويه وقال المبرد يدل قوله اجمعون على اجتماعهم في السجود اى فسجدوا كلهم في حالة واحدة قال الزجاج وقول سيبويه
اجود لان اجمعون معرفة فلا يكون حالا الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين اى امتنع ان يكون معهم فلم يسجد معهم وقد سبق القول
في ان ابليس هل كان من الملائكة او لم يكن واختلاف العلماء فيه وما لكل واحد من الفريقين من حجج وذكرنا ما يتعلق بذلك من الكلام في
سورة البقرة فلا معنى للاعادة وان تكون في محل نصب اى ابى الكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين وقال الزجاج
معناه اى شيء يقع لك في ان لا تكون مع الساجدين فموضع ان نصب باسقاط في وافضاء الناصب الى ان وهذا خطاب من الله سبحانه لابليس
ومعناه لم لا تكون مع الساجدين فتسجد كما سجدوا وانما قال سبحانه بنفسه على جهة الاهانة له كما يقول لاهل النار اخسئوا فيها ولا تكلمون

وقال الجبائي انما قال سبحانه ذلك على لسان بعض رسله لانه لا يصح ان يكلمه الله بلا واسطة في زمان التكليف قال اي قال ابليس
مجيبا لهذا الكلام لم اكن لاسجد اي ما كنت لاسجد وقيل معناه ما كان ينبغي ان اسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون لاني
اشرف اصلا منه ولم يعلم ان التفاضل بالدين والاعمال لا بالاصل قال فاخرج منها اي من الجنة فانك رجيم اي مشوم مطرود ملعون وقيل
معناه اخرج من السماء عن ابي مسلم وقيل من الارض فالحقه بالبحار لا يدخل الارض الا كالسارق وقيل يعني رجيم مرجوم اي ان رجعت
الى السماء رجمت بمثل الشهب التي ترجم بها الشياطين عن الجبائي وان عليك اللعنة الى يوم الدين اي وان عليك مع ذلك اللعنة
اي الابعاد من رحمة الله ولذلك لا يجوز ان تلعن بهيمة الى يوم الدين اي يوم الجزاء وهو يوم القيمة والمراد ان الله سبحانه قد لعنه
واهل السماء واهل الارض يلعنونك لعنة لازمة لك الى يوم القيمة ثم تحصل بعد ذلك على الجزاء بعذاب النار وفيه بيان انه لا يومن
قط وقال بعض المحققين انما قال سبحانه هنا وان عليك اللعنة بالالف واللام وقال في سورة ص لعنتي بالاضافة لان هناك يقول
لما خلقت بيدي مضافا فقال وان عليك لعنتي على المطابقة وقال هنا ما لك الا تكون مع الساجدين وسياق الاية على الكلام في قوله
ولقد خلقنا الانسان وقوله والجان فاتى باللام ايضا وقوله وان عليك اللعنة قوله تعالى قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ
مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ
أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ تسع آيات القراءة قرا يعقوب صراط علي بالرفع وهو قراءة ابي رجاء وابن سيرين
وقتادة والضحاك ومجاهد وقيس بن عباد وعمرو بن ميمون وروي ذلك عن ابي عبد الله ع والباقون من القراء قرءوا على الحجة قال ابن
جني علي كقولك كريم وشريف وليس المراد به علو الشخص والنصبة قال ابو الحسن في قراءة الجماعة هذا صراط علي مستقيم كقوله الدلالة اليوم
علي اي هذا صراط في ذمتي وتحت ضماني كقولك صحة هذا المال علي وتوفية عدته علي وليس معناه عنده مستقيم علي كقولنا قد استقام علي
الطريق واستقر على كذا وما احسن ما ذهب اليه ابو الحسن فيه اللغة الاغواء الدعاء الى الغي والاغواء خلاف الارشاد وهذا
اصله وقد يكون الاغواء بمعنى الحكم بالغي على وجه الذم والتزيين جعل الشيء متقبلا في النفس من جهة الطبع او العقل بحق او بباطل
فاغواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه المعنى ثم بين سبحانه ما ساله ابليس عند اياسه من الاخرة فقال عز اسمه
قال رب فانظرني اي فامهلني واخرني الى يوم يبعثون اي يحشرون للجزاء استنظر ابليس الى يوم القيمة لئلا يموت اذ يوم القيمة لا
يموت فيه احد فلم يجبه الله تعالى الى ذلك بل قال له فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم الذي هو آخر ايام التكليف وهي
النفخة الاولى حين يموت الخلائق عن ابن عباس وقيل الوقت المعلوم يوم القيمة انظره الله سبحانه في رفع العذاب عنه الى يوم القيمة عن
الحسن والجبائي وابي مسلم وقيل هو الوقت الذي قدر الله اجله فيه وهو معلوم لله سبحانه وهو معلوم لابليس فابهم ولم يبين لان في بيانه
اغراء بالمعصية عن البلخي واختلف في تجويز اجابة دعاء الكافر فقال الجبائي لا يجوز لان في اجابة الدعاء تعظيما له وقال ابن الاخشيد يجوز
ذلك لان الاجابة كالنعمة في احتمالها ان يكون ثوابا وتعظيما وان يكون استصلاحا ولطفا قال ابليس رب بما اغويتني لازينن لهم في
الارض ولاغوينهم اجمعين قيل فيه اقوال احدها ان الاغواء الاول والثاني بمعنى الاضلال اي كما اضللتني لاضلنهم وهذا لا يجوز لان الله
سبحانه لا يضل عن الدين الا ان يحمل على ان ابليس كان معتقد الجبر وثانيها ان الاغواء الاول والثاني بمعنى التخييب اي كما خيبتني من
رحمتك لاخيبنهم بالدعاء الى معصيتك عن الجبائي وثالثها ان معناه بما اضللتني عن طريق جنتك لاضلنهم بالدعاء الى معصيتك ورابعها
بما كلفتني السجود لادم الذي غويت عنده فسمي ذلك غواية كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم لما ازدادوا عندها عن البلخي والباء في قوله
فبما اغويتني قيل ان معناه القسم ههنا عن ابي عبيدة وقيل هي بمعنى السبب اي بكوني غاويا لازينن كما يقال بطاعته ليدخل الجنة وبمعصيته
ليدخلن النار ومفعول التزيين محذوف وتقديره لازينن الباطل لهم اي لاولاد آدم حتى يقعوا فيه ثم استثنى من جملتهم فقال الا عبادك
منهم المخلصين وهم الذين اخلصوا عبادتهم لله وامتنعوا عن عبادة الشيطان وانتهوا عما نهاهم الله عنه ومن قرا المخلصين بفتح اللام
فهم الذين اخلصهم الله بان وفقهم لذلك ولطف لهم ليس للشيطان عليهم سبيل قال الله سبحانه هذا صراط علي مستقيم قيل فيه

وجه

وجوه احدها انه على وجه التهديد له كما تقول لغيرك افعل ماشئت وطريقك على اي لا تفوتني عن مجاهد وقتادة ومثله قوله ان
ربك لبالمرصاد وثانيها معناه ان ملتذكره من امر المخلصين والغاوين طريق ممره على اى ممر من سلكه على مستقيم لا عدول فيه عنى واجازي
كلا من الفريقين بما عمل وثالثها ان معناه هذا دين مستقيم على بيانه والهداية اليه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان هذا اخبار منه تعالى
بان عباده الذين يطيعونه ويتبعون الى اوامره لا سلطان للشيطان عليهم ولا قدرة له على ان يكرههم على المعصية ويحملهم عليها ولكن من تبعه
فانما يتبعه باختياره قال الجبائى ان ذلك يدل على ان الجن لا يقدرون على الاضرار ببنى آدم لانه على عمومه فمن استثنى تعالى من جملة العباد
من يتبع ابليس على اغوائه وينقاد له ويقبل منه فقال الا من اتبعك من الغاوين لانه اذا قبل منه صار له سلطان بعدوله عن الهدى الى ما
يدعوه اليه من اتباع الهوى وقيل ان الاستثناء منقطع والمراد لكن من اتبعك من الغاوين جعل لك على نفسه سلطانا وان جهنم لموعدهم
اجمعين اى موعد ابليس ومن تبعه لها سبعة ابواب فيه قولان احدهما ما روي عن امير المؤمنين ع ان جهنم لها سبعة ابواب اطباق
بعضها فوق بعض ووضع احدى يديه على الاخرى فقال هكذا وان الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض فاسفلها
جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية وفى رواية الكلبى اسفلها الهاوية واعلاها
جهنم وعن ابن عباس ان الباب الاول جهنم والثانى السعير والثالث سقر والرابع جحيم والخامس لظى والسادس الحطمة والسابع
الهاوية واختلفت الروايات فى ذلك كما ترى وهو قول مجاهد وعكرمة والجبائى قالوا ان ابواب النيران كالاطباق اليد على اليد والآخر
ما يحكى عن الضحاك قال للنار سبعة ابواب وهى سبعة ادراك بعضها فوق بعض فاعلاها فيه اهل التوحيد يعذبون على قدر
اعمالهم واعمارهم فى الدنيا ثم يخرجون والثانى فيه اليهود والثالث فيه النصارى والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس
فيه مشركوا العرب والسابع فيه المنافقون وذلك ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وهو قول الحسن وابى مسلم والقولان
متقاربان لكل باب منهم اى من الكافرين جزء مقسوم اى نصيب مفروز عن ابن عباس **قوله تعالى** إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞
ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ۞ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۞ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا
بِمُخْرَجِينَ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۞ ست آيات **اللغة** الغل الحقد الذي ينغل فى القلب
ومنه الغل الذي يجعل فى العنق والغلول الخيانة الذى ان يطرق عابها صاحبها والسرير المجلس الرفيع موطا للسرور وجمعه الاسرة والسرر
والنصب التعب والوهن الذي يلحق من العمل مشتق من الانتصاب لان صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل للوهن الذي لحقه العمل
المعنى لما ذكر سبحانه عبادة المخلصين عقبه بذكر حالهم فى الآخرة فقال ان المتقين الذين يتقون عقاب الله باجتناب معاصيه فى
جنات اى بساتين خلقت لهم وعيون من ماء وخمر وعسل يفور من الفوارة ثم يجري من مجاريها ادخلوها بسلام آمنين اي يقال لهم ادخلوا
الجنات بسلامة من الآفات وبراءة من المكاره والمضرات آمنين من الاخراج منها ساكنى النفس الى انتفاء الضرر فيها ونزعنا ما فى
صدورهم من غل اى وانتزعنا عن صدور اهل الجنة ما فيها من اسباب العداوة من الغل والحقد والحسد والتنافس والتباغض اخوانا
منصوب على الحال اى وهم يكونون اخوانا متوادين يريد مثل الاخوان فصفوا لذلك عيشهم على سرر اى كائنين على مجالس السرور
متقابلين متواجهين ينظر بعضهم الى وجه بعض قال مجاهد لا يرى الرجل من اهل الجنة قفا زوجته ولا ترى زوجته قفاه لان الاسرة
تدور بهم كيف ما شاؤوا حتى يكونون متقابلين فى عموم احوالهم وقيل متقابلين فى الزيارة اذا تزاوروا استوت مجالسهم ومنازلهم واذا
افترقوا كانت منازل بعضهم ارفع من بعض لا يمسهم فيها اى فى الجنة نصب اى عناء وتعب لانهم لا يحتاجون الى اتعاب انفسهم لتحصيل
مقاصدهم اذ جميع النعم حاصلة لهم وما هم منها بمخرجين اى يبقون فيها مؤبدين ثم امر سبحانه نبيه ص ان يخبر عباده بكثرة عفوه ومغفرته
ورحمته لاوليائه وشدة عذابه لاعدائه فقال نبئ يا محمد عبادى انى انا الغفور اى كثير الستر للذنوب المؤمنين الرحيم كثير الرحمة لهم وان
عذابى هو العذاب الاليم فلا تعولوا على محض غفراني ورحمتي ويخافوا عقابي ونقمتي **قوله تعالى** وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ دَخَلُوا
عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ۞ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۞ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۞ قَالُوا
بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ۞ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا

خمس

نصف الحزب

عشر

خمس

أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين * عشر آيات القراءة قرأ نافع وحده فبم تبشرون
خفيفة النون مكسورة وقرأ ابن كثير وحده فبم تبشرون مشددة النون مكسورة وقرأ الباقون تبشرون مفتوحة النون خفيفة وروي
ابو علي الضرير عن روح وغيره عن يعقوب فبم تبشروني باثبات الياء وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بكسر النون حيث كان والباقون بالفتح
النون وقرأ منجوهم خفيفة اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب والباقون بالتشديد وقرأ قدرنا بالتخفيف ابو بكر عن عاصم وكذلك في النمل والباقون
بالتشديد الحجة قال ابو علي الوجه في قراءة نافع انه اراد تبشرونني الا انه حذف النون الثانية استثقالا لان التكرير بها وقع ولم يحذف
النون الاولى التي هي علامة الرفع وقد حذفوا هذه النون في كلامهم لانها زائدة ولان علامة الضمير الياء من دونها قال انا الموت الذي
لابد اني ملاق له اباك تخوفيني وقال تراه كالثغام تعل مسكا تسوء الفاليات اذا فليني والوجه في تشديد ابن كثير النون انه ادغم النون
الاولى التي هي علامة الرفع في الثانية المتصلة بالياء التي للضمير المنصوب المتكلم ومن فتح النون فلانه لم يعد الفعل الى المفعول به كما عدي
غيره وحذف المفعول به كثير والنون علامة الرفع وقنط يقنط وقنط يقنط لغتان وكان قنط يقنط اعلى ويدل على ذلك اجماعهم في قوله
قنطوا وحكي ان يقنط لغة وهو يدل على ان يقنط اكثر لان مضارع فعل يجيء على يفعل ويفعل وحجة من قرأ منجوهم قوله ونجينا الذين آمنوا
وحجة من قرأ بالتخفيف قوله فانجاه الله من النار وقدرنا بالتخفيف لغة في قدرنا يدل على ذلك قول الهذلي ومفرها عنس قدرت لساقها
فخرت كما تتابع الريح بالقفل والمعنى قدرت ضربتي لساقها فضربتها فحذف لدلالة الكلام عليه فمن قرأ قدرنا مخففا كان في معنى
التشديد اللغة الضيف هو المنضوي الى غيره لطلب القرى وهو يقع على الواحد والاثنين والجمع لانه في الاصل مصدر يوصف به
وقد يجمع بالاضياف والضيوف والضيفان والوجل الخوف يقال وجل يوجل وياجل وييجل اذا خاف والخطب الامر الجليل ومنه الخطبة
والخطبة والمجرم المنقطع عن الحق الى الباطل وهو القاطع لنفسه عن المحاسن الى المقابح والغابر الباقي فيمن يهلك قال الشاعر فما
ونى محمد مذ ان غفر له الاله ما مضى وما غبر الاعراب سلاما منصوب على المصدر كانهم قالوا سلمنا سلاما الا آل لوط قال الزجاج
هو استثناء ليس من الاول وقوله الا امرأته استثناء من الهاء والميم في قوله انا لمنجوهم وقوله قدرنا انها لمن الغابرين في معنى علمنا
انها لمن الغابرين قال ابو عبيدة في الآية معنى فقد كان ابو يوسف يتأوله فيها وهو ان الله استثنى آل لوط من المجرمين ثم استثنى
امرأة لوط من آل لوط فرجعت امرأته في التأويل الى القوم المجرمين وكذلك كل استثناء في الكلام اذا جاء بعد استثناء آخر عاد
المعنى الى اول الكلام كقول الرجل لفلان علي عشرة دراهم الا اربعة الا درهما فانه يكون اقرارا بسبعة وكذلك لو قال له علي
خمسة الا درهما الا ثلثا كان اقرارا باربعة وثلثين المعنى لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد عقبه بذكر قصة ابرهيم وقوم لوط
مصداقا لما ذكره وارشادا الى الدلالة بالعاجل على الآجل فقال ونبئهم عن ضيف ابرهيم اي واخبرهم عن اضياف ابرهيم اذ دخلوا
عليه يعني الملائكة وانما سماهم ضيفا لانهم جاؤه في صورة الاضياف فقالوا سلاما اي سلموا عليه سلاما على وجه الدعاء والتحية
وبشروه بالولد وباهلاك قوم لوط قال ابراهيم انا منكم وجلون اي خائفون قالوا لا توجل اي لا تخف انا نبشرك اي نخبرك بما يسرك
بغلام عليم اي بولد يكون غلاما اذا ولد ويكون عليما اذا بلغ قال ابرهيم ابشرتموني بالمولود على ان مسني الكبر اي في حال الكبر الذي
يوجب الياس عن الولد فبم تبشروني اي بامر الله تعالى فاثق به ام من جهة انفسكم ومعنى مسني الكبر غيرني الكبر عن حال الشباب الذي
يطمع في الولد الى حال الهرم وقيل معناه على راس الكبر قالوا بشرناك بالحق اي قالت الملائكة لابرهيم انا بشرناك بذلك على وجه
الحقيقة بامر الله تعالى فلا تكن من القانطين اي الآيسين فاجابهم ابرهيم ع بان قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي ومن
يياس من رحمة الله وحسن انعامه الا الغافلون عن الحق الضالون عن طريق الهدى الجاهلون بقدرته على خلق الولد من الشيخ
الكبير وهذا القول من ابرهيم ع يدل على انه لم يكن قانطا ولكنه استبعد ذلك فظنت الملائكة قنوطا فنفى ذلك عن نفسه قال
ابراهيم بعد ذلك للملائكة فما خطبكم ايها المرسلون اي ما الامر الجليل الذي بعثتم له وما شانكم وسماهم المرسلين لما علم انهم ملائكة
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اي مذنبين وقيل كافرين اجرموا باهلاكهم واقتصروا على هذا لان من المعلوم ان الملائكة انما يرسلون الى
المجرمين للهلاك الا آل لوط استثنى منهم آل لوط وهم خاصته وعشيرته وانما استثناهم منهم وان لم يكونوا مجرمين من حيث كانوا من قوم

لوط ومن نسب اليهم وقيل ان معناه لكن آل لوط انا لمنجوهم اجمعين اى نخلصهم اجمعين من العذاب الا امرأته استثنى امرأته من آل لوط لانها كانت كافرة قدرنا انها لمن الغابرين اي من الباقين فى المدينة مع المهلكين اى قضينا انها تهلك كما يهلكون قوله تعالى

فلما جاء آل لوط المرسلون • قال انكم قوم منكرون • قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون • واتيناك بالحق وانا لصادقون • فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون • وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين • وجاء اهل المدينة يستبشرون • قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون • واتقوا الله ولا تخزون • قالوا اولم ننهك عن العالمين • قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين • لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون • اثنتا عشرة آية

اللغة الاسراء سير الليل يقال سرى يسرى واسرى اسراء لغتان قال امرؤ القيس سريت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بارسان والقطع كانه جمع قطعة مثل سدرة وسدر وتمرة وتمر والاتباع اقتفاء الاثر والاتباع في المذهب والاقتداء بمعنى بخلافه الابتداع والادبار جمع دبر وهو جهة الخلف والقبل جهة القدام وتذكيني بهما عن الفرج والدابر الاصل وقيل ان الدابر الآخر وعقب الرجل دابره والعمر والعمر واحد غير انه لا يجوز فى القسم الا بالفتح لان الفتح اخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمري ولعمرك فلزموا الاخف الاعراب ان دابر هؤلاء مقطوع موضع ان نصب بانه بدل من ذلك الامر لانه تفسيره ويجوز ان يكون نصبا على حذف الجار فكانه قال وقضينا اليه بان دابرهم مقطوع وقوله مصبحين نصب على الحال ويستبشرون فى موضع نصب ايض على الحال لعمرك مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والتقدير لعمرك قسمي او لعمرك ما اقسم به ولا يستعمل اظهار هذا الخبر قال الزجاج ان باب القسم يحذف معه الفعل يقولون والله لافعلن وبالله لافعلن فالمعنى احلف بالله فحذف الفعل للعلم به فكذلك حذف خبر الابتداء لدلالة الكلام عليه المعنى ثم اخبر سبحانه ان الملائكة لما خرجوا من عند ابراهيم ع اتوا لوطا يبشرونه بهلاك قومه فقال فلما جاء آل لوط المرسلين قال انكم قوم منكرون وانما قال لهم لوط ذلك لانهم جاؤه على صفة المرد وعلى هيئة وجمال لم ير مثلهم قط فانكر شانهم وهيئتهم وقيل انه اراد انى انكركم فعرفوني انفسكم ليطمئن قلبي قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه اذا خوفتهم به واتيناك بالحق اى بالعذاب المستيقن به وانا لصادقون فيما اخبرناك به وقيل معناه واتيناك بامر الله تعالى ولا شك ان امره سبحانه حق فاسر باهلك بقطع من الليل معناه سر باهلك بعد ما يمضى من الليل اكثره ويبقى قطعة منه واتبع ادبارهم اى اتبع آثارهم وكن وراءهم لتكون عينا عليهم فلا يتخلف احد منهم ولا يلتفت منكم احد اي لا يلتفت احد منكم الى ماخلف وراءه فى المدينة كما يقول القايل امض لشانك ولا تعوج على شئ وقيل لا ينظر احد منكم وراءه لئلا يرى العذاب فيفزع ولا يحتمل قلبهم ذلك عن الحسن وابى مسلم وامضوا حيث تؤمرون اى اذهبوا الى الموضع الذي امركم الله بالذهاب اليه وهو الشام عن السدى وقضينا اليه ذلك الامر اى اعلمنا لوطا واخبرناه واوحينا اليه ما ينزل بهم من العذاب ان دابر هؤلاء مقطوع يعنى ان آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح وهو قوله مصبحين اى داخلين فى وقت الصبح والمراد انهم مستاصلون بالعذاب وقت الصباح على وجه لا يبقى منهم اثر ولا نسل ولا عقب وجاء اهل المدينة يستبشرون يبشر بعضهم بعضا بنزول من هو فى صورة الاضياف بلوط وانما فرحوا طمعا فى ان ينالوا الفجور منهم قال لوط لهم ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون فيهم والفضيحة الزام العار والشنار بالانسان فمعناه لا تلزموني فيهم عارا بقصدكم اياهم بالسوء واتقوا الله باجتناب معاصيه ولا تخزون فى ضيفي والخزى الانقماع بالعيب الذي يستحى منه قالوا اولم ننهك عن العالمين معناه اولم ننهك ان تجير احدا او تضيف احدا قال الجبائى هذا القول انما كان من لوط ع لقومه قبل ان يعلم انهم ملائكة بعثوا لاهلاك قومه وانما ذكر مؤخرا وهو فى المعنى مقدم كما ذكر فى غير هذه السورة قال لوط لهم واشار الى بناته لصلبه هؤلاء بناتي فتزوجوهن ان كان لكم رغبة فى التزويج عن ابن عباس والحسن وقتادة وقوله ان كنتم فاعلين كناية عن النكاح اى ان كنتم متزوجين وقيل انما قال ذلك للرؤساء الذين يكفون الاتباع وقد كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر يومئذ وقد كان ذلك ايض جايزا فى صدر شريعتنا ثم حرم عن الحسن والجبائى وقيل انهن كن بنات قومه عرضهن عليهم بالتزويج والاستغناء بهن عن الذكران والاول اصح لعمرك اى وحياتك يا محمد ومدة بقائك حيا قال المبرد وهو دعاء ومعناه اسال الله عمرك قال ابن عباس ما خلق الله عز وجل ولا ذرا ولا برا نفسا اكرم عليه من محمد ص وما سمعت الله اقسم بحياة احد الا بحياته فقال لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون ومعناه انهم لفى غفلتهم يتحيرون ويترددون فلا يجرون لطريق الرشد

حس

عشر

قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون

اثنتا عشرة آية

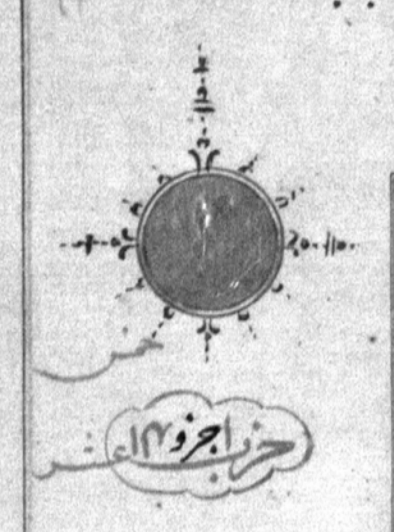
القراءة قرا جميع القراء الايكة هيهنا لانها مكتوبة بالالف الا ورشا عن نافع فانه يترك الهمزة ويرد حركتها الى اللام

الحجة اذا خففت الهمزة في ايكة وقد لحقتها الالف واللام حذفتها والقيت حركتها على اللام ويجوز فيه اذا استانفت لغتان فمن قال الحمر قال الكير ومن قال لحمر قال ليكة

اللغة الايك الشجر الملتف وجمعها ايك مثل شجرة وشجر قال امية كبكاء الحمام على فروع الايك في الطير الجوانح وقيل الايكة الغيضة والمتوسم الناظر في السمة الدالة وهي العلامة ويقال توسمت الشيء وسما اذا اثرت فيه بسمة ومنه الوسمي اول المطر لانه يسم الارض بالنبات وتوسم الرجل طلب الكلا الوسمي قال واصبحن كالدوم النواعم غدوة على وجهة من ظاعن متوسم وتوسم فيه الخير اذا عرف سمة ذلك فيه والامام الطريق والامام المبين اللوح المحفوظ والامام في اللغة هو المقدم الذي يتبعه من بعده والحجر ماخوذ من الحجر الذي هو المنع ومنه سمي العقل حجرا لانه يمنع من القبائح

الاعراب انتصب قوله مشرقين ومصبحين على الحال يقال اشرقوا فهم مشرقون اذا صادفوا شروق الشمس وهو طلوعها كما يقال اصبحوا اذا صادفوا الصبح فمعنى مشرقين مصادفين لطلوع الشمس فان في قوله وان كان اصحاب الايكة مخففة من الثقيلة وآمنين منصوب على الحال

المعنى ثم اخبر سبحانه عن كيفية عذاب قوم لوط فقال فاخذتهم الصيحة مشرقين اي اخذهم الصوت الهائل في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل مضى تفسيره في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين معناه ان فيما سبق ذكره من اهلاك قوم لوط لدلالات للمتفكرين المعتبرين عن قتادة وابن زيد وقيل للمتفرسين عن مجاهد وقد صح عن النبي ص انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال ان لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم ثم قرا هذه الآية وروي عن ابي عبد الله ع انه قال نحن المتوسمون والسبيل فينا مقيم والسبيل طريق الجنة ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره وانها لبسبيل مقيم معناه ان مدينة لوط لها طريق مسلوك يسلكه الناس في حوائجهم فينظرون الى آثارها ويعتبرون بها لان الآثار التي يستدل بها مقيمة ثابتة بها وهي مدينة سدوم وقال قتادة ان قرى قوم لوط بين المدينة والشام ان في ذلك لآية اي عبرة ودلالة للمؤمنين خص المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بها وان كان اصحاب الايكة لظالمين واصحاب الايكة اهل الشجر الذين ارسل اليهم شعيب ع وارسل الى مدين فاهلكوا بالصيحة واما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة التي احترقوا بنارها عن قتادة وجماعة من المفسرين ومعنى الآية انه كان اصحاب الايكة ظالمين في تكذيب رسولهم وكانوا اصحاب غياض فعاقبهم الله تعالى بالحر سبعة ايام ثم انشا الله تعالى سحابة فاستظلوا بها يلتمسون الروح فيها فلما اجتمعوا تحتها ارسل الله منها صاعقة فاحرقتهم جميعا فانتقمنا منهم اي من قوم شعيب ومن قوم لوط اي عذبناهم بما نقمناه منهم والانتقام هو المجازاة على جناية سابقة وفرق علي بن عيسى بين الانتقام والعقاب بان الانتقام هو نقيض الانعام والعقاب نقيض الثواب وانهما لبامام مبين معناه وان مدن قوم لوط واصحاب الايكة بطريق يؤم ويتبع ويهتدى به عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وسمي الطريق اماما لان الانسان يؤمه وقيل معناه وان حديث مدينتهما لمكتوب مذكور في اللوح المحفوظ او حديث لوط وحديث شعيب عن الجبائي فيكون نظير قوله وكل شيء احصيناه في امام مبين والمبين الظاهر ثم اخبر سبحانه عن اهلاك قوم صالح فقال ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين والحجر اسم البلد الذي كانوا فيه ثمود وانما سموا اصحاب الحجر لانهم كانوا سكانه كما يسمى الاعراب الذين يسكنون البوادي اصحاب الصحارى لانهم يسكنونها وقيل الحجر اسم لواد كان يسكنه هولاء عن قتادة وانما قال المرسلين لان في تكذيب صالح تكذيب المرسلين لانه كان يدعوهم الى ما دعا اليه المرسلون والى الايمان بالمرسلين فكان في تكذيب احدهم تكذيب الجميع وقيل بعث الله اليهم رسلا منهم صالح عن الجبائي وآتيناهم آياتنا اي آتينا اصحاب الحجر الحجج والمعجزات والدلالات الدالة على صدق الانبياء وقيل آتينا الرسل الآيات عن الحسن فكانوا عنها اي عن الآيات معرضين اعرضوا عن التفكر فيها والاستدلال بها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين اي وكان قوم صالح في القدرة بحيث ينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها وكانوا آمنين من خرابها وسقوطها عليهم وقيل كانوا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الموت لطول اعمارهم فاخذتهم الصيحة



حزب جزو ١٤ العشر

مصبحين اى فاهلكوا بالصيحة فى وقت دخولهم فى الصباح فما اغنى عنهم اى فما دفع عنهم العذاب ولم يغنهم ما كانوا يكسبون اى يجمعون من
المال والاولاد وانواع الملاذ قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح
الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى انا النذير المبين كما انزلنا على
المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين سبع آيات اللغة عضين جمع عضة واصله عضوة فنقصت الواو كذلك جمعت
عضين بالنون كما قالوا عزون والاصل عزوة والتعضية التفريق ماخوذ من الاعضاء يقال عضيت الشئ اى فرقته وبعضته قال رؤبة
وليس دين الله بالمعضى قال آخر ذلك ديار يازم المارون وعضوات تقطع اللهازما وقيل اصله عضة عضهة فحذفت الهاء كما حذفت
من شفة وشاة واصلها شفهة وشاهة بدلالة ان الجمع شفاه وشياه بالهاء والتصغير شفيهة وشويهة المعنى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق معناه ما خلقناهما عبثا بل لما اقتضته الحكمة وهى انا قد يجدد ما اهلها ثم نجازيهم بما عملوا وان الساعة وهى يوم القيمة
لآتية اى جائية بلا شك بعذابهم وقيل بمجازاة الخلائق كلهم وقيل هو تفسير قوله الا بالحق فاصفح الصفح الجميل اى فاعرض يا محمد عن مجازاة المشركين
وعن مجازاتهم واعف عنهم عفوا جميلا واختلف فى الآية فقيل انها منسوخة بآية القتال عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل
لا نسخ فيه بل هو فيما بين الشئ وبينهم لا فيما امر به من جهة جهادهم امره بالصفح عنهم فى موضع الصفح كقوله فاعرض عنهم وعظهم عن الحسن قال
القاضى والصفح ممدوح فى سائر الحالات وهو كالحلم والتواضع وقد يلزمنا الصفح الجميل مع لزوم التشدد فى امر الجهاد وحكى عن على بن ابى طالب ع
ان الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب وقيل هو العفو من غير تعنيف وتوبيخ ان ربك هو الخالق الاشياء العليم بتدبير خلقه فلا يخفى عليه ما يجرى
بينكم ويحتمل ان يريد ان ربك هو الذى خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اصلح الآن الى ان يؤمر بالتشديد ثم ذكر سبحانه ما
خص به نبيه صلى الله عليه وآله من النعم فقال ولقد آتيناك سبعا من المثانى قد تقدم الكلام فيه وان سبعا من المثانى هى فاتحة الكتاب
وهو قول على ع وابن عباس والحسن وابى العالية وسعيد بن جبير وابرهيم ومجاهد وقتادة وروى ذلك عن ابى عبد الله عليه السلم وابى جعفر
عليهما السلم وقيل هى السبع الطول وهى السور السبع من اول القرآن وانما سميت مثانى لانه يثنى فيها الاخبار والعبر عن ابن عباس فى رواية ابن جبير وابن
مسعود وابن عمر والضحاك وقيل المثانى القرآن كله كتابا متشابها مثانى عن ابى مالك وطاوس وروى نحو ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومن قال
هى فاتحة الكتاب اختلفوا فى سبب تسميتها مثانى فقيل لانها تثنى قراءتها فى الصلوة عن الحسن وابى عبد الله ع وقيل لانها يثنى بها مع
ما يقرأ من القرآن عن الزجاج وقيل لان فيها الثناء مرتين وهو الرحمن الرحيم وقيل لانها مقسومة بين الله وعبده على ما روى فى الخبر وقيل
لان نصفها ثناء ونصفها دعاء وقيل لانها نزلت مرتين تعظيما وتشريفا لها وقيل لان حروفها كلها مثناة نحو الرحمن الرحيم اياك واياك
الصراط الصراط وقيل لانها تثنى اهل الفسق عن الفسق ومن قال المراد بالمثانى القرآن كله فان من فى قوله من المثانى يكون للتبعيض ومن قال
انها الحمد كان من للتبيين وقال الراجز نشدتكم بمنزل القرآن ام الكتاب السبع من المثانى ثنين من آى من القرآن والسبع سبع الطول الثوانى
والقرآن العظيم تقديره وآتيناك القرآن العظيم وصفه بالعظيم لانه يتضمن جميع ما يحتاج اليه من امور الدين باوجز لفظ واحسن نظم
واتم معنى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم اى لا ترفعن عينيك من هؤلاء الكفار الى ما متعناهم وانعمنا عليهم به امثالا فى النعم
من الاموال والاولاد وغير ذلك من زهرات الدنيا فانها بعرض من الزوال والفناء مع ما يتبعها من الحساب والجزاء وعلى هذا تكون
ازواجا منصوبا على الحال والمراد به الاشباه والامثال وقيل ان معناه تنظرن الى ما فى ايديهم من النعم التى هى اشباه يشبه بعضها
بعضا فان انعمنا عليك وعلى من تبعك من انواع النعم وهى النبوة والقرآن والاسلام والفتوح بغيرها اكثر واوفر مما آتيناهم وقيل ان
معناه ولا تنظرن ولا يعظمن فى عينيك ولا تمدهما الى ما متعنا به اصنافا من المشركين الازواج والاصناف ويكون على هذا مفعولا به
نهى الله رسوله عن الرغبة فى الدنيا فخطر عليه ان يمد عينيه اليها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينظر الى ما يستحسن من
الدنيا ولا تحزن عليهم اى على كفار قريش ان لم يؤمنوا فنزل بهم العذاب عن الكلبى وقيل لا تحزن عليهم بما يصيرون اليه من عذاب النار
بكفرهم عن الحسن وقيل لا تحزن لما انعمت عليهم دونك عن الجبائى واخفض جناحك للمؤمنين اى الن لهم جانبك وارفق بهم عن ابن

عباس والحرب تقول فلان خافض الجناح اذا كان وقورا حليما واصله ان الطاير اذا ضم فرخه الى نفسه بسط جناحه ثم حفظه فالمعنى
تواضع للمؤمنين لكي يتبعك الناس في دينك وقل اني انا النذير المبين معناه وقل اني انا المعلم بموضع المخافة ليتقى المبين لكم ما تحتاجون اليه
وما ارسلت به اليكم كما انزلنا على المقتسمين قيل فيه قولان احدهما ان معناه انزلنا القرآن عليك كما انزلنا على المقتسمين وهم اليهود والنصارى
الذين جعلوا القرآن عضين اى فرقوه وجعلوه اعضاء كاعضاء الجزور فامنوا ببعضه وكفروا ببعضه عن قتادة قال آمنوا بما وافق دينهم وكفروا
بما خالف دينهم وقيل سماهم مقتسمين لانهم اقتسموا كتب الله تعالى فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها عن ابن عباس والآخر ان معناه انى انذركم
عذابا كما انزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة يصدون عن رسول الله صلى الله عليه وآله والايمان به قال مقاتل وكانوا ستة عشر
رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم يقولون لمن اتى مكة لا تغتروا بالخارج منها والمدعى النبوة فانزل الله بهم عذابا فماتوا شر ميتة
ثم وصفهم فقال الذين جعلوا القرآن عضين جزؤه اجزاء فقالوا سحر وقالوا اساطير الاولين وقالوا مفترى عن ابن عباس النظم وجه
اتصال الاية الاولى بما قبلها هو ان الامم لما خالفوا الحق اهلكوا لان الله ما خلق السموات والارض الا بالحق وعلى ان الساعة آتية للجزاء
وان جميع ما خلق يرجع الى عام تدبيره واتصل بقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني بقوله فاصفح الصفح الجميل فانه سبحانه لما امره بالصفح عن
اذاهم بين ما خصه من النعم وما له من الحجة عليهم واتصل قوله كما انزلنا على القول الاول بهذا اى كما انزلنا عليهم انزلنا اليك القرآن وعلى القول
الثاني يتصل بانا النذير قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك
المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من
الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين سبع آيات اللغة الصدع والفرق والفصل نظاير وصدع بالحق اذا تكلم به جهارا قال ابو ذويب
وكانهن ربابة وكانه يسر يفيض على القداح ويصدع والصديع الصبح قال كان بياض غرته الصديع الاعراب فاصدع بما تؤمر ان جعلت ما بمعنى
الذي كان العايد من الصلة الى الموصول محذوفا ويكون تقديره على استعمال الصيغة فيه فاصدع بما تؤمر بالصدع به ثم حذف الباء التي
في به فيصير بالصدع ولا يجوز الاضافة مع لام المعرفة فيحذف لام المعرفة توصلا بحذفه الى الاضافة فيصير بما تؤمر بصدعه ثم يحذف
المضاف ويقيم المضاف اليه مقامه فبقي بما تؤمر به ثم تحذف حرف الجر على حد قولك امرتك الخير في امرتك بالخير فيصير بما تؤمره ثم يحذف
العايد المنصوب من الصلة على ما قد تكرر بيانه في مواضع فيصير بما تؤمر وهذا من لطايف اسرار النحو وان جعلت ما مصدرية كان على تقدير
فاصدع بالامر كما تقول عجبت مما فعلت والتقدير عجبت من فعلك ولا يحتاج هنا الى عايد يعود الى ما لانه حرف وحكى يونس النحوي عن رؤبة
انه قال ان هذه اللفظة افصح ما في القرآن المعنى لما بين سبحانه كفرهم بالقرآن وعضهم له بين عقيب ذلك لنبيه صم انه يسألهم عما فعلوه
ويجازيهم عليه فقال فوربك يا محمد لنسألنهم اجمعين اقسم بنفسه واضاف نفسه الى نبيه صلى الله عليه وآله تشريفا له وتنبيها للخلق على عظم
منزلته عنده لنسألن هؤلاء الكفار سوال توبيخ وتقريع بان يقول لهم لم عصيتم وما حجتكم في ذلك فيظهر عند ذلك خزيهم وفضيحتهم عند تعذر
الجواب عما كانوا يعملون معناه عما عملوا فيما عملوا عن سفين بن عيينه وقيل عن لا اله الا الله والايمان برسله عن الكلبي وقيل عما كانوا يعبدون
وماذا اجابوا المرسلين عن ابى العالية فاصدع بما تؤمر اى اظهر وصرح واعلن بما امرت به غير خايف عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد وابن
زيد وقيل معناه فافرق بين الحق والباطل بما امرت به عن الجبائي والاخفش وقيل اى ما تؤمر به واظهر عن الزجاج قال وتاويل الصدع
في الزجاج او في الحايط ان يبين بعض الشي عن بعض واعرض عن المشركين اى لا تخاصمهم الى ان تؤمر بقتالهم وقيل معناه لا تلتفت اليهم
ولا تخف منهم عن ابى مسلم وقيل واعرض عن محاربتهم اذا آذوك عن الجبائي انا كفيناك المستهزئين اى كفيناك شر المستهزئين واستهزائهم بان
اهلكنا هم وكانوا خمسة نفر من قريش العاص بن وايل والوليد بن المغيرة وابو زمعة وهو الاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث
بن قيس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل كانوا ستة رهط عن محمد بن ثور وسادسهم الحرث بن الطلاطلة وامه غيطلة قالوا اتى جبرائيل عليه
والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبرائيل ع ورسول الله صلى الله عليه وآله الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة المخزومي فاومى بيده الى
ساقه فمر الوليد على قين لخزاعة وهو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة فمنعه الكبر ان يخفض راسه فينزعها فجعلت تضرب ساقه فخدشته
فلم يزل مريضا حتى مات ومر به العاص بن وايل السهمي فاشار جبرائيل ع الى رجله فوطى العاص على شبرمة فدخلت في اخمص رجله فقال

لدغت

للغث فلم يزل يحكها حتى مات ومر الاسود بن المطلب بن عبد مناف فاشار الى عينه فعمي وقيل رماه بورقة خضراء فعمي وجعل يضرب راسه على
الجدار حتى هلك ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى فمات وقيل اصابه السموم فصار اسود فاتى اهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول
قتلني رب محمد ومر به ابن الطلاطله فاومى الى راسه فامتخط قيحا فمات وقيل ان الحرث بن قيس اخذ حوتا مالحا فاصابه العطش فما زال يشرب
حتى انقد بطنه فمات ثم وصفهم سبحانه بالشرك فقال الذين يجعلون مع الله الها آخر اى اتخذوا معه الها يعبدونه فسوف يعلمون هذا وعيد لهم
وتهديد ولقد نعلم انك يا محمد يضيق صدرك اى قلبك بما يقولون من تكذيبك والاستهزاء بك وهذا تعزية من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله
وتطييب لقلبه فسبح بحمد ربك اى قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين اى من المصلين عن الضحاك وابن عباس قال وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وقيل معناه احمد ربك على نعمه اليك وكن من الذين لله ويوجهون بعبادتهم اليه واعبد ربك
حتى ياتيك اليقين اى الى ياتيك الموت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل حتى ياتيك اليقين من الخير والشر عند الموت عن قتادة
وسمى الموت يقينا لانه موقن ويحتمل ان يكون اراد حتى ياتيك العلم الضروري بالموت والخروج من الدنيا الذي يزول معه التكليف قال
الزجاج المعنى اعبد ربك ابد الابدين ولو قيل اعبد ربك بغير توقيت لجاز ان يكون الانسان مطيعا اذا عبد الله مرة فلما قال فاذا ياتيك
اليقين فقد امر بالاقامة على العبادة ابدا ما دام حيا سورة النحل اربعون آية من اولها مكيه والباقى من قوله والذين هاجروا فى الله
من بعد ما ظلموا الى اخر السورة مدنية عن الحسن وقتادة وقيل مكيه كلها غير ثلث آيات نزلن فى انصراف النبي صلى الله عليه وآله
من احد وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى آخر السورة نزلن بين مكة والمدينة عن ابن عباس وعطا والشعبى وفى احدى الروايات
عن ابن عباس بعضها مكى وبعضها مدني فالمكى من اولها الى قوله ولهم عذاب عظيم والمدني قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله بالحسن
ما كانوا يعملون عدد آيها مائة وثمان وعشرون آية ليس فيها اختلاف فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من
قراها لم يحاسبه الله تعالى بالنعم التى انعمها عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كالذي مات فاحسن الوصية وان مات فى يوم تلاها او ليلته كان له
من الاجر كالذي مات واحسن الوصية وروى محمد بن مسلم عن ابى جعفر عليه السلم قال من قرا سورة النحل فى كل شهر كفى المغرم فى الدنيا وسبعين
نوعا من انواع البلاء اهونه الجنون والجذام والبرص وكان مسكنه فى جنة عدن وهى وسط الجنان تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة
الحجر بوعيد الكفار كان افتتاح هذه السورة بوعيدهم ايضا فقال بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون
يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ آيتان القراءة تشركون بالتاء كوفى غير عاصم والباقون
بالياء تنزل الملائكة بفتح التاء والزاء والتشديد ورفع الملائكة روح وزيد عن يعقوب وسهل وهى قراءة الحسن وقرا الباقون ينزل بالياء
وكسر الزاء ونصب الملائكة وابن كثير وابو عمرو يخففان ينزل على اصلهما وكذلك رويس عن يعقوب والباقون يشددون اللغة قيل ان
التسبيح ياتى فى اللغة على اربعة اقسام احدها التنزيه كقوله سبحان الذي اسرى والثانى بمعنى الاستثناء كقوله لولا تسبحون والثالث بمعنى
الصلوة كقوله فلولا انه كان من المسبحين والرابع بمعنى النور كما جاء فى الحديث فلولا سبحات وجهه اى نوره والروح ياتى على عشرة اقسام
فالروح حيوة النفوس بالارشاد والروح الرحمة كما ورد فى القرآن فروح وريحان والروح النبوة كقوله يلقى الروح من امره على من يشاء من
عباده والروح عيسى ع روح الله لانه خلق من غير بشر وقيل من غير فحل وقيل لكونه رحمة على عباده بما يدعوهم الى الله والروح جبرائيل عليه
والروح النفخ يقال احييت النار بروحك اى بنفخك قال ذو الرمة يصف الزند والزندة فلما بدت كفنتها وهى طفلة بطلساء لم تكمل ذراعا ولا
شبرا وقلت له ارفعها اليك واحيها بروحك واقته لها قيتة قدرا والروح الوحى فى قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل انه جبرائيل
والروح ملك فى السماء من اعظم خلق الله فاذا كان يوم القيمة وقف صفا والملائكة كلهم صفا والروح روح الانسان وقال ابن عباس
فى الانسان روح ونفس والنفس هى التى يكون فيها التمييز والكلام والروح هو الذي يكون به الغطيط والنفس واذا نام العبد خرجت نفسه
وبقى روحه فاذا مات خرجت نفسه وروحه معا المعنى اتى امر الله فيه اقوال احدها ان معناه قرب امر الله تعالى بعقاب هؤلاء المشركين
المقيمين على الكفر والتكذيب عن الحسن وابن جريج قال الحسن ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله ايتنا بعذاب الله فقال سبحانه اتى امر الله
آت وكل ما هو آت قريب دان وثانيها ان امر الله احكامه وفرائضه عن الضحاك وثالثها ان امر الله تعالى هو القيمة عن الجبائى وروى نحوه

عن ابن عباس وعلى هذا الوجه فيكون اتى بمعنى يأتى وجاز وقوع الماضى ههنا لصدق المخبر بما اخبر به فصار بمنزلة ما قد مضى وكان الله سبحانه
قرب الساعة فجعله اقرب من لمح البصر وقال اقتربت الساعة فلا تستعجلوه خطاب للمشركين المكذبين بيوم القيمة وبعذاب الله المستهزئين
وكانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم فى قوله فامطر علينا حجارة من السماء وتقديره قل لهؤلاء الكفار لا يستعجلوا القيمة والعذاب فان
الله نعم سياتى بكل واحد منهما فى وقته وحينه كما يقتضيه حكمته سبحانه وتعالى عما يشركون هذه كلمة تنزيه لله تعالى عما لا يليق به وبصفة
وتنزيه له من ان يكون له شريك فى عبادته اى جل وتقدس وتنزه من ان يكون له شريك وتعالى وتعظم وارتفع من جميع صفات النقص
ينزل الملائكة اى ينزل الله الملائكة او ينزل الملائكة بالروح من امره اى بالوحى عن ابن عباس وقيل بالقرآن عن ابن زيد وهما واحد وسمى روحا
لان حيوة القلوب والنفوس بالارشاد الى الدين وقيل بالنبوة عن الحسن وقوله من امره اى بامره ونظيره قوله يحفظونه من امر الله اى
بامر الله لان احدا لا يحفظ عن امر الله على من يشاء من عباده ممن يصلح للنبوة والسفارة بينه وبين خلقه ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
هذا تفسير الروح المنزل وبدل منه فان المعنى ينزل الملائكة بان انذروا اهل الكفر والمعاصى بانه لا اله الا انا اى مروهم بتوحيدى وبان لا
يشركوا بى شيئا ومعنى فاتقون فاتقوا مخالفتى وفى هذا دلالة على ان الغرض فى بعثة الانبياء الانذار والدعاء الى الدين النظم
وجه اتصال قوله سبحانه وتعالى بما تقدم ان الكفار كانوا يستعجلون العذاب على وجه التكذيب به ويكذبون بالبعث والقيمة فبين انه
سبحانه انه منزه عما يصفون به فان الحكيم اذا كلف وجب ان يجازى المكلف فترك المجازاة قبيح وقيل انهم كانوا ينكرون قدرة الله سبحانه
على اعادة الخلق فنزه نفسه عن قولهم واتصل قوله ينزل الملائكة بما تقدم فانه لما اوعدهم بالعذاب بين انه ينزل الملائكة للتخويف وانه لا
يأخذ احدا من البشر حتى تحج عليه بالنذر وقيل انه سبحانه بين ان الحال حال تكليف لا حال نزول العذاب وان الصلاح الذى انزل
الملائكة الى النبى بالوحى والكتاب للانذار وبيان الادلة ولذلك اتبعه بذكر الادلة قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما
يشركون • خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين • والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون •
ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون • وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم • خمس آيات القراءة

قرا ابو جعفر بشق الانفس بفتح الشين والباقون بكسرها الحجة الشق والشق بكسر الشين وفتحها بمعنى وكلاهما المشقة وقال عمرو بن
ملقط وهو جاهلى والخيل قد تجشم اربابها الشق وقد تعسف الراويه والرواية بفتح الشين اللغة الانعام جمع نعم وهى الابل والبقر
والغنم سميت بذلك لنعمة مشيها بخلاف الحافر الذى يصلب مشيها والدفء ما استدفأ به ودفئ يومنا دفاء فهو دفئ والاراحة رد الماشية
بالعشى من مراعيها الى مباركها والمكان الذى تراح فيه والسرح خروج الماشية الى المرعى بالغداة يقال سرحت الماشية سرحا وسرحها
وسرحها اهلها قال كان بقايا الاثر فوق متونه مدب الدبا فوق النقا وهو سارح والاثقال جمع الثقل وهو المتاع الذى يثقل حمله الاعراب
الانعام منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده والتقدير وخلق الانعام خلقها قوله لكم فيها دفء جملة منصوبة الموضع على الحال من الانعام
والتقدير كائنة بهذه الصفة المعنى لما تقدم ذكر بعث الملائكة للانذار وبيان التوحيد وشرايع الاسلام اتبعه سبحانه بالاحتجاج
على الخلق بالخلق وتعداد صنوف الانعام فقال خلق السموات والارض بالحق معناه انه خلقهما ليستدل بها على معرفته ويتوصل
بالنظر فيهما الى العلم بكمال قدرته وحكمته وقيل خلقهما لينتفع بها فى الدين والدنيا وليعمل بالحق تعالى عما يشركون اى تقدس عن
ان يكون له شريك ثم بين سبحانه انه لا اله اخرى فقال خلق الانسان من نطفة والنطفة الماء القليل غير انه بالتعارف صار اسما لماء الفحل
فاذا هو خصيم مبين اختص ههنا ذكر تقلب احوال الانسان لذكره ذلك فى امكنة كثيرة من القرآن والمعنى انه خلق الانسان من نطفة
سيالة ضعيفة مهينة ودبرها وصورها بعد ان قلبها حالا بعد حال حتى صارت انسانا يخاصم عن نفسه ويبين عما فى ضميره فبين سبحانه
النقص احوال الانسان واكملها منبها على كمال قدرته وعلمه وقيل خصيم مجادل بالباطل مبين ظاهر الخصومة عن ابن عباس والحسن فعلى
هذا يكون للحق انه خلقه ومكنه فاخذ يخاصم فى نفسه وفيه تعريف لفاحش ما ارتكبه الانسان من تضييع حق نعمة الله عليه ثم
بين سبحانه نعمته فى خلق الانعام فقال والانعام خلقها معناه وخلق الانعام من الماء كما خلقكم منه يدل عليه قوله والله خلق كل
دابة من ماء واكثر ما يتناول الانعام الابل ويتناول البقر والغنم ايضا وفى اللغة هى ذوات الخفاف والاظلاف دون ذوات الحوافر

لكم فيها دفء اى لباس عن ابن عباس ومجاهد وقيل يستدفأ به مما يعمل من صوفها ووبرها وشعرها عن الحسن فيدخل فيه الاكسية واللحف والملبوسات والمبسوطات وغيرها قال الزجاج اخبر سبحانه ان فى الانعام ما يدفينا ولم يقل لكم فيها ما يكنكم من البرد لان ما ستر من الحر ستر من البرد وقال فى موضع آخر سرابيل تقيكم الحر فعلم انها تقى البرد ايضا فكذلك هنا وقيل ان معناه خلق الانعام لكم اى لمنافعكم ثم ابتدأ واخبر فقال فيها دفء عن الحسن وجماعة ومنافع معناه ولكم فيها منافع اخر من الحمل والركوب واثارة الارض والدر والنسل ومنها تاكلون اى ومن لحومها تاكلون ولكم فيها جمال اى حسن منظر وزينة حين تريحون اى حين تردونها الى مراحها وهو حيث تأوى اليه ليلا وحين تسرحون اى ترسلونها بالغداة الى مراعيها واحسن ما تكون النعم اذا راحت عظاما ضروعها ممتلية بطونها منتصبة اسنمتها وكذلك اذا سرحت الى المرعى رافعة رؤسها فتقول الناس هذه جمال فلان ومواشيه فيكون له فيها جمال وتحمل اثقالكم اى امتعتكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس اى وتحمل الابل وبعض البقر احمالكم الثقيلة الى بلد بعيد لا يمكنكم ان تبلغوه من دون الاحمال الا بكلفة ومشقة تلحق انفسكم فكيف تبلغونه مع الاحمال لولا ان الله تعالى سخر هذه الانعام لكم حتى حملت اثقالكم الى اين شئتم وقيل ان الشق معناه الشطر والنصف فيكون المراد الا بان يذهب شطر قوتكم اى نصف قوة الانفس وقيل معناه تحمل اثقالكم الى مكة لانها من بلاد الفلوات عن ابن عباس وعكرمة ان ربكم لرؤف اى ذو رأفة رحيم اى ذو رحمة ولذلك انعم عليكم بخلق هذه الانعام ابتدأ منه بهذا الانعام

قوله تعالى وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۞ ست آيات القراءة قرا حماد ويحيى عن ابى بكر عن عاصم ننبت بالنون والباقون بالياء وقرا ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كله بالرفع وقرا حفص عن عاصم والشمس والقمر بالنصب والنجوم مسخرات بالرفع وقرا الباقون كل ذلك بالنصب الحجة من قرا ينبت بالياء فلما تقدم من قوله هو الذي انزل بالياء اشكل بما تقدم من الافراد والنون لا يمتنع ايضا ويقال نبت البقل وانبته الله قال ابو على والنصب فى قوله والشمس والقمر احسن ليكون معطوفا على ما قبله وداخلا فى اعرابه الا ترى ان ما فى التنزيل من نحو قوله وكلا ضربنا له الامثال والظالمين اعد لهم عذابا اليما يختار فيه النصب ليكون مثل ما يعطف عليه ومشاكلا له فكذلك هنا اذا حمل ذلك على التسخير كان اشبه فان قلت فقد جاء مسخرات بامره بعد هذه الاشياء المنصوبة المحمولة على سخر فان ذلك لا يمتنع لان الحال تجيء مؤكدة فى التنزيل وغيره كثيرا كقوله وهو الحق مصدقا وانا ابن دارة معروفا وكفى بالياء من اسماكا فيقوى النصب قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين فكما حملنا هنا على التسخير كذلك فى الاخرى وكذلك النجوم قد حملت على التسخير فى قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر وكان ابن عامر قطعه عن سخر لئلا يجعل الحال مؤكدة فابتدأ الشمس والقمر والنجوم وجعل مسخرات خبرا عنها ويدل على جواز ذلك انه اذا جاء سخر لكم الشمس والقمر والنجوم علم من هذا انها مسخرات فجاز الاخبار بالتسخير عنها كذلك واما حفص فانما رفع والنجوم مسخرات لانه لا يصح ان يقال وسخر النجوم مسخرات فقطعها مما قبلها فعلى هذا يكون حجة من نصب انه يقدر فعلا آخر وتقديره وجعل النجوم مسخرات اللغة القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا قصد الى ما يريد والجائر المائل عن الحق والشجر ما ينبت من الارض وقام على ساق وله ورق وجمعه اشجار ومنه المشاجرة لتداخل بعض الكلام فى بعض كتداخل ورق الشجر وقال الازهرى الشجر ما ينبت من الارض قام على ساق او لم يقم يسيمون من الاسامة يقال اسمت الابل اذا رعيتها واطلقتها ترعى منصرفة حيث شاءت وسامت هى اذا رعت وهى تسوم وابل سائمة ويقال سمتها اذا اقصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل سيم فلان خسفا اذا اذل واهتضم وقال الكميت فى الاسامة راعيا كان مسجحا ففقدناه وفقد المسيم هلك السوام وقال آخر واسكن ما سكنت ببطن واد واظعن ان ظعنت فلا اسيم وذهب قوم الى ان السوم فى البيع من هذا لان كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن او نقصانه الى ما يهواه كما تذهب السائمة حيث شاءت وقد جاء فى الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على ان المواشى لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا ينتشر وحمله آخرون على ان البيع فى ذلك الوقت مكروه

لان المبيع لا تستر عيوبه فيدخل في بيع الغرر المنهي عنها والذراء اظهار الشيء بايجاده يقال ذرأه يذرأه وذرأه وفطره وانشأه نظاير وبلح ذرا الى ظاهر البياض نصب الخيل والبغال والحمير على انها مفعول في المعنى اي وخلق الخيل والبغال ونصب زينة لانها مفعول لها والمعنى وخلقها زينة وماذرأ ما بمعنى الذي وموضعه نصب على تقدير وخلق ما ذرأ لكم وقيل هو في موضع الجر بالعطف على ذلك اي ان في ذلك وفيما ذرأ لكم مختلفا نصب على الحال والوانه فاعله المعنى ثم عطف سبحانه على ما عدده من صنوف انعامه فقال والخيل اي وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها في حوائجكم وتصرفاتكم وزينة اي ولتتزينوا بها من الله سبحانه على خلقه بان خلق لهم من الحيوان ما يركبونه ويتجملون به وليس في هذا ما يدل على تحريم لحومها فقد روى البخاري في الصحيح مرفوعا الى اسماء بنت ابي بكر قالت اكلنا لحم فرس على عهد رسول الله صلى الله عليه ويخلق ما لا تعلمون من انواع الحيوان والنبات والجماد لمنافعكم وعلى الله قصد السبيل اي بيان قصد السبيل عن ابن عباس ومعناه واجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم وهو بيان الهدى من الضلالة والحلال من الحرام ليتبع الهدى والحلال ويجتنب الضلالة والحرام وهذا مثل قوله ان علينا للهدى ومنها جائر معناه ومن السبيل ما هو جائر اي عادل عن الحق ولو شاء لهديكم اجمعين الى قصد السبيل بالاجبار والقهر فانه قادر على ذلك وقيل معناه لهداكم الى الجنة والثواب تفضله عن الجبائي والي مسلم وقيل ان معنى الآية وعلى الله ممر من الطريق التي المجر فيها على السبيل وكلاهما على الله لا يخرج احد عن قبضته وحكمه كقوله ان ربك لبالمرصاد وقيل على الله ممر ذي السبيل القصد والسبيل الجاير واليه مرجع كل واحد منهما لا يخرج احد عن سلطانه ولو اراد ان يحمل الجميع على الحق لفعل ومن عدل عن الطريق المستقيم فليس ذلك بعجز من الله تعالى ثم عدد سبحانه نعمة اخرى دالة على وحدانيته فقال هو الذي انزل من السماء ماء اي مطرا لكم منه شراب اي لكم من ذلك الماء شراب تشربونه ومنه شجر فيه وجهان احدهما ان يكون المراد ومنه شرب شجر او سقي شجر فحذف المضاف والآخر ان يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وانباته شجر فحذف المضاف الى الهاء في منه كما قال زهير امن ام اوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم ام من ناحية ام اوفى وقال ابو ذويب امنك البرق اريته فهاج اتت اخاله دهما خلاجا اي من جهتك وقال الجعدي لمن الديار عفون بالهطال بقيت على حجج خلون طوال اي على مر حجج والمعنى وينبت منه شجر ونباته فيه تسيمون اي ترعون انعامكم من غير كلفة والتزام مؤنة لعلفها ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات اي ينبت الله لكم بذلك المطر هذه الاشياء التي عددها لتنتفعون بها ان في ذلك لآية اي دلالة وحجة واضحة لقوم يتفكرون فيه فيعرفون الله تعالى به وخص المتفكرين فيه لانهم المنتفعون به وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر قد مضى بيانه والتسخير في الحقيقة للشمس والقمر لان النهار هو حركات الشمس من وقت طلوع الفجر الى غروب الشمس والليل حركات الشمس تحت الارض من وقت غروب الشمس الى وقت طلوع الفجر الا انه سبحانه اجرى التسخير على الليل والنهار على سبيل التجوز والاتساع والنجوم مسخرات بامره مضى بيانه ان في ذلك التسخير لآيات اي دلالات لقوم يعقلون عن الله ويتبينون ان التسخير لذلك على هذا التقدير الذي لا يختلف لاجل منافع خلقه ومصالحهم والمدبر له قادر عليم حكيم وما ذرأ لكم في الارض اي وسخر لكم ما خلقه لكم في الارض اي لقوام ابدانكم من الملابس والمطاعم والمناكح من انواع الحيوان والنبات والمعادن وساير النعم مختلفا الوانه لا يشبه بعضها بعضا ان في ذلك لآية اي دلالة لقوم يذكرون اي يتذكرون الادلة فينظرون فيها ويتعظون ويعتبرون بها قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • وألقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون • وعلامات وبالنجم هم يهتدون • افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون • وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم • خمس آيات القراءة في الشواذ قراءة الحسن وبالنجم بضم النون والجيم هو جمع نجم مثل سقف وسقف ورهن ورهن اللغة المخر شق الماء عن يمين وشمال يقال مخرت السفينة الماء تمخر مخرا فهي ماخرة والمخر ايضا صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها ومخر الارض شقها للزراعة ومخرها بالماء اذا ارسل عليها الماء لتطيب والميد الميل يمينا وشمالا وهو الاضطراب ماد يميد ميدا والعلامة صورة يعلم بها المعنى من خط او لفظ او اشارة او هيئة وقد تكون وضعية وقد تكون برهانية الاعراب قوله ان تميد بكم في موضع نصب بانه مفعول له وتقديره كراهة ان تميد بكم وانتصب قوله وانهارا وسبلا بالمحذوف تقديره وجعل لكم انهارا لدلالة قوله القى عليه لانه لا يجوز ان يكون عطفا على القى ومثله قوله علفتها تبنا وماء باردا وقول الآخر يسمع في اجوافهن صردا

وفى اليدين جسأة وبدا اى وترى فى اليدين يبسا وتفريقا وعلامات عطف على قوله وانهارا وسبلا وقيل وخلق لكم علامات المعنى
ثم عدد سبحانه نوعا آخر من انواع نعمه فقال وهو الذى سخر البحر اى ذلله لكم وسهل لكم الطريق الى ركوبه واستخراج ما فيه من المنافع لتاكلوا
منه لحما طريا اى لتصطادوا منه انواع السمك وتاكلوا لحمه طريا ولا يجوز ان يخرط بالادنى من الطراوة وتستخرجوا منه حلية يعنى اللؤلؤ
التى تخرج من البحر بالغوص تلبسونها وتتزينوا بها وتلبسها نساؤكم ولولا تسخيره سبحانه ذلك لكم لما قدرتم على الدنو منه والغوص فيه
وترى الفلك مواخر فيه اى وترى ايها الانسان السفن تشق فى البحر وتقاطع لمائه عن عكرمة وقيل جوارى عن ابن عباس ولتبتغوا من فضله اى
ولتركبوه للتجارة وتطلبوا من فضل الله تعالى ولعلكم تشكرون اى لكى تشكروا الله على نعمه وليزيدكم منها ويثيبكم والواو انما دخلت فى ذلك للدلالة
على انه سبحانه اراد جميع ما ذكره انعاما منه على عباده والقى فى الارض رواسى اى جبالا عاليه ثابته واحدها راسيه ان تميد بكم الارض اوكراهة
ان تميد بكم اى تتحرك وتضطرب وانهارا اى وجعل فيها انهارا وسبلا اى طرقا لكى تجرى الماء فى الانهار الى بساتينكم او حيث تريدون وتهتدوا
بالطرق الى حيث شئتم من البلاد وقيل اراد بالانهار النيل والفرات ودجله وسيحون وجيحون وامثالها لعلكم تهتدون قد ذكرنا معناه
وقيل لتهتدوا بها الى توحيد الله وعلامات وجعل لكم علامات اى معالم يعلم بها الطرق وقيل العلامات الجبال يهتدى بها نهارا وبالنجم
هم يهتدون ليلا عن ابن عباس والمراد بالنجم الجنس اى جميع النجوم الثابته وقيل تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا وبالنجم هم يهتدون
وقيل ان العلامات هى النجوم ايضا لان من النجوم ما يهتدى بها ومنها ما يكون علامة لا يهتدى بها عن قتادة ومجاهد وقيل اراد به الاهتداء
فى القبلة قال ابن عباس سالت رسول الله فقال الجدى عليه قبلتكم وبه تهتدون فى بركم وبحركم قال ابو عبد الله ع نحن العلامات والنجم
رسول الله صلى الله عليه وآله وقال ان الله جعل النجوم امانا لاهل السماء وجعل اهل بيتى امانا لاهل الارض افمن يخلق كمن لا يخلق معناه
افمن يخلق هذه الاشياء فى استحقاق العبادة والالهية كالاصنام التى لا تخلق شيئا حتى يسوى بينها فى العبادة وبين خالق جميع ذلك افلا
تذكرون اى افلا تتذكرون ايها المشركون فتعتبرون وتعرفون ان ذلك من الخطاء الفاحش وجعل فى ما لا يعقل لما استدل بذكرها لوثم
عطف سبحانه على ذلك بذكر كثرة نعمه فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها معناه وان اردتم تعداد نعم الله سبحانه عليكم ومعرفة تفاصيلها
لم يمكنكم احصاؤها ولا تعديدها وانما يمكنكم ان تعرفوا جملها بين سبحانه ان من ورآء النعم التى ذكرها نعما لا تحصى ان الله لغفور لما وقع منكم من
تقصير فى شكر نعمه رحيم بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم فى شكرها قوله تعالى وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ
فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ
خمس آيات القرآءة والذين يدعون بالياء عاصم غير الاعشى والبرجمى عن ابى بكر ويعقوب وسهل والباقون بالتاء الحجة من قرا بالتاء فلان
ما بعده وما قبله خطاب ومن قرا بالياء فلانه وجه الخطاب الى النبى صلى الله عليه وآله ويكون الخبر عن المشركين المعنى لما قدم سبحانه الدعاء
الى عبادته بذكر نعمه وكمال قدرته عقبه ببيان علمه بسريرة كل احد وعلانيته ثم ذكر بطلان الاشراك فى عبادته فقال والله يعلم ما يسرون
وما يعلنون اخبر سبحانه انه يعلم ما يستسرون به وما يظهرونه فيجازيهم على اعمالهم اذ لا يخفى عليه الجلى والخفى من احوالهم والذين يدعون
من دونه الها لا يخلقون شيئا وهم يخلقون يعنى الاصنام لا يمكنها خلق شئ بل هى مخلوقه مربوبه منحوته من الحجر والخشب ونحوهما مما هو خلق
الله تعالى ثم قال اموات اى هى اموات غير احياء اكد كونها امواتا بقوله غير احياء ولنفى الحيوة عنها على الاطلاق فان من الاموات من سبقت
له حال فى الحيوة وله حال منتظرة فى الحيوة بخلاف الاصنام فانه ليس لها حيوة سابقه ولا منتظرة وقال اموات ولم يقل موات وان كان
الاموات جمع الميت الذى كان فيه حيوة فزالت لانهم صوروا الاصنام فى صورة العقلاء هيأتهم وعاملوها معاملة العقلاء تسميه و
اعتقادا ولذلك قال لا يخلقون وهم يخلقون وما يشعرون ايان يبعثون معناه وما يشعر هذه الاصنام متى تبعث عن الفرآء وقيل فى الآية ان
معناه هم اموات يعنى ان الكفار فى حكم الاموات لذهابهم عن الحق والدين ولا يدرون متى يبعثون وقيل ان المعنى فلا تدرى الاصنام
متى تبعث الخلق عن الجبائى وايان فى موضع نصب يبعثون وقرى فى الشواذ ايان بكسر الهمزة والفتح افصح بابهم ثم خاطب سبحانه عباده فقال الهكم
اله واحد لا يقدر على ما يستحق به العبادة من خلق اصول النعم سواه فاثبتوا على عبادته فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة اى جاحدة للحق

عشر ع

تستعبد ما يرد عليها من المواعظ وهم مستكبرون عن الانقياد للحق دافعون له من غير حجة والاستكبار طلب الترفع بترك الاذعان للحق ثم قال
سبحانه لا جرم اى حقا وهو بمنزلة اليمين قال الخليل هو كلمة تحقيق ولا تكون الا جوابا يقول فعلوا كذا فيقول السامع لا جرم سيندمون قال الزجاج
معناه حق ان الله ووجب ان الله ولا بد لنعلم قال الشاعر ولقد طعنت اباعبيدة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا المعنى احقت فزارة
بالغضب وقال ابو مسلم اصله من الكسب فكانه قال لا يحتاج فى معرفة هذا الامر الى اكتساب بل هو معلوم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا
تهديد لهم بانه عليم بجميع احوالهم فيجازيهم على اقوالهم وافعالهم انه لا يحب المستكبرين اى المتعظمين الذين يانفون ان يكونوا اتباعا للانبياء اي
لا يريد ثوابهم وتعظيمهم قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ
أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ
فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ست آيات القراءة قرا نافع وحده تشاقون بكسر النون والباقون بفتحها وقرا حمزة وخلف
فى الموضعين يتوفيهم بالياء والباقون بالتاء وفى الشواذ قراءة مجاهد فخر عليهم السقف بضم السين وروى عن اهل البيت عليهم السلم فاتى الله بيتهم
من القواعد الحجة قد تقدم الوجه فى قراءة نافع فى سورة الحجر عند قوله فبم تبشرون فاما قراءة حمزة يتوفيهم بالياء فان الفعل مقدم والدلالة
حسنة فى هذا النحو من الفعل ومن قرا بالتاء فلان الجماعة مؤنثة كما جاء واذ قالت الملائكة اللغة قد مضى معنى الاساطير والاوزار
فى سورة الانعام والقواعد الاساس الواحدة قاعدة وقواعد الهودج خشبات اربع معترضات فى اسفله والشقاق الخلاف فى المعنى و
يشاقون يكونون فى جانب والمسلمون فى جانب ومن ثم قيل لمن خرج عن طاعة الامام وعن جماعة المسلمين شق عصى المسلمين اى صار فى جانب
عنهم فلم يكن مجتمعا معهم فى كلمتهم وهو ماخوذ من الشق الذي هو النصف كانه صار فى شق غير شقهم الاعراب ماذا انزل ما مبتدا وذا بمعنى
الذي والمعنى ما الذي انزل ربكم واساطير مرفوعة على الجواب كانهم قالوا الذي انزل اساطير الاولين وتقديره واذا قيل لهم هذا القول
فالذى قام مقام الفاعل قيل هو المصدر لا الجملة لان الجملة نكرة والفاعل يجوز اضماره والمضمر لا يكون قط نكرة بل هو اعرف المعارف وقوله ومن
اوزار الذين من زيادة على قول الاخفش اى واوزار الذين يضلونهم وعلى قول سيبويه هو صفة موصوف محذوف تقديره واوزارا من اوزار
الذين يضلونهم وما يزرون فى موضع رفع كما يرفع بعد بئس ونعم وتقديره بئس الشىء وزرهم فما حرف موصول ويزرون صلته وظالمى انفسهم
نصب على الحال اى فى حال ظلمهم انفسهم المعنى ثم ابان سبحانه عن احوال المشركين واقوالهم فقال واذا قيل لهم اى لمشركى قريش ماذا انزل
ربكم على محمد قالوا اساطير الاولين اى اجابوا فقالوا هذا المنزل فى زعمكم هو عندنا اساطير الاولين الكاذبة عن ابن عباس وغيره وروى انها
نزلت فى المقتسمين وهم ستة عشر رجلا خرجوا الى عقاب مكة ايام الحج على طريق الناس على كل عقبة اربعة منهم ليصدوا الناس عن النبى ص
اذا سالهم الناس عما انزل على رسول الله ص قالوا احاديث الاولين واباطيلهم عن الكلبى وغيره ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اللام
للعاقبة والمعنى كان عاقبة امرهم حين فعلوا ذلك ان حملوا اوزار كفرهم تامة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم اى ويحملون
مع اوزارهم بعض اوزار الذين اضلوهم عن سبيل الله واغووهم عن اتباع الحق وهو وزر الاضلال والاغواء ولم يحملوا وزر ضلالهم وغوايتهم
وقوله بغير علم معناه من غير علم منهم بذلك بل جاهلين وعلى هذا ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال ايما داع دعا الى الهدى فاتبع
فله مثل اجور من تبعه من غير ان ينقص من اجورهم شىء وايما داع دعا الى ضلال فاتبع فان عليه مثل اوزار من تبعه من غير ان ينقص
من اوزارهم شىء الا ساء ما يزرون اى بئس الحمل حملهم وهو ما يحملونه من الآثام لانه اذا تحمل اثمه ودخل النار كان سببا فكيف اذا تحمله
بسبب فعل غيره قد مكر الذين من قبلهم اى من قبل هؤلاء المشركين بانبيائهم من جهة التكذيب وغيره وهذا على سبيل التسلية لنبينا ع
والوعيد لقومه فاتى الله بنيانهم من القواعد اى اتى امر الله بنيانهم التى بنوها من جانب قواعدها فهدمها قال ابن عباس يعنى نمرود بن
كنعان بنا صرحا طويلا ورام منه الصعود فيه الى السماء ليقاتل اهلها بزعمه فارسل الله ريحا فالقت راس الصرح فى البحر وخر عليهم الباقى
وقال الزجاج من القواعد يريد من اساطين البناء التى تعمده وقيل هو بخت نصر وقيل ان هذا مثل ضربه الله سبحانه لاستيصالهم ولا قاعده

فقال

هناك ولا سقف والمعنى فاتى الله مكرهم من اصله اى عاد ضرر المكر عليهم وبهم عن الزجاج وابن الانباري وهذا الوجه اليق بكلام العرب قالوا
اتى فلان فى مقامه اى اتاه الهلاك من جهة مامنه وانما اسند سبحانه الاتيان الى نفسه من حيث كان تخريب قواعدهم من جهته فخر عليهم السقف
من فوقهم انما قال من فوقهم مع حصول العلم بان السقف لا يكون الا من فوق لاحد وجوه منها انها للتوكيد كما يقول لمن يخاطب قلت انت كذا وكذا
وكما يقول مشيت برجلى وتكلمت بلساني ومنها انه انما قال ذلك ليدل على انهم كانوا تحته فان الانسان قد يقول تهدم بيتى على وان لم يكن هو
تحته ومنها ان يكون على فى قوله فخر عليهم بمعنى عن فيكون المعنى فخر عليهم السقف من فوقهم اى خر عن كفرهم وعن جحودهم بالله وباياته والمراد
من اجل كفرهم كما يقال اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه اى من اجل الدواء قال الشاعر ارمى عليها وهى فرع اجمع اى ارمى عنها ولو قال
على هذا المعنى فخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم لجاز ان يتوهم متوهم ان السقف خر وليس هم تحته والعرب لا تستعمل لفظة على فى هذا
الموضع الا فى الشر والامر المكروه واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون اى جاءهم عذاب الاستيصال من حيث لا يعلمون لانهم ظنوا انهم على حق
فكانوا لا يتوقعون العذاب وهذا مثل قوله فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا ثم يوم القيمة يخزيهم معناه ثم انه تعالى مع ذلك يذلهم ويفضحهم
يوم القيمة على رؤس الخلايق ويهينهم بالعذاب اى لا يقتصر بهم على عذاب الدنيا ويقول على سبيل التوبيخ لهم والتهجين اين شركاءى
الذين يشركونهم معى فى العبادة على زعمكم الذين كنتم تشاقون فيهم اى تعادون المؤمنين على قراءة فتح النون وعلى الكسر تعادوننى فيهم قال الذين اوتوا
العلم بالله تعالى وبدينه وشرايعه من المؤمنين وقيل هم الملائكة عن ابن عباس ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين اى ان الهوان اليوم والعذاب
الذى يسوء على الجاحدين لنعمة الله المنكرين لتوحيده وصدق رسله الذين تتوفيهم الملائكة ظالمى انفسهم الذين فى موضع جر بانه بدل من
الكافرين او صفة لهم ومعناه الذين يقبض ملك الموت واعوانه ارواحهم ففارقوا الدنيا وهم ظالمون لانفسهم باصرارهم على الكفر فالقوا
السلم اى استسلموا للحق وانقادوا حين لا ينفعهم الانقياد والاذعان ما كنا نعمل من سوء اى يقولون ما كنا نعمل عند انفسنا من سوء اى
معصية فكذبهم الله تعالى وقال بلى قد فعلتم ان الله عليم بما كنتم تعملون فى الدنيا من المعاصى وغيرها وقيل انه يقول لهم ذلك المؤمنون
الذين اوتوا العلم او الملائكة فادخلوا ابواب جهنم اى طبقات جهنم ودركاتها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين اى بئس منزل المتعظمين
عن الحق واللام للتوكيد قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير
ولنعم دار المتقين * جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزى الله المتقين *
الذين تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون * هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى امر
ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون * فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
خمس آيات الاعراب ماذا انزل ربكم ما وذا هنا كالشئ الواحد وتقديره اى شئ انزل ربكم وخيرا منصوب على الجواب ماذا اى انزل
خيرا وقوله للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة يجوز ان يكون تفسيرا لقوله خيرا ويجوز ان يكون ابتداء كلام ولنعم دار المتقين المخصوص
بالمدح محذوف المعنى ولنعم دار المتقين دار الآخرة والمعنى لقوله دار المتقين جنات عدن فيكون خبر مبتداء محذوف ويجوز ان يكون
جنات عدن تقديره هى جنات عدن فيكون خبر ابتداء محذوف ويجوز ان يكون جنات عدن مرتفعة بالابتداء ويكون المخصوصة
بالمدح والتقدير جنات عدن نعم دار المتقين المعنى لما قدم سبحانه ذكر اقوال الكافرين فيما انزله على نبيه عقبه بذكر اقوال المؤمنين
فى ذلك فقال وقيل للذين اتقوا الشرك والمعاصى وهم المؤمنون ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اى انزل الله خيرا لان القرآن كله شفاء وهدى
وخير للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة يجوز ان يكون هذا ابتداء كلام من الله تعالى ومعناه للمحسنين فى هذه الدنيا حسنة
مكافاة لهم وهى الثناء والمدح على السنة المؤمنين والهدى والتوفيق للاحسان ولدار الآخرة خير اى ما يصل اليهم من الثواب فى الآخرة
خير مما يصل اليهم فى الدنيا ويجوز ان يكون الجميع من كلام المتقين واجاز الحسن والزجاج كلى الوجهين وقوله ولنعم دار المتقين اى
وللآخرة نعم دار المتقين الذين اتقوا عقاب الله باداء فرايضه واجتناب معاصيه وقيل معناه ولنعم دار المتقين الدنيا لانهم نالوا بالعمل
فيها الثواب والجزاء عن الحسن وقيل معناه ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها كما يقال نعم الدار دار ينزلها المتقين تجرى من تحتها
الانهار سبق معناه لهم فيها ما يشاءون اى يشتهون من النعم كذلك يجزى الله المتقين اى كذلك يجازى الله الذين اتقوا معاصيه الذين

نحل

تتوفيهم الملايكة طيبين اي طيبين الاعمال طاهري القلوب من دنس الشرك وقيل معناه طيبة نفوسهم بالمصير اليه لعلمهم بما لهم عنده
من الثواب وقيل طيبين اى صالحين باعمالهم الجميله وقيل بطيب وفاتهم فلا يكون صعوبة فيها يقولون سلام عليكم اى سلامة لكم من كل
سوء ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قيل انهم لما بشروهم بالسلامة صارت الجنة كانها دارهم وهم فيها فقولهم ادخلوا الجنة بمعنى حصلت
لكم الجنة وقيل انما يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او ياتى امر ربك قد مضى تفسيره فى سورة
البقرة والانعام كذلك فعل الذين من قبلهم اخبر سبحانه ان الذين مضوا من الكفار فعلوا مثل ما فعل هؤلاء من تكذيب الرسل وجحود
التوحيد فاهلكهم الله فما الذي يؤمن هؤلاء ان يهلكهم الله وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالمعاصى التى استحقوا بها
الهلاك فاصابهم سيات ما عملوا اى عقاب سياتهم فسمى العقاب سية ثم قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم اي وحل بهم
جزاء ما كانوا به يستهزءون قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا
أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ ثلث آيات القراءة قراء اهل الكوفة
لا يهدى بفتح الياء والباقون لا يهدى بضم الياء وفتح الدال ولم يختلفوا فى يضل انها مضمومة الياء مكسورة الضاد الحجة
قال ابو على الراجع الى اسم ان هو الذكر الذى فى قوله يضل فى قراءة من قراء يهدى ومن قرا يهدى فمن جعل يهدى من هديته جاز ان
يعود الذكر للفاعل الذي فيه الى اسم ان ومن جعل يهدى فى معنى يهتدى وجعل من يضل مرتفعا به فالراجع الى الاسم ان الذكر الذي
فى يضل كما كان له كذلك فى قول من قال يهدى والراجع الى الموصول الذي هو من الهاء المحذوفة من الصلة تقديره يضله والمعنى ان من حكم
باضلاله لكفره وتكذيبه فلا يهدى ومثل هذا المعنى قوله فمن يهديه من بعد الله تقديره من بعد اضلال الله اياه والمفعول محذوف
اى من بعد حكمه باضلاله ومن قرا لا يهدى فهو فى المعنى كقوله فمن يضلل الله فلا هادى له وهذا كقوله والله لا يهدى القوم الظالمين
وقوله وما يضل به الا الفاسقين فموضع من نصب بيهدى وقد قيل ان يهدى فى معنى يهتدى بدلالة قوله لا يهدى الا ان يهدى
فموضع من على هذا رفع كما انه لو قال يهتدى كان كذلك وقوله لا يضل من قولك ضل الرجل واضله الله اى حكم باضلاله كقولك كفره يريد كفره
الناس اى نسبوه الى الكفر فقالوا انه كافر كما ان اسقيته قلت له سقاك الله قال ذو الرمة واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمنى احجاره وملاعبه
اللغة البلاغ والابلاغ ايصال المعنى الى الغير والحرص طلب الشيء بجد واجتهاد يقال حرص يحرص حرصا وحرص يحرص بكسر الراء
فى الماضى وفتحها فى المستقبل لغة وقد روى فى الشواذ عن الحسن وابرهيم ان تحرص بفتح الراء والاول لغة اهل الحجاز والاصل
من الحارصة وهى الشجة التى تقشر وجه الارض وسحابة حارصة وهى التى تقشر جلدة الراس وكذلك الحرص كان صاحبه ينال
من نفسه بشدة اهتمامه بما هو حريص فيه المعنى ثم عاد سبحانه الى حكاية قول المشركين فقال وقال الذين اشركوا مع الله الها آخر
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اى لو اراد الله ما عبدنا من دونه الاصنام والاوثان نحن ولا اباؤنا الذين اقتدينا بهم ولا حرمنا
من دونه من شيء من البحيرة والسائبة وغيرها بل شاء ذلك منا واراد بذلك فعلنا فانكر الله سبحانه ذلك القول عليهم وقال كذلك اي
مثل ذلك فعل الذين من قبلهم من الكفار والضلال كذبوا رسل الله وجحدوا اياته وقالوا مثل قولهم وفعلوا مثل فعلهم فهل على
الرسل الا البلاغ المبين اي ليس عليهم الا ابلاغ الرسالة وقد سبق بيان مثل هذه الآية فى سورة الانعام ولقد بعثنا فى كل امة اى فى كل
جماعة وقرن رسولا كما بعثناك يا محمد رسولا الى امتك ان اعبدوا الله اى ليقول لهم اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت اى عبادة الطاغوت
وان هذه هى المفسرة يعنى بالطاغوت الشيطان وكل داع يدعو الى الضلالة فمنهم من هدى معناه فمنهم من هداه الله بان لطف له
بما علم انه يؤمن عنده فآمن فسمى ذلك اللطف هداية ويجوز ان يريد فمنهم من هداه الله الى الجنة بايمانه ولا يجوز ان يريد بالهداية
هنا نصب الادلة لانه كما تقدم فى قوله فاما ثمود فهديناهم لانه سبحانه سوى فى ذلك بين المؤمن والكافر ومنهم من حقت عليهم الضلالة
معناه ومنهم من اعرض عما دعاه اليه الرسول فخذله الله فثبتت عليه الضلالة ولزمته فلا يؤمن قط وقيل معناه وجبت عليه الضلالة

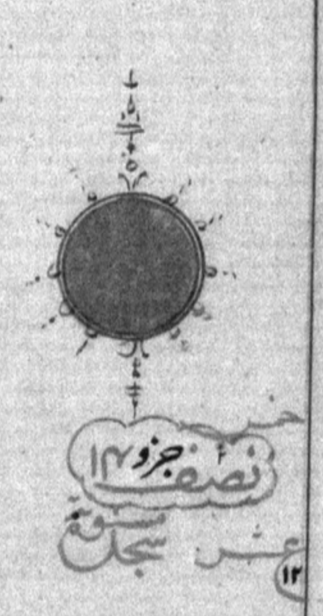
خمس

وهى

وهى العذاب والهلاك وقيل معناه ومنهم من حقت عليه عقوبة الضلالة عن الحسن وقد سمى الله سبحانه العذاب ضلاله بقوله ان
المجرمين فى ضلال وسعر فسيروا فى الارض اى ارض المكذبين الذين عاقبهم الله انه لم تصدقونى فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اي
فانظروا كيف حقت عليهم العقوبة وحلت بهم فلا تسلكوا طريقتهم فينزل بكم ما نزل بهم ان تحرص على هديهم اى على ان يؤمنوا بك فان
الله لا يهدى من يضل هذا تسليه للنبى ص فى دعائه لمن لا يفلح بالاجابة لانهماكه فى الكفر واشارة الى ان ذلك ليس لتقصير وقع من جهته
واعلام له انهم لا يؤمنون ابدا واذا كانوا هكذا فان الله لا يهديهم بل يضلهم على المعنى الذى فسرناه قيل وما لهم من ناصرين اى ليس لهم
ناصر ينصرهم ويخلصهم من العذاب وفى هذا بيان ان الاضلال فى الآية ليس المراد به ما ذكره اهل الجبر قوله تعالى وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ
أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ثلث آيات القراءة قرا ابن عامر والكسائى فيكون بالنصب

وفى يس مثله والباقون بالرفع الحجة من نصب فانه يحمله على ان قال الزجاج الرفع على فهو يكون على معنى ان ما اراد الله فهو يكون
والنصب على ضربين احدهما ان يكون عطفا على ان نقول والآخر ان يكون نصبا على جواب كن قال ابو على اعلم ان الذي اجاز من النصب
على ان يكون جواب كن لم يجزه احد من اصحابنا غيره لان كن وان كان على لفظ الامر فليس القصد به هنا الامر انما هو والله اعلم
الاخبار عن كون الشئ وحدوثه الاعراب جهد ايمانهم مصدر وضع موضع الحال والتقدير يجتهدون اجتهادا فى ايمانهم وهذا مثل
قوله طلبته جهدك اى تجتهد جهدك وعدا منصوب لتوكيد المعنى فان المعنى بل يبعثهم الله وعد الله ذلك وعدا وقوله ليبين اللام
يتعلق بالبعث ايضا اى يبعثهم ليبين لهم وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ويجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا فى كل امة رسولا
ليبين لهم اختلافهم وقولنا مرفوع بالابتداء وخبره ان نقول والمعنى انما قولنا لكل مراد قولنا له كن النزول قالوا كان لرجل من المسلمين
على مشرك دين فتقاضاه فوقع فى كلامه والذي ارجوه بعد الموت انه لكذا فقال المشرك وانك لتزعم انك تبعث بعد الموت واقسم بالله لا يبعث
الله من يموت فانزل الله الآية عن ابى العالية المعنى ثم حكى سبحانه عن المشركين نوعا آخر من كفرهم فقال واقسموا بالله جهد ايمانهم اي
حلفوا بالله مجتهدين فى ايمانهم والمعنى انهم قد بلغوا فى القسم كل مبلغ لا يبعث الله من يموت اى لا يحشر الله احدا يوم القيمة ولا يحيى من يموت
بعد موته ثم كذبهم تعالى فى ذلك فقال بلى يحشرهم الله ويبعثهم وعدا وعدهم به عليه انجازه وتحقيقه من حيث الحكمة حقا ذلك الوعد ليس
له خلف اذ لولا البعث لما حسن التكليف لان التكليف انما يحسن لاثابه من عوض ولكن اكثر الناس لا يعلمون صحة ذلك لكفرهم بالله وجحدهم
نبوة انبيائه وقيل لا يعلمون وجه الحكمة فى البعث ولا يؤمنون به ليبين لهم الذي يختلفون فيه هذا بيان من الله تعالى انه انما يحشر
الخلائق يوم القيمة ليبين لهم الحق فيما كانوا يختلفون فيه فى دار الدنيا لانه يخلق فيهم العلم الضروري يوم القيمة الذي يزول معه التكليف
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فى الدنيا فى قولهم ان الله لا يبعث احدا بعد موته واذا تعلق اللام بقوله ولقد بعثنا فالمعنى بعثنا الى
كل امة رسولا ليبين لهم ذلك الرسول ما يختلفون فيه ويهديهم الى طريق الحق ويبينهم عليه انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قد ذكرنا
تفسيره فى سورة البقرة والمراد به هنا انه قادر على البعث لا يتعذر عليه ذلك فانه اذا اراد شيئا كونه قوله تعالى وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ
بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا
رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
اربع آيات القراءة قرا حفص نوحى بالنون وقد تقدم ذكره فى سورة يوسف وروى عن على ع لنبوئنهم بالثاء والقراءة بالياء الاعراب قال ابن
جنى نصب حسنة اي يحسن اليهم احسانا فوضع حسنة موضع الاحسان كانه قال واحد من يحسن دال عليه فدل عليه قولهم لنبوئنهم
على ذلك الفعل لانه اذا اقرهم على الفعل باطالة مدتهم فقد احسن اليهم كما قال ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وذلك
ضد ما يعمل بالعاصين الذين يصطلمهم بذنوبهم وجزاهم باعمالهم النزول الآية الاولى نزلت فى المعذبين بمكة مثل صهيب وبلال وعمار
وخباب وغيرهم مكنهم الله بالمدينة وذكر ان صهيبا قال لاهل مكة انى رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخذوا مالى ودعونى
فاعطاهم ماله وهاجر الى رسول الله ص فقال له ابو بكر ربح البيع يا صهيب وروى ان عمر بن الخطاب كان اذا اعطى احدا من المهاجرين عطاء

قال له خذ هذا ما وعد الله في الدنيا وما ادخره لك افضل ثم تلى هذه الآية المعنى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا معناه والذين فارقوا
اوطانهم وديارهم واهليهم فرارا بدينهم وابتغاء لدينهم في الله اي في سبيله لا بتغاء مرضاته من بعد ما ظلمهم المشركون وعذبوهم بمكة وبخسوهم
حقوقهم لنبوئنهم في الدنيا حسنة اي بلدة حسنة بدل اوطانهم وهي المدينة عن ابن عباس وقيل لنعطينهم حالة حسنة وهي النصر والفتح
وقيل هي ما استولوا عليه من البلاد وفتح لهم من الولايات ولاجر الآخرة اكبر مما اعطيناهم في الدنيا لو كانوا يعلمون اي لو كان الكفار
يعلمون ذلك وقيل معناه لو علم المؤمنون تفاصيل ما اعد الله لهم في الجنة لازدادوا رغبة وحرصا على التمسك بالدين الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون هذا وصف لهؤلاء المهاجرين اي صبروا في طاعة الله على اذى المشركين وفوضوا امورهم الى الله تعالى ثقة به ثم خاطب
سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال وما ارسلنا من قبلك الى الامم الماضية الا رجالا من البشر نوحي اليهم اي اوحينا اليهم كما اوحينا اليك
وارسلناهم الى اممهم كما ارسلناك الى امتك وذلك ان مشركي مكة كانوا ينكرون ان يرسل اليهم بشر مثلهم فبين سبحانه انه لا يصلح ان يكون
الرسل الى الناس الا من يشاهدونه ويخاطبونه ويفهمون عنه وانه لا وجه لاقتراحهم ارسال الملك فاسئلوا اهل الذكر فيه اقوال احدها
ان المعني بذلك اهل العلم باخبار من مضى من الامم سواء كانوا مؤمنين او كفارا وسمي العلم ذكرا لان الذكر منعقد بالعلم فان الذكر هو ضد السهو
فهو بمنزلة السبب المؤدي الى العلم في ذكر الدليل فحسن ان يقع موقعه ويبنى عن معناه اذا تعلق به هذا التعلق عن الرماني والزجاج
والازهري وثانيها ان المراد باهل الذكر اهل الكتاب عن ابن عباس ومجاهد اي فاسئلوا اهل التورية والانجيل ان كنتم لا تعلمون
يخاطب مشركي مكة وذلك لانهم كانوا يصدقون اليهود والنصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم لانهم كانوا يكذبون النبي صلى الله عليه لشدة
عداوتهم له وثالثها ان المراد به اهل القرآن لان الذكر هو القرآن عن ابن زيد ويقرب منه ما رواه جابر ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلم
انه قال نحن اهل الذكر وقد سمى الله رسوله ذكرا في قوله ذكرا رسولا على احد الوجهين وقوله بالبينات والزبر العامل فيه قوله ارسلنا
والتقدير وما ارسلنا بالبينات والزبر اي بالبراهين والكتب الا رجالا نوحي اليهم وقيل ان في الكلام اضمارا وحذفا والتقدير ارسلناهم
بالبينات كما قال الاعشى وليس مجيرا ان اتى الحي خائف ولا قائل الا هو المتعيبا اي اعني المتعيبا ونظير الاول قول الشاعر ليتهم عذبوا
بالنار جارتهم وهل يعذب الا الله بالنار وانزلنا اليك الذكر يعني القرآن لتبين للناس ما نزل اليهم فيه من الاحكام والشرايع
والدلايل على توحيد الله ولعلهم يتفكرون في ذلك فيعلموا انه حق وفي هذا دلالة على ان الله تعالى اراد من جميعهم التفكر والنظر المؤدي
الى المعرفة بخلاف ما يقوله اهل الجبر النظم قيل في اتصال الآية الاولى بما قبلها وجوه احدها انها اتصلت بقوله ليبين لهم الذي
يختلفون فيه فيكون المعنى ليبين لهم وليعلم الكافرين كونهم كاذبين وليجزي المؤمنين المهاجرين على ما يحلون من الهجرة وقيل لما تقدم
ذكر الكفار وما اعد لهم من الدمار ودخول النار عقبه بذكر المؤمنين المهاجرين تحريضا لغيرهم في الاقتداء بهم فاتصل به اتصال
النقيض بالنقيض وقيل انه لما تقدم ذكر البعث ذكر بعده حكم يوم البعث وانه ينتصف فيه من الظالم للمظلوم قوله تعالى افامن الذين
مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او يأخذهم
على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون
ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ست آيات القراءة
قرا اولم تروا بالتاء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وكذلك في العنكبوت وقرا اهل البصرة تتفيؤا بالتاء والباقون بالياء الحجة
حجة الياء ان ما قبله غيبة وهو قوله ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم او يأخذهم اولم يروا ومن قرا بالتاء اراد جميع الناس والتانيث
والتذكير في قوله يتفيؤ ظلاله حسنان وقد تقدم ذكر ذلك في عدة مواضع اللغة التخوف التنقص وهو ان يأخذ الاول فالاول
حتى لا يبقى منهم احد وتلك حالة يخاف معها الفناء ويتخوف الهلاك يقال تخوفت الدهر قال تخوف السير منها تامكا قردا كما تخوف
عود النبعة السفن اي تنقص السير سنامها بعد تمكه وقال آخر تخوف علقهم مالي واهدى سلاسل في الحلوق لها صليل قال الفراء
تحوفته وتخوفته بالحاء والخاء اذا تنقصته من حافاته قال المبرد لا يقال تحوفته انما يقال تخونته بالنون والتفيؤ التفعل من الفيء يقال فاء الفيء
يفيء اذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه ومنه فيء المسلمين لانه يعود عليهم وقتا بعد وقت من الخراج والغنائم وتعدى فلم بزيادة



نصف جزو ١٤

عشر سجد سوره

الهمزة بمعنى افاء وبالتضعيف بمعنى فاء الظل وفياه الله تفيياً والفيء ما نسخه ضوء الشمس والظل ما كان قائماً لم تنسخه الشمس قال الشاعر فلا
الظل من برد الضحى يستطيعه ولا الفيء من بعد العشاء يذوق فجعل الظل وقت الضحى لان الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت وجمع الفيء افياء وفيوء
قال ارى المال افياء الظلال فتارة يؤوب واخرى يخبل المال خابل وقال النابغة الجعدي فسلام الاله يغدو عليهم وفيوء الفردوس ذات
الظلال وانما قال عن اليمين على التوحيد والشمائل على الجمع لانه اراد باليمين الايمان كما قال الشاعر بفي الشامتين الصخر ان كان هدني رزية
شبلي مخدر في الضراغم والمعنى بافواه وقال آخر الواردون وتيم في ذرا سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس والداخر الخاضع الصاغر قال
فلم يبق الا داخر في مخيس ومنجحر في غير ارضك في جحر . ثم اوعد سبحانه المشركين فقال افامن الذين مكروا السيئات اللفظ لفظ
الاستفهام والمراد به الانكار ومعناه اي شيء امن هؤلاء القوم الذين دبروا التدابير السيئة في توهين امر النبي صلى الله عليه وسلم واطفاء نور الدين وايذاء
المؤمنين من ان يخسف الله بهم الارض من تحتهم عقوبة لهم كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون قال ابن عباس
يعني يوم بدر وذلك انهم اهلكوا يوم بدر وما كانوا يدرون ذلك ولا يتوقعونه او ياخذهم في تقلبهم يعني او ان ياخذهم العذاب في
تصرفهم في اسفارهم وتجاراتهم وقيل يريد في تقلبهم في كل الاحوال ليلا ونهارا فيدخل في هذا تقلبهم على الفراش يمينا وشمالا عن مقاتل
فما هم بمعجزين اي فليسوا بفائتين وما يريد الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه او ياخذهم على تخوف قال اكثر المفسرين معناه على ما تنقص اما بقتل
او بموت اي ينقص من اطرافهم ونواحيهم ياخذ منهم الاول فالاول حتى ياتي الاخذ على جميعهم وقيل معناه ذو حال تخوفهم من العذاب
اي يعذب اهل قرية ويخوف به اهل قرية اخرى فيخافون ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بالاولى عن الحسن وقيل معناه على تنقص من
الاموال والانفس بالبلايا والاسقام انه لم يعذبهم بعذاب الاستيصال ليعتبر غيرهم ويزجرهم عن الجنايات فان ربكم لرؤوف رحيم بكم ومن
رأفته ورحمته بكم انه امهلكم لتتوبوا وترجعوا ولم يعاجلكم بالعقوبة ثم بين سبحانه دلائل قدرته فقال اولم يروا الى ما خلق الله من شيء
معناه اولم ينظر هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانية الله تعالى وكذبوا نبيه الى ما خلق الله من شيء له ظل من شجر وجبل وجسم قائم يتفيؤ
ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله اي يتميل ظلاله عن جانب اليمين وجانب الشمال واضاف الظلال المفرد ومعناه الاضافة الى ذوي
الظلال لان الذي يعود اليه الضمير واحد يدل على الكثرة وهو قوله ما خلق الله ومعنى تفيؤ الظلال يمينا وشمالا ان الشمس اذا طلعت
وانت متوجه القبلة كان الظل قدامك واذا ارتفعت كان عن يمينك فاذا كان بعد ذلك كان خلفك فاذا كان قبل ان تغرب الشمس
كان على يسارك فهذا تفيؤه عن اليمين والشمائل عن الكلبي ومعنى سجود الظل لله دورانه من جانب الى جانب لانه مستسلم منقاد مطيع
للتسخير وهذه الاية كقوله وظلالهم بالغدو والآصال وقد مر تفسيره وقيل ان المراد بالظل هو الشخص بعينه ويدل على ذلك قول علقمة لما نزلنا رفعنا
ظلال اخبية وفار للقوم باللحم المراجيل الا ترى الى انهم لا ينصبون الظل وانما ينصبون الاخبية ويقوي ذلك قول عمارة كانهن الفتيات
اللعس كانهن في الظلال الشمس اي في اشخاصهن وقول الآخر يتبع افياء الظلال عشية على طرق كانهن سيوف اي افياء الشخوص فعلى هذا
يكون تاويل الظلال في الاية تاويل الاجسام التي عنها الظلال وهم داخرون اي اذلة صاغرون وتقديره ان الله تعالى على ان جميع الاشياء تخضع
له بما فيها من الدلالة على الحاجة الى واضعها ومدبرها بما لولاه لبطلت ولم يكن لها قوام طرفة عين فهي في ذلك كالساجد من العباد
الخاضع بذله ثم قال سبحانه ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة اي يسجد له جميع ما في السموات وجميع ما في الارض ومعنى من
قوله من دابة لتبيين الصفة اي الذي هو دابة تدب على وجه الارض والملائكة اي وتسجد له الملائكة وتخضع له بالعبادة وانما خص
الملائكة بالذكر تشريفا لهم ولان اسم الدابة يقع على كل ما يدب ويمشي وهم اولو اجنحة فصفة الطيران اغلب عليهم وهم لا يستكبرون عن
عبادة الله تعالى وهذا من صفة الملائكة ثم قال يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وانما قال من فوقهم لوجهين احدهما
ان المراد يخافون عقاب ربهم واكثر ما ياتي العقاب المهلك انما ياتي من فوق والآخر ان الله سبحانه لما كان موصوفا بانه علي متعال بمعنى
انه قادر على الكمال حسن ان يقال من فوقهم ليدل على انه في اعلى مراتب القادرين وهذا بمعنى قول ابن عباس في رواية مجاهد قال ذلك
مخافة الاجلال واختاره الزجاج فقال يخافون ربهم خوف معظمين مجلين ومثله في المعنى قوله وهو القاهر فوق عباده وقوله اخبارا
عن فرعون وانا فوقهم قاهرون وذهب بعضهم الى ان قوله من فوقهم من صفة الملائكة والمعنى ان الملائكة فوق بني آدم وفوق ما في الارض

من دابة يخافون الله مع علو مرتبتهم فلان يخافه من دونهم اولى وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله تعالى ملائكة في السماء السابعة
سجودا منذ خلقهم الى يوم القيمة ترعد فرائصهم من مخافة الله لا يقطر من دموعهم قطرة الا صار ملكا فاذا كان يوم القيمة رفعوا رؤسهم وقالوا
ما عبدناك حق عبادتك اورده الكلبي في تفسيره قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون
وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا
كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون خمس آيات اللغة وصب الشيء وصوبا اذا دام ووصب
الدين وجب قال ابو الاسود لا ابتغي الحمد القليل بقاؤه يوما بذم الدهر اجمع واصبا والوصيب الالم الذي يكون عن الاعياء بالعمل ملله
قال لا يغمز الساق من اين ومن وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر والجؤار الاستغاثة برفع الصوت ويقال جار الثور يجار جوارا اذا رفع
صوته من جوع او غيره قال الاعشى وما ايلى على هيكل بناه وصلب فيه وصارا يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا
وبناء الاصوات على فعال وفعيل نحو الصراخ والبكاء والعويل والصفير والفعال اكثر الاعراب ذكر اثنين مؤكدا لقوله الهين اثنين كما ذكر
الواحد في قوله اله واحد واصبا نصب على الحال وما بكم موصول وصله في موضع الرفع بالابتداء ودخلت الفاء في خبره وهو قوله فمن الله
تقديره فهو من الله ولا فعل ههنا الا ان قوله بكم قد تضمن معنى الفعل فانه بمعنى وما حل بكم من نعمة المعنى لما بين سبحانه دلائل قدرته والهيته
عقبه بالتنبيه على وحدانيته فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين اي لا تعبدوا مع الله الها آخر فتشركوا بينهما في العبادة فانه لا يستحق
العبادة سواه وذكر اثنين كما فعلت ذلك لا امرين اثنين وقيل ان تقديره لا تتخذوا اثنين الهين يريد نفسه وغيره انما هو اله واحد وانما
لاثبات المذكور ونفي ما سواه فكانه قال هو اله واحد لا اله غيره فاياي فارهبون اي ارهبوا عقابي وسطواتي ولا تخشوا غيري وروي عن
بعض الحكماء انه قال نهاك ربك ان تتخذ الهين فاتخذت آلهة عبدت نفسك وهواك ودنياك وطبعك ومرادك وعبدت الخلق فانى تكون
موحدا وله ما في السموات والارض ملكا وملكا وخلقا وله الدين واصبا اي له الطاعة دائمة واجبة على الدوام عن ابن عباس والحسن ومجاهد
وقتادة ومعناه انه سبحانه الذي يعبد دائما وغيره انما يعبد في وقت دون وقت وقيل ان معناه وله الدين خالصا عن الفراء اي يجب على
العباد ان يطيعوه مخلصا وقيل وله الملك دائما لا يزول افغير الله تتقون اي افغير الله تخشون وهو استفهام فيه [illegible] اي كيف
تعبدون غيره ولا تعبدونه وتتقون غيره ولا تتقونه وما بكم من نعمة فمن الله معناه وان جميع ما بكم ولكم من النعم مثل الصحة في الجسم
والسعة في الرزق ونحوهما فكل ذلك من عند الله ومن جهته ثم اذا مسكم الضر مثل المرض والشدة والبلاء وسوء الحال فاليه تجأرون
اي فالى الله تتضرعون في كشفه واليه ترفعون اصواتكم بالدعاء والاستغاثة لحقره ثم اذا كشف الضر عنكم معناه ثم اذا دفع ما حل بكم من الضر
ورفع ما مسكم من المرض والفقر اذا فريق منكم بربهم يشركون اي عاد طائفة منكم الى الشرك بربهم في العبادة جهلا منهم بربهم ومقابلة لنعمه
بالكفران والعصيان وهذا اعجب من فعل العاقل المميز ليكفروا بما آتيناهم معنى اللام ههنا هو العلة التي لاجلها وقع الفعل والمعنى انهم بمنزلة
من اشرك في عبادة ربه ليكفر بما آتاه من النعمة كانه لا غرض له في شركه الا هذا والمعنى لان يكفروا بانعامنا عليهم ورزقنا اياهم وقيل ان اللام
للامر على وجه التهديد اي ليفعلوا ما شاؤا فانه لينزل بهم عاقبة كفرهم ويوافق هذا القول ما رواه مكحول عن ابي رافع قال حفظت على رسول الله صلى الله عليه وآله
فتمتعوا فسوف تعلمون بالياء فيهما فان تمتعوا يكون مجزوما معطوفا ويجوز ايضا ان يكون معطوفا منصوبا فالمعنى لان يكفروا ويتمتعوا ثم يقول فسوف
يعلمون وقوله فتمتعوا فسوف تعلمون يكون ابتداء خطاب لهم على التهديد والوعيد يقول فتمتعوا ايها الكفار في الدنيا قليلا فسوف تعلمون ما يحل بكم
في العاقبة من العقاب واليم العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن
عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى
من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى
وهو العزيز الحكيم خمس آيات اللغة يقال ظل يفعل كذا اذا فعله في صدر النهار تقول ظللت اظل ظلولا ومثله اضحى غير انه كثر حتى صار بمنزلة اخذ
يفعل والكظيم المغموم الذي يطبق فاه ولا يتكلم للغم الذي به ماخوذ من الكظامة وهي اسم لما يشد به فم القربة والكظامة ايضا العقب على راس
القلد والكظامة ايضا البير ومنه الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله اتى كظامة قوم فتوضأ ومسح على قدميه وجمعها كظائم والهون الهوان والمشقة

خمس

عشر

وهي لغة قريش قال الحطيه فلما خشيت الهون والعير ممسك على رغمه ما اثبت الحبل حازره ادسست الشوى في التراب ادسه اذا اخفيته و
الدساسة حية صماء تندس تحت التراب ولهم ما يشتهون ان شئت جعلت ما في موضع نصب بعطف ويجعلون لهم البنون الذين
يشتهونهم ويكون قوله سبحانه اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وان شئت جعلته في موضع رفع على الاستيناف فيكون مرفوعا
على الابتداء ولهم خبره او مرفوعا على ان الظرف عمل ما فيه كما ذكرنا الاختلاف فيه فيما مضى والهاء في يمسكه تعود الى قوله ما بشر به
فلذلك ذكر المعنى ثم ذكر سبحانه وقيل معناه ويجعلون للاصنام الذين لا يعلمون ولا يخشون نصيبا من الانعام والزرع فهو عن لفظه
ما في قوله لما لا يعلمون بالواو لانهم جعلوا الاصنام بمنزلة الآلهة عن ابي على الفارسي وقال ايضا يجوز ان يكون تقديره ويجعلون لما لا
يعلمونه الها نصيبا ويكون الضميران في يجعلون ويعلمون للمشركين وحذف المفعولان المعنى ثم ذكر سبحانه فعلا آخر من افعال المشركين
والاعلى جهلهم فقال ويجعلون لما لا يعلمون والواو في يعلمون يعود الى المشركين اى لما لا يعلمون انه يضر وينفع نصيبا مما رزقناهم يتقربون
بذلك اليه كما يجب ان يتقرب الى الله تعالى وهو ما حكى الله عنهم في سورة الانعام من الحرث وغير ذلك وقولهم هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا عن مجاهد وقتادة وابن زيد اقسم تعم فقال تالله لتسئلن في الآخرة عما كنتم تفترون تكذبون به في دار الدنيا لتلزموا انه الحجة وتعاقبوا
بعد اعترافكم على انفسكم ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من جهالاتهم فقال ويجعلون لله البنات اى ويثبتون لله البنات ويضيفون لله البنات وهو
قولهم للملائكة بنات الله كما قال سبحانه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ثم نزه سبحانه نفسه عما قالوا فقال سبحانه
اى تنزيها له عن اتخاذ البنات ولهم ما يشتهون اي ويجعلون لانفسهم ما يشتهون ويحبون من البنين دون البنات وعلى الوجه
الآخر ولهم ما يحبون يعني البنين واذا بشر احدهم بالانثى اى واذا بشر واحد منهم بان ولد له بنت ظل وجهه مسودا اى صار لون وجهه
متغيرا الى السواد لما يظهر فيه من اثر الحزن والكراهية فقد جعلوا لله ما يكرهونه لانفسهم وهذا غاية الجهل وهو كظيم اى ممتلئ غيظا
وحزنا يتوارى من القوم من سوء ما بشر به يعني ان هذا الذي بشر بالبنت يختفي من القوم الذين يستخبرونه عما ولد له استنكافا منه وخجلا
وحياء من سوء ما بشر به يعني انه من الانثى وتنحيه عنده ايمسكه على هون ام يدسه في التراب يعني يتفكر في نفسه ويدبر في امر البنت
المولود ايمسكه على ذل وهوان ام يخنقه في التراب ويدفنه حيا وهو الواد الذي كان من عادة العرب وهو ان احدهم كان يحفر حفيرة
صغيرة فاذا ولد له انثى جعلها فيها وحثى عليها التراب حتى تموت تحته وكانوا يفعلون ذلك مخافة الفقر عليهن فيطمع غير الاكفاء
فيهن الا ساء ما يحكمون اى بئس الحكم ما يحكمون وهو ان يجعلوا لنفوسهم ما يشتهون ولله ما يكرهون وقيل ساء ما يحكمون في قتل البنات مع
مساواتهن البنين في حرمة الولادة ولعل الجارية خير من الغلام وروى عن ابن عباس انه قال لو اطاع الله الناس في الناس لما كان الناس
لانه ليس احد الا ويحب ان يولد له ذكر ولو كان لجميع ذكور لما كان لهم اولاد فيفنى الناس ثم قال سبحانه للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل
السوء ولله المثل الاعلى اى لهؤلاء الكفار الذين وصفوا الله بالولد صفة السوء اى الصفة القبيحة التي هي سواد الوجه والحزن ولله
الصفة العليا من السلطان والقدرة وقيل لهم صفات النقص من الجهل والكفر والضلال والمعنى وصفة الحدوث والضعف والعجز
والحاجة الى الابناء وقتل البنات لخوف الفقر ولله صفات الالهية والاستغناء عن الصاحبة والولد والربوبية واخلاص التوحيد
ويسال فيقال كيف يمكن الجمع بين قوله سبحانه وتعالى ولله المثل الاعلى وقوله فلا تضربوا لله الامثال والجواب ان المراد بالامثال هنالك
الاشباه اى لا تشبهوا الله بشيء والمراد بالمثل الاعلى هنا الوصف الاعلى الذي هو كونه قديما قادرا عالما حيا ليس كمثله شيء وقيل ان المراد بقوله
المثل الاعلى المثل المضروب بالحق وبقوله فلا تضربوا لله الامثال الامثال المضروبة بالباطل وهو العزيز اى القادر الذي لا يمتنع عليه شيء
الحكيم الذي يضع الاشياء مواضعها على ما هو حكمة وصواب وفي الآيات دلالة على انه لا يضاف الى الله الى دون فان الله تعالى قد عاب المشركين
باضافتهم اليه ما لا يرضونه لانفسهم فاذا كره الانسان اضافة القبيح الى نفسه للنقص الذي فيه فكيف يجوز ان يضيفه الى الله تعالى الله عن ذلك
قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا ليبين

نحل

١٤

... لقوم يؤمنون والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم [illegible]

خمس آيات القراءة قرا نافع وقتيبة عن الكسائي مفرطون ساكنة الفاء مكسورة الراء خفيفة وقرا ابو جعفر مفرطون مكسورة الراء مفتوحة الفاء مشددة والباقون مفرطون ساكنة الفاء مفتوحة الراء خفيفة وروى عن الاعرج بفتح الراء وتشديدها الحجة قال الزجاج اما تفسير مفرطون ومفرطون فجاء عن ابن عباس متروكون وقيل معجلون ومعنى الفرط في اللغة التقدم وقد فرط مني قول اي تقدم فمعنى مفرطون مقدمون الى النار وكذلك مفرطون بالتشديد ومن فسرها متروكون فهو كذلك اي قد جعلوا مقدمين في العذاب ابدا متروكين فيه ومن قرا مفرطون فالمعنى انه وصفهم بانهم فرطوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة وتصديقه قوله يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ومن قرا مفرطون فالمراد انهم فرطوا في معصية الله كما تقول افرط فلان في مكروهي وتاويله انه آثر العجز وقدمه قال ابو علي وكانه من افرط اي صار ذا فرط مثل اقطف واجرب فهو مقطف ومجرب ومعناه انهم ذوو فرط الى النار وسبق اليها الاعراب الكذب مفعول تصف وان لهم الحسنى بدل من الكذب وتقديره وتصف السنتهم ان لهم الحسنى اي يصفون ان لهم مع هذا الفعل القبيح الجزاء الحسن وان لهم النار في موضع نصب بجرم فالمعنى جرم فعلهم هذا اي كسب ان لهم النار وقيل ان ان في موضع رفع عن قطرب قال معناه وجب ان لهم النار وانهم مفرطون فيها التبيين لهم اي لان تبين لهم الجار والمجرور في محل النصب بانه مفعول له وكذلك قوله وهدى ورحمة كلاهما معطوف على ما قبله بانه مفعول له ايضا اي انزلنا الكتاب عليك بيانا وهدى ورحمة قال الزجاج ويجوز في هذا الموضع وهدى ورحمة بالرفع فيكون المعنى وما انزلنا عليك الكتاب الا للبيان وهو مع ذلك هدى ورحمة المعنى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة بين سبحانه ان الله لو كان ممن يؤاخذ الكفرة والعصاة بذنوبهم ويعاجلهم بالعقوبة لما ترك على وجه الارض احدا ممن يستحق ذلك من الظالمين وانما قال عليها ولم يجر للارض في الظاهر ذكر لان الكلام يدل عليه فان العلم حاصل بان الناس يكونون على [illegible] الارض ومثله كثير في محاورات العرب يقول ما بين لابتيها مثل فلان يعنون المدينة واصبحت باردة يريدون الغداة [illegible] بالمدينة والاصباح لا يكون الا غدوة وقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اي يمهلهم الى وقت معلوم مسمى وهو يوم القيمة [illegible] الى وقت يعلم الله تعالى انه لا يكون في بقائهم فيه مصلحة لانهم لا يؤمنون ولا يخرج من نسلهم مؤمن وانما يؤخرهم تفضلا منه سبحانه ليراجعوا التوبة او لما في ذلك من المصلحة واختلف اهل العدل في من المعلوم من حاله انه لا يؤمن فيما بعد هل يجوز اخترامه فقال بعضهم يجوز لان التكليف فلا يجب تبقيته وهو قول ابي هاشم واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وقال آخرون لا يجوز اخترامه ويجب تبقيته وهو قول البلخي وابي علي الجبائي وان اختلفا في علته فقال الجبائي لانه مفسدة وقال البلخي لانه الاصلح واليه ذهب الشيخ المفيد ابو عبد الله رحمه الله وقيل ان معنى الآية لو يؤاخذهم بذنوبهم لحبس المطر عنهم حتى يهلك كل دابة عن السدي وعكرمة سؤال متى قيل ان الظالم يستحق العقوبة لظلمه فما بال الحيوانات تؤخذ بغير جرم فجوابه ان العذاب للظالم عقوبة ولغير الظالم عبرة ومحنة فتكون كالامراض النازلة بالاولياء وغير المكلفين فيعوضون عليها وقيل معناه لو اهلك الآباء بكفرهم لا يؤاخذ الابناء وقيل انه اذا اهلك الظلمة ولم يبق مكلف لا يبقى غيرهم من الحيوانات لانها انما خلقت للمكلفين فلا فائدة في بقائها بعدهم فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون سبق معناه فيما مضى ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال ويجعلون لله ما يكرهون يعني البنات اي يحكمون لله بما يكرهونه لانفسهم وتصف السنتهم الكذب اي وتخبر السنتهم بالكذب وهو ما يقولون ان لهم الحسنى يعني البنون عن مجاهد وقيل معناه يصفون ان لهم مع قبح قولهم من الله الجزاء الحسن والمثوبة الحسنى وهي الجنة عن الزجاج وغيره فان المشركين كانوا يقولون ان كان ما يقول محمد من امر البعث والآخرة حقا فنحن من اهل الجنة وروي عن معاذ انه قرا وتصف السنتهم الكذب بضم الذال والباء فعلى هذا يكون الكذب وصفا للالسنة جمع كاذب او كذوب ثم رد سبحانه قولهم لا جرم ان لهم النار اي ليس الامر على ما وصفوا جرم فعلهم وقولهم اي كسب ان لهم النار والمفسرون يقولون معناه حقا ان لهم النار او لا بد ان لهم النار وانهم مفرطون اي مقدمون معجلون الى النار ثم اقسم سبحانه فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد فزين لهم الشيطان اعمالهم اي كفرهم وضلالهم وتكذيبهم الرسل فهو وليهم اليوم معناه ان الشيطان وليهم اليوم في الدنيا يتولونه ويتبعون اغواءه فاما يوم القيمة فيتبرا بعضهم

من بعض عن ابي مسلم وقيل معناه فهو وليهم يوم القيمة اى يكلهم الله تعالى الى الشيطان اياسا لهم من رحمته ولهم عذاب اليم اي
وللتابع والمتبوع عذاب مؤلم وجيع ثم بين سبحانه انه قد اقام الحجة وازاح العلة واوضح الحجة فقال وما انزلنا عليك يا محمد الكتاب اى
القرآن الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه معناه الا وقد اردنا منك ان تكشف لهم ما اختلفوا فيه من دلالة التوحيد والعدل وتبين لهم
الحلال والحرام وهدى اى وانزلناه دلالة على الحق ورحمة لقوم يؤمنون ثم اخبر سبحانه عن نعمته على خلقه فقال والله انزل من السماء ماء
اى غيثا ومطرا فاحيا به اى بذلك الماء الارض بعد موتها احياها بالنبات بعد جدوبها وقحطها ان في ذلك لاية اى حجة ودلالة لقوم
يسمعون ادلة الله ويتفكرون فيها ويعتبرون بها قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا
خالصا سائغا للشاربين * ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون *
واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا
يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون * والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم
من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير خمس آيات القراءة قرا نافع وابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وسهل
نسقيكم بفتح النون ههنا وفي المؤمنين والباقون نسقيكم بضمها في الموضعين وقرا ابو جعفر في المؤمنين تسقيكم بالتاء الحجة قيل بين
سقيت واسقيت فرق وهو ان سقيته معناه ناولته ليشرب واسقيته معناه جعلت له ما يشرب به وقيل سقيته ماء واسقيته سالت الله
ان يسقيه وعليه بيت ذي الرمة واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه وقيل اذا اسقاه مرة يقول سقيته واذا اسقاه دائما
يقال اسقيته عن ابي عبيدة وقيل هما بمعنى واحد وانشد بيت لبيد سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبائل من هلال فاتى باللغتين اللغة
العبرة والعظة من النظائر وهو ما يعتبر به والفرث الثفل الذي ينزل الى الكرش وساغ الطعام في الحلق وسوغته واسغته والسكر في
اللغة على اربعة اوجه الاول ما اسكر من الشراب والثاني ما طعم من الطعام قال الشاعر جعلت عيب الاكرمين سكرا اى جعلت ذمهم
طعما لك والثالث السكون ومنه ليلة ساكرة اى ساكنة قال الشاعر وليست بطلق ولا ساكره ويقال سكرت الريح سكنت قال وجعلت
عين الحرور تسكر والرابع المصدر من قولك سكر سكرا ومنه التسكير التحيير في قوله سكرت ابصارنا والذلل جمع الذلول يقال دابة
ذلول بين الذل ورجل بين الذل والذلة والرذل الدون الردى وكذلك الرذال يقال رذل الشيء يرذل رذالة وارذلته انا الاعراب
الهاء في بطونه الى ما ذا يعود اختلف فيه فقيل ان الانعام جمع والجمع يذكر ويونث فجاء ههنا على لغة من يذكر وجاء في سورة المؤمنين على
لغة من يونث وقيل انه رد على واحد الانعام وانشد الراجز طاب اللبان على اللقاح فرد رده الى اللبن عن الفراء وقيل ان الانعام
والنعم سواء يحمل على المعنى كما قال الصلتان العبدي ان السماحة والمروة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح فكانه قال شيئان ضمنا
وقال الاعشى فان تعهديني ولي لمة فان الحوادث اودى بها حمله على الحدثان ويجوز ان يكون التقدير نسقيكم مما في بطون المذكور
وقيل ان من يدل على التبعيض فكانه قال نسقيكم مما في بطون بعض الانعام لانه ليس لجميعها لبن وقوله تتخذون منه الضمير في منه الى ما ذا
يعود فيه وجهان احدهما انه يعود الى المذكور والثاني انه يعود الى معنى الثمرات لان الثمرات والثمر سواء وكذلك الهاء في قوله فيه شفاء للناس
قيل يعود الى الشراب وهو العسل وقيل يعود الى القرآن فاذا عاد الضمير الى الشراب ارتفع شفاء بالظرف على المذهبين وتقديره شراب
ثابت فيه شفاء واذا عاد الى القرآن ففي رفع شفاء خلاف فان الظرف لم يجر على مذكور قبله لكيلا يعلم بعد علم شيئا انتصب شيئا بيعلم
وهو مذهب سيبويه لانك قد اعملت الثاني واضمرت للمفعول في يعلم على شريطة التفسير وان اعملت بعلم وهو مذهب الفراء اضمرت لعلم
مفعولا وفصلت بين المفعول والعامل فجمعت بين مجازين بخلاف مذهب سيبويه المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من دلايل
التوحيد وعجايب الصنعة وبدايع الحكمة بقوله وان لكم في الانعام يعني الابل والبقر والغنم لعبرة اى عظة واعتبارا ودلالة على قدرة الله تعالى
نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا روى الكلبي عن ابن عباس قال اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا و
اعلاه دما واوسطه لبنا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك قوله من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه الدم
ولا الفرث سايغا للشاربين جايزا في حلوقهم والكبد مسلطة على هذه الاصناف فيقسمها على الوجه الذي اقتضاه التدبير الالهي بين سبحانه

لمن ينكر البعث ان من قدر على اخراج لبن ابيض سايغ من بين الدم والفرث من غير ان يختلط بهما قادر على اخراج الموتى من الارض من
غير ان يختلط شيء من ابدانهم بابدان غيرهم ثم قال ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا قيل معناه ولكم عبرة فيما اخرج الله لكم
من ثمرات النخيل والاعناب عن الحسن وقيل معناه ولكم من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكرا والعرب تضمر ما الموصولة كثيرا قال
تعالى واذا رايت ثم اى ما ثم وقيل ان تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب شيء تتخذون منه سكرا فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه والاعناب
عطف على الثمرات اى ومن الاعناب تتخذون سكرا وهو كل ما يسكر من الشراب كالخمر والرزق الحسن ما احل منهما كالخل والزبيب والرب والتمر
عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم وروى الحاكم في صحيحه بالاسناد عن ابن عباس انه سئل عن هذه
الآية فقال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما احل من ثمرها وقال قتادة نزلت الآية قبل تحريم الخمر ونزل تحريمه بعد ذلك في سورة
المائدة قال ابو مسلم ولا حاجة الى ذلك سواء كان حراما او لم يكن لانه تعالى خاطب المشركين وعدد انعامه عليهم بهذه الثمرات والخمر
من اشربتهم فكانت نعمة عليهم وقيل ان المراد بالسكر ما يشرب من انواع الاشربة مما يحل والرزق الحسن ما يوكل والحسن اللذيذ عن الشعبي
والجبائي والمعنى تتخذون منه اصنافا من الاطعمة والاشربة وقد اخطأ من تعلق بهذه الآية في تحليل النبيذ لانه سبحانه انما اخبر عن فعل
كانوا يتعاطونه فاى رخصة في هذا اللفظ والوجه فيه انه سبحانه اخبر انه خلق هذه الثمار لينتفعوا بها فاتخذوا منها ما هو حرام عليهم ولا فرق
بين قوله هذا وبين قوله تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان في ذلك لآية اى دلالة ظاهرة لقوم يعقلون عن الله تعالى ذلك ويتفكرون فيه
بين الله سبحانه بذلك انكم تستخرجون من الثمرات عصيرا يخرج من سر قد اختلط به فكذلك يستخلص الله ما يريد من الميت مما هو
مختلط به من الثمرات واوحى ربك الى النحل اى الهمها الهاما عن ابن عباس ومجاهد وقيل جعل ذلك في غرايزها بما يخفى مثله عن
غيرها عن الحسن قال ابو عبيدة الوحي في كلام العرب على وجوه منها وحي النبوة ومنها الالهام ومنها الاشارة ومنها الاكتساب ومنها
الاسرار فوحي النبوة في قوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه والالهام في قوله واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى والاشارة في قوله
فاوحى اليهم ان سبحوا قال مجاهد معناه اشار اليهم وقال الضحاك كتب لهم والاسرار في قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا واصل الوحي عند العرب ان يلقى الانسان الى صاحبه شيئا بالاستتار والاخفاء واما ما روى عن ابن عباس انه قال لا وحي الا
القرآن فان المراد به ان القرآن هو الوحي الذي اتى به جبرائيل ع الى محمد ص دون ان يكون انكر ما قلناه ويقال وحى له واوحى اليه قال العجاج
وحى لها القرار فاستقرت والمعنى ان الله تعالى الهم النحل اتخاذ المنازل والمساكن والاوكار والبيوت في الجبال والشجر وغير ذلك وتقديره
ان اتخذى من الجبال بيوتا للعسل لا يقدر على مثلها احد ومن الشجر ومما يعرشون اى ومن الكرم لانه الذي يعرش ويتخذ منه العريش وفيه لغتان
يعرشون ويعرشون بضم الراء وكسرها وقد قرئ بهما وقيل معنى يعرشون يبنون والعرش سقف البيت عن الكلبي والمعنى ما يبني الناس لها من
خلايا هى التي تعسل فيها ولولا الهام الله اياها كانت تأوي الى غير ما يبنى لها من بيوتها وانما اتى بلفظ الامر وان كان النحل لا تعقل الامر ولا تكون
مأمورة لانه لما اتى بلفظ الوحي اجرى عليه لفظ الامر اتساعا ثم كلي من كل الثمرات اى من انواع الثمرات من اى ثمرة شئت فاسلكي سبل ربك
اى فادخلى سبل ربك التي جعلها الله لك ذللا اى مذللة موطاة للسلوك واسعة يمكن سلوكها فيكون قوله ذللا صفة للسبل وهي منصوبة
على الحال وهو قول مجاهد وقيل ذللا اى مطيعة لله منقادة مسخرة ويكون من صفة النحل عن قتادة يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه
وهو العسل فان الوانه مختلفة لان منه ما هو شديد البياض ومنه ما هو اصفر ومنه ما يضرب الى الحمرة وذلك ان النحل تتناول الوانا
مختلفة من النبات والزهر فيحيلها الله سبحانه عسلا على الوان مختلفة يخرج من بطونها الا انها تلقيه من افواهها كالريق الذي يخرج من فم
ابن آدم وانما قال سبحانه من بطونها ولم يقل من فيها لئلا يظن انها تلقيه من فيها ولم يخرج من بطنها فيه شفاء للناس من الادواء عن قتادة
وروى عن عبد الله بن مسعود انه قال عليكم بالشفائين القرآن والعسل وقيل معناه فيه شفاء للاوجاع التي شفاؤها فيه عن السدي
والحسن وروى عن مجاهد ان الهاء في فيه راجعة الى القرآن اى القرآن فيه شفاء للناس يعني ما فيه من الحلال والحرام والفتيا والاحكام
والاول قول اكثر المفسرين وهو الاقوى اذ لم يسبق للقرآن ذكر وفي العسل والنحل وجوه من الاعتبار منها اختصاصه بخروج العسل
من فيه ومنها جعل الشفاء من موضع السم فان النحل يلسع ومنها ما ركب الله من العجايب والبدايع فيه وفي طباعه ومن اعجبها ان جعل سبحانه

لكل نيه منه يعسوبا هو اميرها يقدمها ويحلى عنها ويدبر امرها ويسوسها وهى تتبعه وتقتفى اثره ومتى فقدته انحل نظامها وزال قوامها
وتفرقت شذر مذر والى هذا المعنى اشار فيما قال اشار على امير المؤمنين عم فى قوله انا يعسوب المؤمنين ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون
معناه ان فيما ذكرنا من بدايع صنع الله تعم دلالة بينة لمن تفكر فيه ثم بين سبحانه نعمته علينا فى خلقنا واخراجنا من العدم الى الوجود فقال
والله خلقكم اى اوجدكم وانعم عليكم بضروب النعم الدينية والدنيوية ثم يتوفيكم ويقبضكم اى يميتكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر اى ادون
العمر واوضعه اى يبقيه حتى يصير الى حال الهرم والخرف فيظهر النقصان فى جوارحه وحواسه وعقله وروى عن على عم ان ارذل العمر خمس وسبعون
سنة وروى مثل ذلك عن النبى صم وعن قتادة تسعون سنة لكيلا يعلم بعد علم شيئا اى ليرجع الى حال الطفولية بنسيان ما كان علمه لاجل
الكبر فكانه لا يعلم شيئا مما كان علمه وقيل ليقل علمه بخلاف ما كان عليه فى حال شبابه ان الله عليم بمصالح عباده قدير على ما يشاء من تدبيرهم
وتغيير احوالهم قوله تعالى وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ
سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ • وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ • وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ • فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ • اربع آيات القراءة قرأ ابو بكر
عن عاصم تجحدون بالتاء والباقون بالياء الحجة الوجه فى القراءة بالياء انه يراد به غير المسلمين لان المسلمين لا يخاطبون بجحود نعم الله ووجه
فى القراءة بالتاء قل لهم افبنعمة الله التى تقدم اقتصاصها تجحدون قوله وبنعمة الله هم يكفرون اللغة الحفدة جمع حافد واصل الحفد
الاسراع فى العمل ومنه ملجاء فى الدعاء واليك نسعى ونحفد ومنه البعير يحفد حفدانا اذا مر يسرع فى سيره قال الراعى كلفت مجهولها نوقا
ثمانية اذا الحداة على اكسائها حفدوا ومنه قيل للاعوان حفدة لاسراعهم فى الطاعة قال جميل حفد الولائد حولهن واسلمت باكفهن
ازمة الاجمال الاعراب فهم فيه سواء جملة اسمية وقعت موقع جملة فعلية فى موضع نصب لانه جواب النفى بالفاء والتقدير فيستووا شيئا
انتصب على احد وجهين اما ان يكون بدلا من رزقا بمعنى انه لا يملك لهم رزقا قليلا ولا كثيرا وهو قول الاخفش واما ان يكون مفعولا
لقوله رزقا فكانه قال ما لا يملك لهم ان يرزق شيئا وهو مما اعمل من المصادر المنونة المعنى ثم عدد سبحانه نعمة منه اخرى فقال
والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فوسع على واحد وقتر على آخر على ما توجبه الحكمة فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت
ايمانهم اختلفوا فى معناه على قولين احدهما انهم لا يشركون عبيدهم فى اموالهم وازواجهم حتى يكونوا فيه سواء ويرون ذلك نقصا
فلا يرضون لانفسهم به وهم يشركون عبيدى فى ملكى وسلطانى ويوجهون العبادة والقرب اليهم كما يوجهونها الى عن ابن عباس
وقتادة ومجاهد قال ابن عباس يقول اذا لم ترضوا ان تجعلوا عبيدكم شركاءكم فكيف جعلتم عيسى الها معى وهو عبدى ونزلت
فى نصارى نجران والثانى ان معناه فهؤلاء الذين فضلهم الله فى الرزق من الاحرار فلا يرزقون مماليكهم بل الله رازق الملاك والمماليك
فان الذى ينفقه المولى على مملوكه انما ينفقه مما يرزقه الله فالله تعالى رازقهم جميعا فهم فيه سواء فى ذلك افبنعمة الله يجحدون اى
افبهذه النعم التى عددتها واقتصصتها يجحد هؤلاء الكفار ثم عدد سبحانه نعمة اخرى فقال والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اى جعل لكم
من جنسكم ومن الذين تلدونهم نساء جعلهن ازواجا لكم لتسكنوا اليهن وتأنسوا بهن وجعل لكم من ازواجكم يعنى من هذه الازواج
بنين تسرون وتتزينون بهم وحفدة اختلف فى معناه فقيل هم الخدم والاعوان عن ابن عباس والحسن وعكرمة وفى رواية الوالبى
هم اختان الرجل على بناته وهو المروى عن ابى عبد الله عم وعن ابن مسعود وابرهيم وسعيد بن جبير وقيل هم البنون وبنو البنين
عن ابن عباس فى رواية اخرى وعنه ايضا انهم اولاد امراة الرجل من غيره فى رواية الضحاك وقيل البنون الصغار من الاولاد والحفدة
الكبار منهم يسعون معه عن مقاتل ورزقكم من الطيبات اى الاشياء التى تستطيبونها وتلذونها اباحها لكم وانما دخلت من لانه ليس كل
ما يستطيبه الانسان رزقا وانما يكون رزقه ما له التصرف فيه وليس لاحد منعه منه افبالباطل يؤمنون يريد بالباطل الاوثان و
الاصنام وما حرم عليهم الشيطان من البحيرة وغيرها اى افبذلك يصدقون وبنعمة الله التى عددها هم يكفرون اى يجحدون و
قيل يريد بنعمة الله التوحيد والقرآن ورسول الله صلى الله عليه وآله عن ابن عباس ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا اى

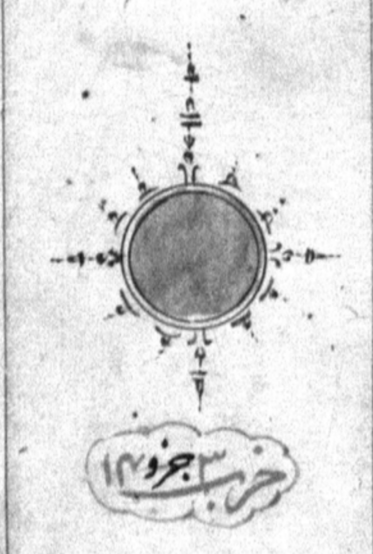
لا يملك ان يرزقهم من السموات والارض ولا يستطيعون شيئا مما ذكرناه وقيل ان رزق السماء الغيث الذي يأتي من جهتها ورزق
الارض النبات والثمار وغير ذلك من انواع النعم التي تخرج من الارض فلا تضربوا لله الامثال اي لا تجعلوا لله الامثال في الاشباه في
العبادة فانه لا شبيه له ولا مثل ولا احد يستحق العبادة سواه وانما قال ذلك في اتخاذهم الاصنام الهة عن ابن عباس وقتادة ان الله
يعلم ان من كان الها فانه منزه عن الشركاء وانتم لا تعلمون ذلك بل تجهلونه ولو تفكرتم لعلمتم وقيل معناه والله يعلم ما عليكم من المضرة في عبادة
غيره وانتم لا تعلمون ولو علمتم لتركتم عبادتها قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو
ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ۝ وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء
وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ۝ ولله غيب السموات والارض
وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير ۝ ثلث آيات القراءة في الشواذ قراءة ابن مسعود وعلقمة
والحسن ومجاهد اينما يوجه لا يأت بخير وروى عن علقمة يوجه بفتح الجيم الحجة قال ابن جني اما توجه بكسر الجيم فعلى حذف
المفعول اي اينما توجه وجهه فحذف للعلم به واقول ان نظيره ما جاء في المثل اينما اوجه الق سعدا ومعناه اينما اوجه وجهي وركابي
وسعد قبيلته اي كل الناس مثل قبيلتي في التحاسد واما يوجه بفتح الجيم فمعناه اينما يرسل او يبعث لا يأت بخير اللغة الابكم الذي
يولد اخرس لا يفهم ولا يفهم وقيل الابكم الذي لا يمكنه ان يتكلم والكل الثقل يقال كل عن الامر يكل كلا اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه
وكلت السكين كلولا اذا غلظت شفرتها وكل بلسانه اذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حده والاصل فيه الغلظ المانع من
النفوذ والتوجيه الارسال في وجه من الطريق يقال وجهته الى موضع كذا فتوجه اليه الاعراب ومن رزقناه منا رزقا حسنا مفعول
الثاني لرزقناه وفي هذا دليل على ان رزق يتعدى الى مفعولين الا ترى ان قوله رزقا حسنا لو كان مصدرا لما جاز ان يقول فهو
ينفق منه الا ترى ان الانفاق انما يكون من المال لا من الجنس الذي هو المصدر المعنى ثم بين سبحانه للمشركين امر ضلالهم فقال
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اي بين الله تعالى شبها فيه بيان المقصود تقريبا للخطاب الى افهامهم ثم ذكر ذلك المثل
فقال عبدا مملوكا لا يقدر من امره على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا يريد بقوله ومن رزقناه منا رزقا ملكناه مالا ونعمة فهو ينفق
منه سرا وجهرا لا يخاف من احد هل يستوون فلم يقل يستويان لانه اراد بقوله ومن رزقناه وقوله عبدا مملوكا الشيوع في الجنس لا التخصيص
يريد ان الاثنين المتساويين في الخلق اذا كان احدهما مالكا قادرا على الانفاق والآخر مملوكا عاجزا عن الانفاق لا يستويان فكيف
يسوى بين الحجارة التي لا تعقل ولا تتحرك وبين الله عز اسمه القادر على كل شيء الرازق لجميع خلقه وهذا معنى قول مجاهد والحسن وقيل
ان هذا المثل للكافر والمؤمن فان الكافر لا خير عنده والمؤمن يكسب الخير عن ابن عباس وقتادة نبه الله سبحانه بذلك على اختلاف حاليهما
ودعا الى حال المؤمن وصرف عن حال الكافر الحمد لله اي الشكر لله على نعمه وفيه اشارة الى ان النعم كلها منه وقيل معناه قولوا الحمد لله
الذي دلنا على توحيده ومعرفته وهدانا الى شكر نعمته واوضح لنا السبيل الى جنته بل اكثرهم لا يعلمون يعني ان اكثر الناس وهم
المشركون لا يعلمون ان الحمد لي وان جميع النعمة مني ثم ضرب سبحانه مثلا آخر فقال وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء
من الكلام لانه لا يفهم ولا يفهم عنه وقيل معناه لا يقدر ان يدبر امر نفسه وهو كل على مولاه اي ثقل ووبال على وليه الذي يتولى امره اينما
يوجهه لا يأت بخير معناه انه لا منفعة لمولاه فيه اينما يرسله في حاجة لا يرجع بخير ولا يهتدي الى منفعة هل يستوي هو اي هذا الابكم
الموصوف بهذه الصفة ومن يأمر بالعدل اي ومن هو فصيح يأمر بالعدل والحق ويدعو الى الصواب والبر وهو على صراط اي على دين
قويم وطريق واضح فيما يأتي ويذر والمراد انهما لا يستويان قط لانه لا جواب لهذا الكلام الا النفي وهذا كما قال افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا لا يستوون وقيل في معنى هذا ايضا قولان احدهما انه مثل ضربه الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته ومن لا يؤمل منه واصل الخير
كله من الله تعالى فكيف يستوي بينه وبين شيء سواه في العبادة والآخر انه مثل الكافر والمؤمن فالابكم الكافر والذي يأمر بالعدل
المؤمن عن ابن عباس وقيل ان الابكم ابي بن خلف ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمن بن مظعون عن عطاء وقيل ان الابكم هاشم بن عمرو بن
الحرث القرشي وكان قليل الخير يعادي رسول الله صلى الله عليه وآله عن مقاتل ثم وصف سبحانه نفسه مؤكدا لما قدم ذكره من

اوصاف الكمال فقال ولله غيب السموات والارض ومعناه انه المختص بعلم الغيب وهو ما غاب عن جميع الخلايق مما يصح ان يكون
معلوما قال الجبائي ويمكن ان يكون المعنى ولله ملك ما غاب عنكم من ما في السموات والارض ثم قال وما امر الساعة الا كلمح البصر
اي كطرف العين وقيل كرد البصر قال الزجاج وما امر اقامة الساعة في قدرته الا كلمح البصر لا يتعذر عليه شيء ووجه اتصاله بما
قبله ان امر القيمة من الامور الغايبة ومن اعظمها واهمها لما فيه من الثواب والعقاب والانصاف والانتصاف والساعة اسم لاماتة
الخلق واحيائهم او هو اقرب من ذلك وهو مبالغة في ضرب المثل به في السرعة ودخول او هنا لاحد امرين اما للابانة ان انزل على احدى
هاتين المنزلتين واما الشك المخاطب وقيل معناه بل هو اقرب ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على اقامة الساعة وعلى كل شيء يريده
ولان التقدير مبالغة في صفة القادر **قوله تعالى** وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللّٰهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا
وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝ **ثلث آيات** **القراءة** قد ذكرنا القراءة في امهاتكم في سورة النساء وقرا ابن عامر وحمزة ويعقوب
وسهل وخلف الم تروا بالتاء والباقون بالياء وقرا اهل الكوفة وابن عامر ظعنكم ساكنة العين والباقون بفتح العين **الحجة** من قرا
الم تروا بالتاء فانه يدل على ما قبله من قوله وجعل لكم السمع لعلكم تشكرون ومن قرا بالياء فانه على وجه التنبيه لمن تقدم
ذكرهم من الكفار والظعن بفتح العين وسكونها لغتان ومثله النهر والنهر والسمع والسمع قال الاعشى فقد اشرب الراح قد تعلمين
يوم القيام ويوم الظعن قال ابو علي ولا يجوز ان يكون الظعن مخففا عن الظعن كما ان عضدا مخففا عن عضد وكتفا عن كتف
الا ترى ان من قال ذلك لم يخفف نحو جمل وحسن كما ان الذي يقول والليل اذ ادبر وذلك ما كنا نبغ لا يقول الا والليل اذا يغشى
وحرف الحلق وغيره في ذلك سواء **اللغة** الامهات اصله الامات ولكن الهاء زيدت موكدة كما زادوها في اهرقت الماء والاصل
ارقت والافئدة جمع فواد كما يقال غراب واغربة ولم يجمع الفواد على اكثر العدد ان يقال فيه فيدان كما قالوا غربان الجو الهواء البعيد
من الارض وابعد منه السكاك واللوح والواحد السكاك السكك عن الزجاج قال الشاعر وبل امها في هواء الجو طالبه
ولا كهذا الذي في الارض مطلوب والسكن كل ما تسكن اليه والسكن ايضا المسكن قال الفراء السكن بفتح الكاف الدار يسكونها
اهل الدار ومنه الحديث ان الزمانة تشنع السكن واصله من السكون الذي هو ضد الحركة وهما من جنس الاكوان التي يكون الجسم
بها كاينا في الجهات ومنه السكين لانها تسكن حركة المذبوح والاثاث متاع البيت الكثير من قولهم شعر اثيث اي كثير واث البيت
يأث اثاثا اذا كثر ما فيه وكذلك الشعر ولا واحد للاثاث كما انه لا واحد للمتاع قال الشاعر اهاجتك الصغاين يوم بانوا بذي الزي
الجميل من الاثاث **الاعراب** قوله لا تعلمون شيئا في موضع النصب على الحال من الكاف والميم وقوله شيئا يجوز ان يكون منتصبا على
المصدر اي لا تعلمون علما ويجوز ان يكون مفعولا ويكون يعلمون بمعنى يعرفون لاقتصاره على مفعول واحد واثاثا ومتاعا نصب
بجعل اي جعل لكم اثاثا ومتاعا **المعنى** ثم عدد سبحانه نعماء له اخرى فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم منعما عليكم بذلك وانتم
لا تعلمون شيئا من منافعكم ومضاركم في تلك الحال وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اي تفضل عليكم بالحواس الصحيحة التي هي
طرق الى العلم بالمدركات وتفضل عليكم بالقلوب التي تفقهون بها الاشياء اذ هي محل المعارف لعلكم تشكرون اي لكي تشكروه على
ذلك وتحمدوه ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الدلايل بدلالة اخرى فقال الم يروا اي الم يتفكروا وينظروا الى الطير مسخرات
في جو السماء اي كيف خلقها الله تعالى ومكنها التصرف في جو السماء اي كيف خلقها الله تعالى صاعدة ومنحدرة وذاهبة وجائية مذللات
للطيران في الهواء باجنحتها تطير من غير ان تعتمد على شيء ما يمسكهن الا الله اي ما يمسكهن عن السقوط على الارض من الهواء الا الله
فيمسك الهواء تحت الطير حتى لا ينزل فيه كامساك الماء تحت السابح في الماء حتى لا ينزل فيه فجعل امساك الهواء تحتها امساكا لها
على التوسع فان سكونها في الجو انما هو فعلها فالمعنى الم ينظروا في ذلك فيعلموا ان لها مسخرا ومدبرا لا يعجزه شيء ولا يتعذر عليه شيء
وانه انما خلق ذلك ليعتبروا به فيصلوا الى الثواب الذي عرضهم له ولو كان فعل ذلك لمجرد الانعام على العبيد لكان حسنا لكنه سبحانه

عشر

وتم ضم ذلك الى التعريض للثواب انه فى ذلك لآيات اى دلالات على وحدانية الله تعالى وقدرته لقوم يؤمنون لانهم الذين
انتفعوا به ثم عدد سبحانه نعما آخر فى الآية الاخرى فقال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اي موضعا تسكنون فيه مما يتخذ من الحجر والمدر
وذلك انه سبحانه خلق الخشب والمدر والآلة التى يمكن بها تسقيف البيوت وبناءها وجعل لكم من جلود الانعام يعنى الانطاع
والادم بيوتا تستخفونها اى قبابا وخياما يخف عليكم حملها فى اسفاركم يوم ظعنكم اى يوم ارتحالكم من مكان الى مكان وقيل معنى الظعن
سير اهل البوادي لنجعة او حضور ماء او طلب مربع ويوم اقامتكم اى اليوم الذي تنزلون موضعا تقيمون فيه اى لا يثقل عليكم فى الحالتين
ومن اصوافها وهى للضان واوبارها وهى للابل واشعارها وهى للمعز اثاثا اى متاعا عن ابن عباس وقيل انواعا من متاع البيت من الفرش
والاكسية وقيل طنافس وبسطا وثيابا وكسوة والكل متقارب ومتاعا تتمتعون به ومعاشا تتجرون به فيه الى حين اى الى يوم القيمة عن
الحسن وقيل الى وقت الموت عن الكلبى ويحتمل ان يكون اراد به موت المالك او موت الانعام وقيل الى وقت البلى والفنا وفيه اشارة
الى انها فانيه فلا ينبغى للعاقل ان يختارها على نعيم الآخرة قوله تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال
اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون • فان تولوا فانما عليك
البلاغ المبين • يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون • ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين
كفروا ولا هم يستعتبون • واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون • خمس آيات اللغة الاكنان جمع كن وهو
الموضع الذي يستر صاحبه فيه ويقال كننت الشىء فى كنه اي صنته واكننته اى اخفيته وكل ما لبسته من قميص او درع او جوشن او
غيره فهو سربال قال الزجاج والعتب الموجدة يقال عتب عليه يعتب اذا وجد عليه فاذا فاوضه ما عتب عليه قالوا عاتبه واذا رجع الى سرته
قيل اعتب والاسم العتبى وهو رجوع المعتوب عليه الى ما يرضى العاتب واستعتب طلب منه ان يعتب قال ابو مسلم الاستعتاب
ماخوذ من العتب والعتاب واصله دفع الاديم وهو عتابه وفى المثل انما يعاتب الاديم ذو البشرة ويقال عتبت على فلان واستعتبته
اذا انكرت منه فعلا واستزدته عتبا واردت اصلاحه وما عتب فلان اذا صار لك الى ما تحب وزال عما [illegible] فان تولوا شرط
وتقديره فان تولوا لم يلزمك تقصير من اجل توليهم فان الذي عليك هو البلاغ الا انه حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه [illegible]
فى محل الرفع لوقوع الاذن عليه المعنى ثم عدد سبحانه نعما آخر اضافها الى ما عدده قبل من نعمه فقال والله جعل لكم مما خلق من
الاشجار والابنية ظلالا اى اشياء تستظلون بها فى الحر والبرد وجعل لكم من الجبال اكنانا اى مواضع تسكنون بها من كهوف ونقوب
وتاوون اليها وجعل لكم سرابيل اى قمصا من القطن والكتان والصوف عن ابن عباس وقتادة تقيكم الحر ولم يقل وتقيكم البرد لان ما
وقى الحر وقى البرد وانما خص الحر بذلك مع ان وقايتها للبرد اكثر لان الذين خوطبوا بذلك اهل حر فى بلادهم فحاجتهم الى ما يقى الحر
اكثر عن عطا على ان العرب يكتفى بذكر احد الشيئين عن الآخر للعلم به كما قال الشاعر وما ادرى اذا يممت ارضا اريد الخير ايهما يلينى
فكنى عن الشر ولم يذكره لانه مدلول عليه ذكره الفراء وسرابيل تقيكم باسكم يعنى دروع الحديد تقيكم شدة الطعن والضرب وتدفع
عنكم سلاح اعدائكم كذلك اى مثل ما جعل لكم هذه الاشياء وانعم بها عليكم يتم نعمته عليكم يريد نعمة الدنيا ويدل عليه قوله
لعلكم تسلمون قال ابن عباس معناه لعلكم يا اهل مكة تعلمون انه لا يقدر على هذا غيره فتوحدوه وتصدقوا رسوله فان تولوا فانما
عليك البلاغ المبين هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وآله ومعناه فان اعرضوا عن الايمان بك يا محمد والقبول منك وعن التدبر لما عددته
فى هذه السورة من النعم وبينت فيها من الدلالات فلا عتب عليك ولا لوم فانما عليك البلاغ الظاهر وقد بلغت كما امرت
والبلاغ الاسم والتبليغ للمصدر مثل الكلام والتكليم ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اى يعرفون نعمة
الله تعالى عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم واكمال عقولهم وخلق انواع المنافع التى ينتفعون بها ثم انهم مع ذلك ينكرون
تلك ان تكون النعم من جهة الله تعالى خاصة بل يضيفونها الى الاوثان ويشكرون الاوثان عليها ويقولون رزقنا ذلك بشفاعة
آلهتنا فيشركونهم معه فيها وقيل معناه يعرفون محمدا وهو من نعم الله سبحانه ثم يكذبونه ويجحدونه عن السدى واكثرهم الكافرون
انما قال اكثرهم لان منهم من لم تقم الحجة عليه اذ لم يبلغ حد التكليف لصغره اذ كان ناقص العقل مؤفا او لم تبلغه الدعوة فلا يقع

٣٥



حزب ٣ جزو ١٤

عشر ١٩

عليه اسم الكفر وقيل انما ذكر الاكثر لانه علم سبحانه ان فيهم من يؤمن وقيل انه من الخاص فى الصيغة العام عن الجبائى وقريب منه قول الحسن اراد جميعهم الكافرون وانما عدل عن البعض احتقارا له ان يذكره وفى هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة انه ليس لله تعالى على الكافر نعم وان جميع ما نفعله بهم انما هو خذلان ونقمة لانه سبحانه نص فى هذه الآية على خلاف قولهم ويوم نبعث من كل امة شهيدا يعنى يوم القيمة بين سبحانه انه يبعث فيه من كل امة شهيدا وهم الانبياء والعدول من كل عصر يشهدون على الناس باعمالهم قال الصادق ع لكل زمان وامة امام يبعث الله كل امة مع امامها وفائدة بعث الشهداء مع علم الله سبحانه بذلك ان ذلك اهول فى النفس واعظم فى تصور الحال واشد فى الفضيحة اذا قامت الشهادة بحضرة الملأ مع جلالة الشهود وعدالتهم عند الله يشهدون عليهم بين يدى الخلايق فان علموا يكون زجرا لهم عن المعاصى وتقديره واذكر يوم نبعث ثم لا يؤذن للذين كفروا اى لا يؤذن لهم فى الكلام والاعتذار عن ابن عباس كما قال لا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل معناه لا يؤذن لهم فى الرجوع الى الدنيا وقيل معناه لا يسمع منهم العذر يقال اذنت له اى استمعت كما قال عدى بن زيد فى سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذى مشار عن ابى مسلم ولا هم يستعتبون اى لا يسترضون ولا يستصلحون كما كان يفعل بهم فى دار الدنيا لان الآخرة ليست بدار تكليف ومعناه لا يسئلون ان ترضوا الله بالكف عن المعصية التى ارتكبوها فاذا رأى الذين ظلموا العذاب معناه اذا رأى الذين اشركوا بالله تعالى النار فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اى لا يمهلون ولا يؤخرون بل عذابهم دايم فى جميع الاوقات فان وقت التوبة والندم قد فات النظم وجه اتصال قوله فان تولوا بما قبله انه سبحانه امر نبيه ان يذكرهم هذه النعم ويحتج عليهم بهذه الحجج فان اسلموا فذاك وان اعرضوا فلا شئ على الرسول الا البلاغ فقط ووجه اتصال الآية الاخيرة بما قبلها وهى قوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا انما اتصل بقوله فانما عليك البلاغ لان المعنى انا نجازيهم على اعمالهم يوم نبعث من كل امة شهيدا وقال ابو مسلم انه عطف على قوله والله خلقكم ثم يتوفيكم ثم يبعثكم يوم نبعث من كل امة شهيدا قوله تعالى

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ • وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ • الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ • وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ • إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

خمس آيات اللغة يقول القيت الشئ اذا طرحته والقى الشئ الملقى والقيت اليه مقالة اى قلتها له وتلقاها اذا قبلها والسلم الاستسلام والانقياد والتبيان والبيان واحد قال الازهرى العرب تقول بينت الشئ تبيينا وتبيانا المعنى ثم ابان سبحانه عن حال المشركين يوم القيمة فقال واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم يعنى الاصنام والشياطين والذين اشركوا مع الله فى العبادة وقيل سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من الزرع والانعام فهم اذا شركاؤهم على زعمهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اى يقولون هؤلاء شركاؤنا الذين اشركناهم معك فى الالهية والعبادة واضلونا عن دينك فحملهم بعض عذابنا فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون معناه فقالت الاصنام وساير ما كانوا يعبدون من دون الله بانطاق الله تعالى اياهم لهؤلاء انكم لكاذبون فى انا امرناكم بعبادتنا ولكنكم اخترتم الضلال بسوء اختياركم لانفسكم وقيل انكم لكاذبون فى قولكم انا آلهة والقاء المعنى الى النفس اظهاره لها حتى تدركه متميزا عن غيره والقوا الى الله يومئذ السلم معناه واستسلم المشركون وما عبدوهم من دون الله لامر الله وانقادوا لحكمه يومئذ عن قتادة وقيل معناه ان المشركين زال عنهم نخوة الجاهلية وانقادوا قسرا لا اختيارا واعترفوا بما كانوا ينكرونه من توحيد الله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون اى بطل ما كانوا يأملونه ويتمنونه من الامانى الكاذبة من ان آلهتهم تشفع لهم او تنفع الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اى اعرضوا عن دين الله وقيل صدوا غيرهم عن اتباع الحق الذى هو سبيل الله وقيل صدوا المسلمين عن البيت الحرام عن ابى مسلم زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون اى عذبناهم على صدهم عن دين الله زيادة على عذاب الكفر وقيل زدناهم الافاعى والعقارب فى النار لها انياب كالنخل الطوال عن ابن مسعود وقيل انهار من صفر مذاب كالنار يعذبون بها عن ابن عباس ومقاتل وقيل زيد حيات كامثال الفيلة والبخت وعقارب كالبغال الدلم عن سعيد بن جبير ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم اى من امثالهم من البشر ويجوز ان يكون ذلك الشهيد نبيهم الذى

ارسل اليهم ويجوز ان يكون المؤمنين العارفون يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي وفي هذا دلالة على ان كل عصر لا يجوز ان يخلو ممن
يكون قوله حجة على اهل عصره وهو عدل عند الله تعالى وهو قول الجبائى واكثر اهل العدل وهذا يوافق ما ذهب اليه اصحابنا وان خالفوهم
في ان ذلك العدل والحجة من هو وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء يريد على قومك وامتك وانما افرده بالذكر تشريفا له وتم الكلام ههنا ثم
قال سبحانه ونزلنا عليك الكتاب يعني القرآن تبيانا لكل شيء اي بيانا لكل امر مشكل ومعناه لتبيين كل شيء يحتاج اليه من امور الشرع فانه
ما من شيء يحتاج الخلق اليه في امور دينهم الا وهو مبين في الكتاب اما بالتنصيص عليه او بالاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله
عليه وآله والحجج القايمين مقامه او اجماع الامة فيكون حكم الجميع في الحاصل مستفادا من القرآن وهدى ورحمة اي ونزلنا عليك القرآن دلالة
على الرشد ونعمة على الخلق لما فيه من الشرايع والاحكام او لانه يؤدي الى نعم الآخرة وبشرى للمسلمين اي بشارة لهم بالثواب الدايم والنعيم المقيم
ان الله يأمر بالعدل وهو الانصاف بين الخلق والتعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل ولا عوج والاحسان الى الناس وهو التفضل
ولفظة الاحسان جامع لكل خير والاغلب عليه استعماله في الشرع بايتاء المال وبذل السعي الجميل وقيل العدل التوحيد والاحسان
اداء الفرايض عن ابن عباس وعطا وقيل العدل في الافعال والاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن وقيل
العدل ان ينصف وينتصف والاحسان ان ينصف ولا ينتصف وايتاء ذي القربى اي ويأمرهم باعطاء ذي القربى حقهم بصلتهم وهذا
عام وقيل ان المراد بذي القربى قرابة النبي صلى الله عليه وآله الذين ارادهم الله بقوله فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى على ما مر تفسيره
وهو المروي عن ابي جعفر ع قال نحن هم وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي انما جمع بين الاوصاف الثلثة في النهي مع ان الكل منكر فاحش ليبين بذلك
تفصيل ما نهى عنه لان الفحشاء قد يكون ما يفعلها الانسان في نفسه من القبيح مما لا يظهره والمنكر ما يظهره للناس مما يجب عليه انكاره والبغي
ما يتطاول به من الظلم لغيره وقيل ان الفحشاء الزنا والمنكر ما ينكره الشرع والبغي الظلم والكبر عن ابن عباس وقيل ان العدل استواء
السريرة والعلانية والاحسان ان تكون السريرة احسن من العلانية والفحشاء والمنكر ان تكون العلانية احسن من السريرة عن سفيان
بن عيينه يعظكم لعلكم تذكرون اي يعظكم بما تضمنت هذه الآية من مكارم الاخلاق لكي تتذكروا وتتفكروا وترجعوا الى الحق قال عبد الله
بن مسعود هذه الآية اجمع اية في كتاب الله وقال قتادة امر الله سبحانه بمكارم الاخلاق ونهاهم عن سفاسف الاخلاق وجاءت
الرواية ان عثمن بن مظعون قال كنت اسلمت استحياء من رسول الله صلى الله عليه وآله لكثرة ما كان يعرض على الاسلام ولم يقر الاسلام
في قلبي فكنت ذات يوم عنده حال تأمله فشخص بصره نحو السماء كانه يستفهم شيئا فلما سري عنه سألته عن حاله فقال نعم بينا انا احدثكم اذ
رأيت جبرائيل ع في الهواء فاتاني بهذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقراها علي الى آخرها فقر الاسلام في قلبي واتيت عمه ابا طالب
فاخبرته فقال يا آل قريش اتبعوا محمدا ترشدوا فانه لا يأمركم الا بمكارم الاخلاق واتيت الوليد بن المغيرة وقرات عليه هذه الآية فقال
ان كان محمد قاله فنعم ما قال وان كان ربه قاله فنعم ما قال قال فانزل افرأيت الذي تولى واعطى قليلا يعني قوله نعم ما قال ومعنى قوله واكدى
انه لم يقم على ما قاله وقطعه وعن عكرمة قال ان النبي صلى الله عليه وآله قرا هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخ اعد فاعاد
فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو قول البشر النظم وجه اتصال قوله ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء بما قبله انه سبحانه لما بين ان الانبياء تشهد على اممهم يوم القيمة بين عقيبه انه سبحانه قد كلف الجميع وازاح
علتهم من التكليف بان انزل القرآن بما فيه من البيان والهداية والرحمة والبشارة لاهل الايمان وانهم اذا عوقبوا فانما اتوا في ذلك من قبل
نفوسهم وهذا كله مما يدخل في الشهادة ووجه اتصال قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية بما قبلها انه سبحانه لما ذكر القرآن بين عقيبه
ما يأمر به وينهى عنه فيه وقيل انه يتصل بقوله يوم نبعث كانه قال بعد ذكر القيمة والشهود انه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم فاعلم انه
سبحانه لا يظلم لحد ابل يعدل ويتفضل ولذلك جاء بالشهود ليشهدوا على اممهم انهم اتوا فيما لاقوه من العذاب من قبل انفسهم
قوله تعالى وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ
وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ
لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ

بعد

عما كنتم تعملون ﴿ ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ﴾

اربع آيات اللغة التوكيد التشديد واوكد العقد اى شده ولغة اهل الحجاز واهل نجد يقولون اكدت تاكيدا والانكاث الانقاض
واحدها نكث والنكث مصدر وهذا قول لا نكثته فيه اى لا خلف فيه وكل شيء نقض بعد الفتل فهو انكاث حبلا كان او غزلا والحبل منتكث
اى منتقض ومنه سموا من تابع الامام طائعا ثم خرج عليه ناكثا لانه نقض ما وكد على نفسه بالايمان والعهود كفعل الناكثة غزلها والدخل
ما ادخل فى الشيء على فساد وقيل الدخل الدغل والخديعة وانما قيل الدخل لان داخل القلب على ترك الوفاء والظاهر على الوفاء قال ابو عبيدة
كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل وكل ما دخله عيب فهو مدخول واربى افعل من الربوا وهو الزيادة ومنه الربوة والربا فى المال واربى فلان للزيادة
التى يزيدها على غريمه فى راس ماله قال الشاعر واسمر خطيا كان كعوبه نوى القسب قد اربى ذراعا على العشر الاعراب انكاثا منصوب لانه فى معنى
المصدر دخلا بينكم منصوب لانه مفعول له والمعنى تتخذون ايمانكم للدغل والغش وقوله ان تكون امة على تقدير بان تكون امة وهى اربى موضع اربى
رفع مبتدا وخبر وكلاهما فى محل النصب بانه خبر كان وقال الفراء ان موضع اربى نصب وهى عماد وهذا لا يجوز لان الفصل الذى تسميه الكوفيون عمادا
لا يدخل بين النكرة وخبره وقد اخطا ايضا بان شبه ذلك بقوله تجدوه عند الله هو خيرا فان الهاء فى تجدوه معرفة
وهنا امة نكرة فلا يشبه ذلك ويجوز ان يكون الجملة صفة لامة ولا يحتاج يكون الخبر لانه بمعنى يحدث ويقع وامة فاعله وتقديره كراهة ان تكون
فهو مفعول له ولئلا يكون عند الكوفيين المعنى لما تقدم ذكر الامر بالعدل والاحسان والنهى عن المنكر والعدوان عقبه سبحانه بالامر
بالوفاء بالعهد والنهى عن نقض الايمان فقال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم قال ابن عباس الوعد من العهد وقال المفسرون العهد الذى
يجب الوفاء به هو الذى يحسن فعله وعاهد الله ليفعلنه فانه يصير واجبا عليه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها هذا نهى منه سبحانه
عن حنث الايمان وهو ان ينقضها بمخالفة موجبها وارتكاب ما يخالف عقدها وقوله بعد توكيدها اى بعد عقدها وابرامها وتوثيقها
باسم الله تعالى وقيل بعد تشديدها وتغليظها بالعزم والعقد على اليمين بخلاف لغو اليمين عن ابى مسلم وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اى حسيبا
فيما عاهدتموه عليه وقيل كفيلا بالوفاء وذلك ان من حلف بالله فكانه اكفل الله بالوفاء بما حلف عليه وقيل انه قولهم الله على كفيل او
وكيل وقيل اراد به ان الكفيل بالشيء يكون حافظا له والانسان انما يوكد الامر على نفسه بذكر اسم الله تعالى على جهة اليمين ليحفظ سبحانه ذلك
الامر ان الله يعلم ما تفعلون من نقض العهد والوفاء به واياكم ان تلغوه وقد نقضتم وهذه الآية نزلت فى الذين بايعوا النبى ص على
الاسلام فقال سبحانه للمسلمين الذين بايعوه لا يحملنكم قلة المسلمين وكثرة المشركين على نقض البيعة فان الله تعالى حافظكم اى اثبتوا
على ما عاهدتم عليه الرسول واكدتموه بالايمان وقيل نزلت فى قوم حالفوا قوما فجاءهم قوم وقالوا نحن اكثر منهم واعز واقوى فانقضوا
ذلك العهد وحالفونا ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة اى لا تكونوا كالمراة التى غزلت ثم نقضت غزلها من بعد امرار وقيل
ناقضة الغزل هى امراة حمقاء من قريش كانت تغزل مع جواريها الى انتصاف النهار ثم تامرهن ان ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دابها
واسمها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وكانت تسمى خرقاء مكة عن الكلبى وقيل انه مثل ضربه الله تعالى شبه فيه ناقض
العهد لمن كان كذلك انكاثا جمع نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم ثم ينكث وينقض ليغزل ثانية تتخذون ايمانكم دخلا بينكم
اى دغلا وخيانة ومكرا وذلك انهم كانوا يحلفون فى عهودهم ويضمرون الخيانة وكان الناس يسكنون الى عهدهم ثم ينقضون العهد فقد
اتخذوا ايمانهم مكرا وخيانة ان تكون امة هى اربى من امة اى لا تنقضوا العهد لسبب ان يكون قوم اكثر من قوم وامة اعلى من امة ولاجل ذلك و
تقديره ولا تنكثوا ايمانكم متخذيها دغلا وعذرا وخديعة لمداراتكم قوما هم اكثر عددا ممن حلفتم لهم او لغلبتكم وكثرتكم بل عليكم الوفاء بما حلفتم
والحفظ لما عاهدتم عليه انما يبلوكم الله به اى يختبركم الله بالامر بالوفاء والهاء فى به عائدة على الامر وتحقيقه انه يعاملكم معاملة المختبر ليقع
الجزاء بحسب العمل وليبين اى ليفصلن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه اى فى صحته تختلفون وليظهر لكم حكمه حتى تعرفوا الحق من الباطل ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة اى لجعلكم مهتدين يعنى به مشية القدرة كما قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولكن يضل من يشاء بالخذلان او بالحكم
عليه بالضلال ويهدى من يشاء بالتوفيق او بالحكم عليه بالهداية وقد ذكرنا معانى الضلال والهداية فى سورة البقرة ولتسئلن عما كنتم تعملون من
الطاعات والمعاصى فتجازون على كل منهما بقدره ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم نهى سبحانه عن الحلف على امر يكون باطنه بخلاف ظاهره فيضمر

خلاف ما يضمر اى بغرض الحلف والحنث فيه فتزل قدم بعد ثبوتها هذا مثل ضربه الله تعالى ومعناه فتضلوا عن الرشد بعد ان تكونوا على هدى
يقال زل قدم فلان فى امر كذا اذا عدل عن الصواب وقيل معناه فيسخط الله عليكم بعد رضاه عنكم لان ثبات القدم يكون برضا الله سبحانه و
زلة القدم تكون بسخطه وقيل انها نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله على نصرة الاسلام واهله فنهوا عن نقض ذلك وتذوقوا
السوء بما صددتم عن سبيل الله اى تذوقوا العذاب بما منعتم الناس عن اتباع دين الله ولكم مع ذلك عذاب عظيم يريد عذاب الاخرة وروى
عن سلمان الفارسى انه قال تهلك هذه الامة بنقض مواثيقها وروى عن ابى عبد الله ع انه قال نزلت هذه الآيات فى ولاية على ع وما كان من
قول رسول الله صلى الله عليه وآله سلموا على على بامرة المؤمنين النظم وجه اتصال قوله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة الاية بما قبله
انه اخبر فى الآية المتقدمة انه يبين لهم فى الآخرة الحق من الباطل والمحق من المبطل ببيان ضرورى واخبر عقيب ذلك انه يقدر على ذلك ايضا
فى الدنيا ولكنه لم يفعل ذلك ليستحق الناس الثواب باعمالهم قوله تع وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ
ست آيات القراءة قرا ابو جعفر وابن كثير وعاصم ولنجزين بالنون والباقون بالياء وروى عباس عن ابى عمرو بالنون ايض الحجة حجة
الياء وما عند الله باق والنون فى المعنى مثل الياء اللغة النفاد الفناء نفد الشىء ينفد نفادا اذا فنى وانفد القوم اذا فنى زادهم ونافذت
الرجل مثل حاكمته ومعناه يرجع الى ان كل واحد من الخصمين يريد نفاد حجة الآخر ومنه الحديث ان نافدتهم نافدوك ومن الناس من يرويه
بالقاف والمعنى ان قلت قالوا لك والباقى هو الموجود المستمر وجوده وقيل الموجود عن وجود من غير فصل وضده الفانى وهو المعدوم بعد الوجود
واختلف المتكلمون فى الباقى فقال البلخى انه يبقى بمعنى هو بقاء وقال الاكثرون لا يحتاج الى معنى يبقى والبقاء هو استمرار الوجود والاستعاذة
طلب المعاذ استفعال من العوذ والعياذ والله سبحانه معاذ من عاذ به وقال النبى صلى الله عليه وآله للمراة التى قالت له اعوذ بالله منك
لقد عذت بمعاذ فالحقى باهلك واصل السلطان من التسلط وهو القهر وانما سميت الحجة سلطانا لان الخصم يقهر بها وقيل انه مشتق من السليط
وهو دهن الزيت وسميت الحجة سلطانا لاضاءتها وفى الحديث عن ابن عباس رايت عليا وكان عينيه سراجا سليط الاعراب ما عند الله اسم
ان وهو فصل وخير خبره وما عندكم مبتداء وينفد خبره وكذلك ما عند الله باق وانما قال ولنجزينهم بلفظ الجمع لان لفظ من يقع على الواحد والجمع
فرد الضمير على المعنى النزول قال ابن عباس ان رجلا من حضرموت يقال له عبدان الاشوع قال يا رسول الله ان امرء القيس الكندى جاورنى
فى ارضى فاقتطع من ارضى فذهب بها منى والقوم يعلمون انى لصادق ولكنه اكرم عليهم منى فسال رسول الله صلى الله عليه وآله امرء
القيس عنه فقال لا ادرى ما يقول فامره ان يحلف فقال عبدان انه فاجر لا يبالى ان يحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لم يكن لك
شهود فخذ بيمينه فلما قام ليحلف انظره فانظر فانزل قوله ولا تشتروا بعهد الله الآيتان فلما قراهما رسول الله صلى الله عليه وآله قال امرء القيس
اما ما عندى فينفد وهو صادق فيما يقول لقد اقتطعت ارضه ولا ادرى كم هى فليأخذ من ارضى ما شاء ومثلها معها بما اكلت من ثمرها
فنزل فيه من عمل صالحا الاية المعنى لما قدم النهى عن نقض العهد اكده سبحانه فقال ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا اى لا تخالفوا
عهد الله بسبب شىء يسير تنالونه من حطام الدنيا فتكونوا قد بعتم عظيم ما عند الله على الوفاء بالشىء الحقير انما عند الله هو خير لكم معناه
ان الذى عند الله من الثواب على الوفاء بالعهود خير لكم واشرف مما تاخذونه من عرض الدنيا على نقضها فان القليل الذى يبقى خير من الكثير الذى
يفنى فكيف بالكثير الذى يبقى فى مقابلة القليل الذى يفنى ان كنتم تعلمون الفرق بين الخير والشر والتفاوت الذى بين القليل الفانى والكثير
الباقى ما عندكم ينفد وما عند الله باق بين الله سبحانه بهذا ان العلة التى لاجلها كان الثواب خيرا من متاع الدنيا هو ان الثواب الذى عند الله
يبقى والذى عندكم من نعيم الدنيا يفنى ثم اخبر سبحانه انه يجزى الصابرين فقال ولنجزى الذين صبروا اى ولنكافين الذين ثبتوا على الطاعات
وعلى الوفاء بالعهود واجرهم وثوابهم باحسن ما كانوا يعملون اى بالطاعات من الواجبات والمندوبات فان افعال المكلف قد تكون
طاعة وقد تكون مباحا لا يقع الجزاء عليه اذ لا يستحق عليه اجر ولا حمد فلذلك قال سبحانه باحسن فان الطاعة احسن من المباح وهذا

خمس

عشر ١٩

يدل على فساد قول من يقول انه لا يكون حسن لحسن من حسن من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن هذا وعد من الله سبحانه ان من

عمل عملا صالحا سواء كان ذكرا او انثى وهو مع ذلك مؤمن مصدق بتوحيد الله تعالى مقر بصدق انبيائه فلنحيينه حيوة طيبة قيل فيه اقوال

احدها ان الحيوة الطيبة الرزق الحلال عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا وثانيها انها القناعة والرضا بما قسم الله تعالى عن الحسن ووهب

وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وثالثها انها الجنة عن قتادة ومجاهد وابن زيد قال الحسن لا يطيب لاحد حيوة الا في الجنة وقال ابن زيد

الا ترى الى قوله يا ليتني قدمت لحيوتي ورابعها انها رزق يوم بيوم وخامسها انها حيوة طيبة في القبر ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون

مر تفسيره وانما كرره تاكيدا فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم المطرود الملعون وهذا كما يقال اذا اكلت فاغسل

يديك واذا صليت فكبر ومنه اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم والاستعاذة استدفاع الادنى بالاعلى على وجه الخضوع والتذلل

وتأويله استعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل وفي التاويل من الخطل والاستعاذة عند التلاوة

مستحبة غير واجبة بلا خلاف في الصلوة وخارج الصلوة وقد تقدم ذكر اختلاف القراء في لفظ الاستعاذة في اول الفاتحة انه يعني

الشيطان ليس له سلطان اي تسلط وقدرة على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والمعنى انه لا يقدر على ان يكرههم على الكفر و

المعاصي وقيل معناه ليس له حجة على ما يدعوهم اليه من المعاصي عن قتادة انما سلطانه على الذين يتولونه معناه انما تسلطه على

الذين يطيعونه فيقبلون دعاءه ويتبعون اغواءه والذين هم به اي بسبب طاعته مشركون بالله وقيل معناه والذين هم بالله مشركون

اي يشركون مع الله سبحانه غيره في العبادة عن مجاهد النظم اتصل قوله فاذا قرات القرآن الايات بما قدمه سبحانه من الامر

بالطاعات فعقب ذلك بالاستعاذة من الشيطان الآمر بالمعاصي تحذيرا منه وانما خص بالقرآن لان القرآن هو العمدة في جميع امور

الدين وقيل اتصل بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ثم اعترض ذكر الاوامر والنواهي ثم عاد الكلام الى ذكر القرآن والامر بالاستعاذة

عند قراءته قوله تعالى وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • قُلْ نَزَّلَهُ

رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ • وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي

يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ • إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • إِنَّمَا

يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ • هي خمس آيات القراءة قرا يلحدون بفتح الياء اهل الكوفة غير عاصم

والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء وروى في الشواذ عن الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بالالف واللام الحجة حجة من قرا

يلحدون قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم ومن قرا يلحدون فلانه لحد لغة في الحد وذلك اذا مال ومنه اخذ اللحد لانه في جانب القبر ويكون

الضم ارجح من حيث لغة التنزيل اللغة التبديل في اللغة رفع الشيء مع وضع غيره مكانه يقال بدله وابدله واستبدل به بمعنى واللسان

العضو المعروف ويقال لغة اللسان وتقول العرب للقصيدة هذه لسان فلان قال الشاعر لسان السوء تهديها الينا وحنت وما

حسبتك ان تحينا المعنى ثم قال سبحانه مخبرا عن احوال الكفار واذا بدلنا آية مكان آية معناه واذا نسخنا آية وآتينا مكانها بآية اخرى

اما نسخ الحكم والتلاوة واما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة والله اعلم بما ينزل معناه والله اعلم بمصالح بما ينزل فينزل كل وقت ما توجبه المصلحة

وقد تختلف المصالح باختلاف الاوقات كما تختلف باختلاف الاجناس والصفات قالوا انما انت مفتر ياقي قال المشركون انما انت

كاذب على الله قال ابن عباس كانوا يقولون يسخر محمد باصحابه يامرهم اليوم بامر وغدا بامر وانه لكاذب يأتيهم بما يقول من عند نفسه بل

اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون انه من عند الله او لا يعلمون جواز النسخ ولاي وجه النسخ قل يا محمد نزله روح القدس اي نزل الناسخ

جبرائيل من ربك بالحق اي بالامر الحق الصحيح الثابت ليثبت الذين آمنوا بما فيه من الحجج والايات فيزدادوا تصديقا ويقينا ومعنى تثبيته

استدعاؤه لهم بالطاعة ومعونته الى الثبات على الايمان والطاعة والهدى اي وهو هدى فيكون هدى خبر مبتداء محذوف

وبشرى للمسلمين اي بشارة لهم بالجنة والثواب ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يقول سبحانه انا نعلم ان الكفار يقولون ان

القرآن ليس من عند الله وانما يعلم النبي بشر قال ابن عباس قالت قريش انما يعلمه بلعام وكان قينا بمكة روميا نصرانيا وقال الضحاك اراد به

سلمان الفارسي قالوا انه تعلم القصص منه وقال مجاهد وقتادة اراد به عبدا لبني الحضرمي روميا يقال له يعيش او عايش صاحب كتاب

من الشيطان الرجيم معناه اذا اردت يا محمد قراءة القرآن فاستعذ بالله ص

اسلم واحسن اسلامه وقال عبيد الله بن مسلم كانا غلامان نصرانيان من اهل عين التمر اسم احدهما يسار واسم الآخر خير كانا صيقلين
يقرآن كتابا لهم بلسانهم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ربما مر بهما واستمع لقرآءتهما فقالوا انما يتعلم منهما ثم الزمهم الله تعالى
الحجة واكذبهم بان قال لسان الذي يلحدون اليه اعجمي اى لغة الذي يضيفون اليه التعليم ويميلون اليهم القول اعجمية ولم يقل العجمي لان
العجمي هو المنسوب الى العجم وان كان فصيحا والاعجمي هو الذي لا يفصح وان كان عربيا الا ترى ان سيبويه كان عجميا وان كان لسانه لسان
اللغة العربية وقيل يلحدون اليه يومون اليه ويزعمون انه يعلمك اى لسان هذا البشر الذي يقولون انه يعلمك لا يفصح ولا يتكلم بالعربية
فكيف تتعلم منه ما هو في اعلى طبقات البيان وهذا القرآن لسان عربي مبين اى ظاهر بين لا يتشكل واذا كانت العرب تعجز عن الاتيان
بمثله وهو بلغتهم فكيف تأتي العجم بمثله قال الزجاج وصفه بانه عربي اى صاحبه يتكلم بالعربية ثم اتبع تعالى هذه الآية بذكر الوعيد
للكفار على ما قالوه فقال ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اى بحجج الله التي اظهرها والمعجزات التي صدقوا بها قومك يا محمد لا يهديهم الله ولهم
عذاب اليم اى لا يثبتهم على الايمان ولا يهديهم على طريق الجنة بدلالة انه انما نفى هداية من لا يؤمن فالظاهر انه اراد بذلك الهدى الذي
يكون ثوابا على الايمان لا الهداية التي في قوله فاما ثمود فهديناهم ثم بين سبحانه ان هؤلاء هم المفترون فقال انما يفتري الكذب الذين لا
يؤمنون بآيات الله اى انما يخترع الكذب الذين لا يصدقون بدلائل الله تعالى دون من آمن بها لان الايمان يحجز عن الكذب واولئك
هم الكاذبون لا انت يا محمد فخص فيهم الكذب بمعنى ان الكذب لازم لهم وعادة من عاداتهم وهذا كما تقول كذبت وانت كاذب
فيكون قولك وانت كاذب زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية زجر عن الكذب حيث اخبر سبحانه انه انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
وقد روي مرفوعا انه قيل يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله
المؤمن يكذب قال لا ثم قرأ الآية النظم قيل في اتصال قوله واذا بدلنا آية بما تقدمه وجهان احدهما انه من تمام صفة اولياء الشيطان
المذكورين في قوله على الذين يتولونه وتقديره يتولون الشيطان ويشركون بالآية المنزلة ويقولون عند تبديل الآية مكان الآية الاخرى
انما انت مفتر والآخر ان الآية منقطعة عما قبلها وهي معطوفة على الآي المتقدمة التي فيها وصف افعال الكافرين والاول اوجه

قوله تعالى مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ
الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ خمس آيات القراءة

قرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء والتاء والباقون بضم الفاء وكسر التاء الحجة قال ابو علي من قرأ فتنوا ان الآية في المستضعفين المقيمين كانوا
بمكة وهم صهيب وعمار وبلال فتنوا وحملوا على الارتداد عن دينهم فمنهم من اعطى التقية عمار وغيره فانه ممن اظهر ذلك تقية ثم هاجروا
ومن قرأ فتنوا فيكون على معنى فتن نفسه باظهار ما يظهر من التقية وكانه يحكي الحال التي كانوا عليها من اظهار ما اخذوا به للتقية
لان الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد وهي قوله ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله الا المستضعفين وقوله من كفر بالله من
بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان الاعراب قال الزجاج قوله من كفر بالله في موضع رفع على البدل من الكاذبين وهو
تفسير للكاذبين ولا يجوز ان يكون رفعا بالابتداء لانه لا خبر هنا للابتداء فان قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان ليس بكلام تام وقوله فعليهم غضب من الله خبر قوله من شرح بالكفر صدرا وقال الكوفيون من كفر شرط وجوابه يدل
عليه جواب من شرح فكانه قيل من يكفر فعليه غضب من الله وهذا كقولهم من يأتنا فمن يحسن نكرمه فجواب الاول محذوف وقوله
انهم في الآخرة هم الخاسرون يجوز ان يكون في موضع رفع على ان يكون قوله لا من لا جرم رد الكلام والمعنى وجب انهم ويجوز ان
يكون في موضع نصب على ان يكون المعنى جرم فعلهم هذا انهم الخاسرون وتكون لا مزيدة ويجوز ان يكون معناه لا بد انهم فيكون على حذف
الجار اى لا بد من ذلك غفور رحيم وهذا من باب ما جاء في التنزيل ان مكررا وكذلك الآية التي تأتي بعد ثم ان ربك للذين عملوا السوء الآية
النزول قيل نزل قوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان في جماعة اكرهوا وهم عمار وياسر ابوه وامه سمية وصهيب وبلال وخباب

عشر ٢٠

ثم ان ربك خبر ان قوله

علبدا

عذبوا وقيل ابو عمار وامه فاعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا منه ثم اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال قوم كفر عمار فقال عليه
كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وجاء عمار الى رسول الله ص وهو يبكي فقال ص ما وراءك قال شر
يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير فجعل رسول الله ص يمسح عينيه ويقول له ان عادوا لك فعد لهم بما قلت
فنزلت الآية عن ابن عباس وقتادة وقيل نزلت في ناس من اهل مكة آمنوا وخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش وفتنوهم فتكلموا بكلمة
الكفر كارهين عن مجاهد وقيل ان ياسرا وسمية ابوي عمار اول شهيدين في الاسلام وقوله من كفر بالله ومن شرح بالكفر صدرا هو عبد الله بن سعد بن
ابي سرح من بني عامر بن لوي واما قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الآية فقيل انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وغيرهم من اهل مكة
فتنهم المشركون فاعطوهم ما ارادوا ثم انهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا فنزلت الآية فيهم المعنى من كفر بالله من بعد ايمانه اختلف في تقديره
فقيل ان تقديره والتخليص معناه من كفر بالله بان يرتد عن الاسلام وشرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب اليم الا من اكره وتكلم
بكلمة الكفر على وجه التقية مكرها وقلبه مطمئن اي ساكن بالايمان ثابت عليه فلا حرج عليه في ذلك وقيل انه متصل بما تقدم فمعناه انما يفتري
الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه ثم استثنى من ذلك من اكره على ذلك وكان مطمئن القلب الى الايمان في باطنه فانه بخلافه ولكن من
اتسع قلبه للكفر وطابت نفسه به فعليه غضب من الله وله العذاب في الآخرة ثم اشار سبحانه الى العذاب العظيم فقال ذلك بانهم استحبوا اي
آثروا الحيوة الدنيا والتلذذ فيها والركون اليها على الآخرة يعني بذلك انهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلبا لها دون طلب الآخرة وان الله لا يهدي
القوم الكافرين قد سبق معناه اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم قد سبق معنى الطبع على القلوب والسمع
والابصار في سورة البقرة واولئك هم الغافلون وصفهم بعموم الغفلة مع ان الخواطر تزعجهم بجهلهم عما يؤدي اليه حالهم في الآخرة وقيل
المراد انهم بمنزلة الغافلين فيكون تجهيلا لهم وذما ثم قال لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون هذا تاكيد الحكم بالخسار عليهم يعني انهم المغبونون
اذ حرموا الجنة ونعيمها وعذبوا بالنار ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا في الله وارتدوا على الكفر فاعطوهم بعض ما ارادوا
ليسلموا من شرهم ثم جاهدوا مع النبي صلى الله عليه وآله وصبروا على الدين والجهاد ان ربك من بعدها اي من بعد تلك الفتنة او تلك
الفعلة التي فعلوها من التفوه بكلمة الكفر لغفور رحيم النظم اتصلت هذه الآية الاخيرة بقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
فبين سبحانه حالهم بعد ما تخلصوا من المشركين وهاجروا وجاهدوا عن ابي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر الخاسرين اتبعه سبحانه بذكر
من ربحت صفقته وهو من هاجر وجاهد قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون
وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع
والخوف بما كانوا يصنعون ۞ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون ۞ فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ۞ انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن
اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ۞ خمس آيات القراءة قرأ عباس بن الفضل عن ابي عمرو والخوف بالنصب والباقون
بالجر وفي الشواذ قراءة ابن الاعرج وابي نعيم وابن اسحق وعمرو بن نعيم بن ميسرة لما تصف السنتكم الكذب بالجر وقراءة مسلمة بن محارب الكذب
الحجة من قرأ والخوف بالنصب فانه حمله على الاذاقة والخوف لا يذاق على الحقيقة فحمله على اللباس اولى وقوله والكذب بالجر يكون على
البدل مما تصف واما الكذب فهو وصف الالسنة وهو جمع كاذب او كذوب اللغة الانعم جمع نعمة فهو مثل شدة واشد وقيل ان واحدها
نعم فهو كغصن واغصن وقيل واحدها نعماء فيكون كبأساء وابؤس وقوله اذاقها الله استعارة تقول العرب اركب هذا الفرس وذقه اي
اختبره قال الشماخ فذاق فاعطته من اللين جانبا كفى ولها ان يغرق السهم حاجز يصف قوسا وقال آخر وان الله ذاق حلوم قيس فلما راه
خفتها قلاها الاعراب يوم تأتي منصوب على احد شيئين اما على معنى ان ربك لغفور رحيم يوم تأتي واما ان يكون على معنى العظة والتذكير
اذكر يوم تأتي عن الزجاج المعنى يوم تأتي كل نفس ان تدبر يوم القيمة تجادل عن نفسها اي تجادل الملائكة عن نفسها وتحتج بما ليس فيه حجة
فتقول والله ربنا ما كنا مشركين ويقول اتباعهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ويحتمل ان يكون المراد انها تحتج عن نفسها بما
تقدر به ازالة العقاب عنها ثم توفى كل نفس ما عملت اي جزاء ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون في ذلك وضرب الله مثلا قرية اي مثل

قرية كانت آمنة اى ذات امن يأمن فيها اهلها لا يغار عليهم مطمئنة قارة ساكنة باهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها لخوف او ضيق يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان اى يحمل اليها الرزق الواسع من كل مضيق ومن كل بلد كما قال سبحانه يجبى اليه ثمرات كل شىء فكفرت بانعم الله اى فكفرت
اهل تلك القرية بانعم الله ولم يؤدوا شكرها فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون اى فاخذهم الله بالجوع والخوف بصنعهم وسوء
فعالهم وسمى اثر الجوع والخوف لباسا لان اثر الهزال والجوع فظهر على الانسان كما يظهر اللباس وقيل انهم شملهم الجوع كما يشمل اللباس للبدن
وقيل ان هذه القرية هى مكة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى اكلوا القد والعلهز وهو الوبر يخلط
بالدم والقراد ثم يؤكل وهم مع ذلك خائفون وجلون من النبى صلى الله عليه وآله واصحابه يغيرون عليهم قوافلهم وذلك حين دعا النبى ص
عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسنين يوسف وقيل انها كانت قرية قبل النبى صلى الله عليه وآله بعث الله
اليهم نبيا فكفروا بذلك النبى وقتلوه فعذبهم الله بعذاب الاستئصال ولقد جاءهم رسول منهم يعنى اهل مكة بعث الله اليهم رسولا من صميمهم
لا من غيرهم فكذبوه وجحدوا نبوته فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى فى حال كونهم ظالمين وعذابهم ما حل بهم من الخوف والجوع المذكورين
فى الآية المتقدمة وما نالهم يوم بدر وغيره من القتل ومن قال ان المراد بالقرية غير مكة قال ان هذه صورة القرية المذكورة ثم خاطب سبحانه
المؤمنين فقال فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا صيغته صيغة الامر والمراد به الاباحة اى كلوا مما اعطاكم الله من الغنائم واحلها لكم واشكروا
نعمة الله فيما خلقه لكم واحله لكم ان كنتم اياه تعبدون وهذه الآية مع التى بعدها مفسرة فى سورة البقرة قوله تعالى وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ
أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ أربع آيات الاعراب متاع قليل
خبر مبتدأ محذوف تقديره متاعهم هذا الذي فعلوه متاع قليل وتم الكلام عند قوله لا يفلحون المعنى لما تقدم ذكر ما احل الله سبحانه لهم
وحرمه عليهم عقبه سبحانه بالنهى عن مخالفة اوامره ونواهيه فى التحليل والتحريم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
اى لا تقولوا لما احللتموه بانفسكم مثل الميتة هذا حلال ولما حرمتموه مثل السائبة هذا حرام لتفتروا على الله الكذب اى لتكذبوا على الله فى
اضافة التحريم اليه ان الذين يفترون على الله الكذب اى لا يخلصون من عذاب الله ولا ينالون خيرا متاع قليل الذى هم فيه من الدنيا شىء قليل
ينتفعون به اياما قلائل ولهم عذاب اليم فى الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعنى بذلك ما ذكره فى سورة الانعام
نزلت قبل هذه الآية وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالعصيان والكفر بنعم الله تعالى والجحود بانبيائه فاستحقوا بذلك
تحريم هذه الاشياء عليهم لتغير المصلحة عند كفرهم وعصيانهم ثم ذكر سبحانه التائبين بعد تقدم الوعد والوعيد فقال ثم ان ربك الذى خلقك
يا محمد للذين عملوا السوء اى المعصية بجهالة اى بداعى الجهل فانه يدعو الى القبيح كما ان داعى العلم يدعو الى الحسن وقيل بجهالة السيئات
او بجهالتهم للعاقبة وقيل بجهالة انها سوء وقيل الجهالة هو ان يعجل بالاقدام عليها ويعد نفسه التوبة منها ثم تابوا عن تلك المعصية من
بعد ذلك واصلحوا نياتهم وافعالهم ان ربك من بعدها اى من بعد تلك التوبة والجهالة او المعصية لغفور رحيم قوله ان ربك
للتأكيد وليعود الضمير فى قوله من بعدها الى الجهالة النظم انما اتصل قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك بما تقدم ذكره من
التحريم والتحليل ليبين انهم كانوا يحللونه ويحرمونه بزعمهم ليس فى التورية كما انه ليس ذلك فى القرآن وقيل ليبين انه انما لم يحرم على اليهود جميع
الطيبات مع عصيانهم فكيف يحرم على المسلمين ذلك قوله تعالى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا
لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ
اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
خمس آيات المعنى ان ابراهيم كان امة اختلف فى معناه فقيل قدوة معلما للخير قال ابن الاعرابى يقال للرجل العالم امة وهو قول
اكثر المفسرين وقيل اراد امام هدى عن قتادة وانما سماه امة لان قوام الامة كان به وقيل يعمل عمل امة وقيل لانه انفرد فى دهره بالتوحيد فكان
مؤمنا وحده دون الناس عن مجاهد قانتا لله اى مطيعا له دائما على عبادته عن ابن مسعود وقيل مصليا عن الحسن حنيفا اى مستقيما على

ع ٢١

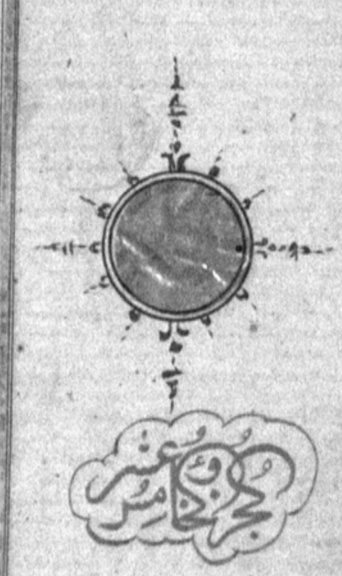
عشر

الطاعة وطريق الحق وهو الاسلام ولم يك من المشركين بل كان موحدا شاكرا لانعمه اى لانعم الله معترفا بها اجتباه اى اختاره الله
واصطفاه وهداه الى صراط مستقيم اى دله الى الدين المستقيم وهو الاسلام والتوحيد وآتيناه اى اعطيناه فى الدنيا حسنة اى نعمة
سابغة فى نفسه وفى اولاده وهو قول هذه الامة كما صليت على ابرهيم وآل ابرهيم وقيل هى النبوة والرسالة عن الحسن وقيل هى انه ليس
من اهل دين الا وهو يرضاه ويتولاه عن قتادة وقيل هى نبوته الله يذكره لطاعته لربه ومسارعته الى مرضاته حتى صار اماما يقتدى به
ويهتدى بهداه وقيل هى اجابة الله دعوته حتى اكرم بالنبوة ذريته وانه فى الآخرة لمن الصالحين ولم يقل لفى اعلا منازل الصالحين مع
اقتضاء حاله ذلك ترغيبا للصالحين فانه عز اسمه بين انه ع من جملة الصالحين مع علو مرتبته وشرف منزلته تشريفا وتنويها
بذكر من هو منهم وناهيك بهذا الترغيب فى الصلاح وبهذا المدح لابرهيم ان يشرف جملة هو منها حتى يصير الاستدعاء اليها بانه فيها ثم
اوحينا اليك يا محمد ان اتبع ملة ابرهيم اى امرناك باتباع ملة ابرهيم حنيفا مستقيم الطريقة فى الاستدعاء الى توحيد الله وخلع الانداد له
وفى العمل بسنته وما كان ابرهيم من المشركين ومتى قيل ان نبينا ع كان افضل منه فكيف امر الفاضل باتباع المفضول فجوابه ان ابرهيم
سبق الى اتباع الحق ولا يكون فى سبق المفضول الى متابعة الحق زراية على الفاضل فى اتباعه انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه
فمعناه انما جعل السبت لعنة ومسخا على الذين اختلفوا فيه فحرموه ثم استحلوه فلعنهم الله ومسخهم عن الحسن ويجوز ان يكون اختلافهم
فيه انهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة ودخل السمك فيه يوم السبت واخذوه يوم الاحد وقيل معناه انما فرض
تعظيم السبت على الذين اختلفوا فى امر الجمعة وهم اليهود والنصارى وكانوا قد امروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عما امروا فيه عن مجاهد وابن
زيد وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى فقال بعضهم السبت اعظم الايام لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء
وقال آخرون بل الاحد اعظم لانه ابتدأ الخلق للاشياء فيه فهذا اختلافهم وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
من امور دينهم ويفصل بين المحق والمبطل منهم النظم وجه اتصال الآية الاخيرة بما قبلها انه سبحانه لما امر باتباع الحق حذر من
الاختلاف فيه بما ذكر من احوال المختلفين فى السبت كيف شدد عليهم فرضه وضيق عليهم امره وقيل انه سبحانه رد على اليهود والنصارى
دعواهم ان ابرهيم كان منهم ثم رد عليهم فى هذه الآية ما ادعوه من تعظيم امر السبت وانه لا يجوز نسخه كما رد عليهم ذلك عن ابى مسلم
قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك
الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اربع آيات القراءة قرأ ابن كثير
وحده فى ضيق بكسر الضاد وكذلك فى النمل والباقون بفتح الضاد الحجة قال الزجاج من فتح اراد ضيق مخفف مثل سيد وهين
ولين فى سيد وهين ولين ويجوز ان يكون بمعنى الضيق فيكون مصدرا قال ابو الحسن الضيق والضيق لغتان فى المصدر قال ابو علي
ينبغي ان يحمل على انه مصدر لانك اذا حملته على انه مخفف من ضيق فقد اقمت الصفة مقام الموصوف من غير ضرورة والمعنى لا تك فى ضيق
اى لا يضيق صدرك من مكرهم كما قال وضائق به صدرك وليس المراد لا تكن فى امر ضيق وقال ابو عبيد الضيق بالكسر فى المعاش و
المسكن والضيق بالفتح فى القلب وقال على بن عيسى يقال فى صدرى ضيق من هذا الامر بالفتح وهو اكثر من الكسر المعنى ثم امر سبحانه
نبيه بالدعاء الى الحق فقال ادع الى سبيل ربك اى ادع الى دينه لانه الطريق الى مرضاته بالحكمة اى بالقرآن وسمى القرآن حكمة لانه
يتضمن الامر بالحسن والنهى عن القبيح واصل الحكمة المنع ومنه حكمة اللجام وانما قيل لها حكمة لانها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي ان يختار
وقيل ان الحكمة هى المعرفة بمراتب الافعال فى الحسن والقبح والصلاح والفساد لان بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق
والصواب فى الافعال والاقوال والموعظة الحسنة معناه الوعظ الحسن وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب فى تركه والتزهيد فى فعله
وفى ذلك تليين للقلوب بما يوجب الخشوع وقيل ان الحكمة هى النبوة والموعظة الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس وجادلهم بالتى
هى احسن اى ناظرهم بالقرآن وباحسن ما عندك من الحجج وتقديره بالكلمة التى هى احسن للحق اى قل للمشركين واصرفهم عما هم عليه من
الشرك بالرفق والسكينة ولين الجانب فى النصيحة ليكونوا اقرب الى الاجابة فان الجدل هو فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وقيل هو ان

يجادلهم على قدر ما يحتملونه كما جاء في الحديث امرنا معاشر الانبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
اي دينه وهو اعلم بالمهتدين اي القابلين للهدى فهو يأمرك في الفريقين بما فيه الصلاح وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به معناه وان
اردتم معاقبة غيركم على وجه المجازاة والمكافاة فعاقبوا بقدر ما عوقبتم به ولا تزيدوا عليه قالوا ان المشركين لما مثلوا بقتلى احد وبحمزة
بن عبد المطلب فشقوا بطنه واخذت هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكه وجدعوا انفه واذنيه وقطعوا مذاكيره قال المسلمون لئن امكننا
الله منهم لنمثلن بالاحياء فضلا عن الاموات فنزلت الآية عن الشعبي وقتادة وعطاء بن يسار وقيل ان الآية عامة في كل ظلم كغصب ونحوه
فانما يجازى بمثل ما عمل عن مجاهد وابن سيرين وابرهيم وقال الحسن نزلت الآية قبل ان يؤمر النبي صلى الله عليه وآله بقتال المشركين على
العموم وامر بقتال من قاتله ونظيره قوله فان قاتلوكم فاقتلوهم ولئن صبرتم اي تركتم المكافاة والقصاص وجرعتم مرارته لهو خير للصابرين
معناه الصبر خير وانفع للصابرين لما فيه من جزيل الثواب واصبر يا محمد فيما تبلغه من الرسالة وفيما تلقاه من الاذى وقيل معناه اصبر
على ما يجب الصبر عليه وعما يجب الصبر عنه وما صبرك الا بالله اي وليس صبرك الا بتوفيق الله واقداره وتيسيره وترغيبه فيه ولا تحزن
عليهم اي لا تحزن على المشركين في اعراضهم عنك فانه يكون الظفر والنصرة لك عليهم ولا عتب عليك في اعراضهم فقد بلغت ما امرت به
وقضيت ما عليك وقيل معناه لا تحزن على قتلى احد فان الله تعالى قد نقلهم الى ثوابه وكرامته ولا تك في ضيق مما يمكرون اي ولا يكن صدرك
في ضيق من مكرهم بك وباصحابك فان الله سبحانه يرد كيدهم في نحورهم ويحفظكم من شرورهم ان الله مع الذين اتقوا الشرك والفواحش
والكبائر بالنصرة والحفظ والكلاءة ومع الذين هم محسنون قال الحسن اتقوا ما حرم عليهم واحسنوا فيما فرض عليهم

سورة بني اسرائيل

هي مكية وقيل مكية الا خمس آيات ولا تقتلوا النفس الآية ولا تقربوا الزنا الآية اولئك الذين يدعون الآية اقم الصلوة الآية وآت
ذا القربى حقه الآية عن الحسن وقيل مكية الا ثماني آيات وان كادوا ليفتنونك الى قوله وقل رب ادخلني مدخل صدق الآية عن قتادة
والمعدل عن ابن عباس **عدد آيها** مائة واحدى عشرة آية كوفي وعشر آيات في الباقين **اختلافها** آية للاذقان سجدا كوفي **فضلها**
ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين اعطي في الجنة قنطارين من الاجر و
القنطار الف اوقية ومائتا اوقية والاوقية منها خير من الدنيا وما فيها وروى الحسين بن ابي العلاء عن الصادق ع قال من قرأ سورة بني
اسرائيل في كل ليلة جمعة لم يمت حتى يدرك القائم ع ويكون من اصحابه **تفسيرها** ختم الله تعالى سورة النحل بذكر النبي ص وافتتح
سورة بني اسرائيل ايضا بذكره وبيان اسرائه الى المسجد الاقصى **قوله تعالى** بسم الله الرحمن الرحيم **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ
بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَآتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** ثلث آيات **القراءة**
قرأ ابو عمرو وحده لا يتخذوا بالياء والباقون بالتاء **الحجة** من قرأ بالياء فلان ما تقدمه على لفظ الغيبة والمعنى هديناهم لئلا يتخذوا
ومن قرأ بالتاء انصرف من الغيبة الى لفظ الخطاب كما في قوله الحمد لله رب العالمين ثم قال اياك نعبد والضمير في تتخذوا وان كان على
لفظ الخطاب فانما يعني به الغيب في المعنى **الاعراب** سبحان منصوب على المصدر على معنى اسبح الله تسبيحا قال ابو علي من زعم ان لا تتخذوا
على اظهار القول كانه يريد قال ان لا تتخذوا لم يكن قوله هذا مستقيما وذلك لان القول لا يخلو من ان يكون بعده جملة تحكى او معنى جملة
يعمل فيه لفظ القول فالاول كقوله قال زيد عمرو منطلق فموضع الجملة نصب بالقول والآخر نحو ان يقول القائل لا اله الا الله فتقول قلت
حقا او يقول الثلج حار فتقول قلت باطلا فهذا معنى ما قاله وليس نفس المقول وقوله ان لا تتخذوا خارج من هذين الوجهين الا ترى
ان لا تتخذوا ليس هو القول كما ان قولك حقا اذا سمعت كلمة الاخلاص بمعنى القول وليس قوله الا تتخذوا الجملة فيكون كقولك قال
زيد عمرو منطلق ويجوز ان يكون ان بمعنى اي التي للتفسير وانصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب كما انصرف منها الى الخطاب في قوله وانطلق
الملأ منهم ان امشوا في الامر وكذلك انصرف من الخطاب في النهي في انه لا تتخذوا وكذلك قوله ان اعبدوا الله ربي وربكم في وقوع الامر
بعد الخطاب ويجوز ان يضمر القول ويحمل تتخذوا على القول المضمر اذا جعلت ان زائدة فيكون التقدير وجعلناه هدى لبني اسرائيل
وقلنا لا تتخذوا فيجوز اذا في قوله الا تتخذوا ثلثة اوجه احدها ان تكون الناصبة للفعل فيكون المعنى جعلناه هدى كراهة ان يتخذوا من



الجزء الخامس عشر

الغيبة الم

دون

دونی وکیلا ای لان یتخذوا والاخر ان یکون معنی ای لانه بعد کلام تام فیکون التقدیر ای لا یتخذوا والثالث ان یکون ان زایدة وتضمر
القول فاما قوله ذریة ممن حملنا فانه یجوز ان یکون مفعول الاتخاذ لانه فعل یتعدی الی مفعولین وانزل الوکیل وهو فی معنی الجمع لان فعیلا یکون
مفرد اللفظ والمعنی علی الجمیع نحو قوله وحسن اولئک رفیقا فاذا حمل علی هذا فکان مفعولا ثانیا فی قراءة من قرا بالیاء والتاء ویجوز ان یکون نداء
وکذلک علی قراءة من قرا بالتاء لان النداء للخطاب ولو رفع ذریة علی البدل من الضمیر المرفوع فی لا تتخذوا کان جایزا ویکون التقدیر لا تتخذوا
ذریة من حملنا مع نوح من دونی وکیلا ولو جعلنا محمد بدلا من قولک بنی اسرائیل جاز وکان التقدیر وجعلناه هدی لذریة من حملنا مع نوح
قیل نزلت الایة فی اسرائه وکان ذلک بمکة صلی رسول الله صلی الله علیه وآله المغرب فی المسجد الحرام ثم اسری به فی لیلته ثم رجع
فصلی الصبح فی المسجد الحرام فاما الموضع الذی اسری الیه این کان فان الاسراء کان الی بیت المقدس وقد نطق به القرآن ولا یدفعه مسلم وما قاله بعضهم ان ذلک
کان فی النوم فظاهر البطلان اذ لا معجز یکون فیه ولا برهان وقد وردت روایات کثیرة فی قصة المعراج وعروج نبینا الی السماء ورواها
کثیر من الصحابة مثل ابن عباس وابن مسعود وانس وجابر بن عبد الله وحذیفه وعایشه وام هانی وغیرهم عن النبی صلی الله علیه وآله وزاد
بعضهم علی بعض وتنقسم جملتها الی اربعة وجوه احدها ما یقطع علی صحته لتواتر الاخبار به واحاطة العلم بصحته وثانیها ما ورد فی ذلک مما تجوزه العقول ولا تاباه الاصول فنحن نجوزه ثم نقطع علی ان ذلک
کان فی یقظته دون منامه وثالثها ما یکون ظاهره مخالفا لبعض الاصول الا انه یمکن تاویلها علی وجه یوافق المعقول فالاولی ان نتاوله علی ما
یطابق الحق والدلیل ورابعها ما لا یصح ظاهره ولا یمکن تاویله الا علی التعسف البعید فالاولی ان لا نقبله فاما الاول المقطوع به فهو انه
اسری به علی الجملة واما الثانی فمنه ما روی عنه ع انه طاف فی السموات ورای الانبیاء والعرش وسدرة المنتهی والجنة والنار ونحو
ذلک واما الثالث فنحو ما روی انه رای قوما فی الجنة یتنعمون فیها وقوما فی النار یعذبون فیها فیحمل علی انه رای صفتهم او اسماءهم واما الرابع
فنحو ما روی عنه انه کلم الله سبحانه جهرة وراه وقعد معه علی سریره ونحو ذلک مما یوجب ظاهره التشبیه والله سبحانه مقدس عن ذلک وکذلک
ما روی انه شق بطنه وغسل لانه ع کان طاهرا مطهرا من کل سوء وعیب وکیف یطهر الخلق وما فیه من الاعتقاد بالماء فمن جملة الاخبار
الواردة فی قصة المعراج ان النبی صلی الله علیه وآله قال اتانی جبرائیل ع وانا بمکة فقال قم یا محمد فقمت معه وخرجت الی الباب واذا جبرائیل
ومعه میکائیل واسرافیل فاتانی جبرائیل ع بالبراق وکان فوق الحمار ودون البغل خده کخد الانسان وذنبه کذنب البقر وعرفه کعرف الفرس
وقوایمه کقوایم الابل علیه رحل من الجنة وله جناحان من فخذیه خطوه منتهی طرفه فقال ارکب فرکبت ومضیت حتی انتهیت الی بیت المقدس ثم
ساق الحدیث الی ان قال ولما انتهیت الی بیت المقدس واذا ملائکة نزلت من السماء بالبشارة والکرامة من عند رب العزة وصلیت فی بیت
المقدس وفی بعضها نشر لی ابرهیم ع فی رهط من الانبیاء ثم وصف موسی وعیسی علیهما السلم ثم اخذ جبرائیل ع بیدی الی الصخرة فاقعدنی
علیها فاذا معراج الی السماء لم ار مثلها حسنا وجمالا فصعدت الی السماء الدنیا ورایت عجایبها وملکوتها وملایکتها یسلمون علی ثم صعد بی
جبرئیل الی السماء الثانیة فرایت فیها عیسی بن مریم ویحیی بن زکریا ثم صعد بی الی السماء الثالثة فرایت فیها یوسف ع ثم صعد بی الی
السماء الرابعة فرایت فیها ادریس ع ثم صعد بی الی السماء الخامسة فرایت فیها هرون ثم صعد بی الی السماء السادسة فاذا فیها خلق
کثیر یموج بعضهم فی بعض وفیها الکروبیون ثم صعد بی الی السماء السابعة فرایت فیها خلقا وملایکة وفی حدیث ابی هریرة رایت فی السماء
السادسة موسی ورایت فی السماء السابعة ابراهیم ع قال ثم جاوزناها متصاعدین الی اعلی علیین ووصف ذلک الی ان قال ثم کلمنی
ربی وکلمته ورایت الجنة والنار ورایت العرش وسدرة المنتهی ثم رجعت الی مکة فلما اصبحت حدثت به الناس فکذبنی ابو جهل والمشرکون
وقال مطعم بن عدی اتزعم انک سرت مسیرة شهرین فی لیلة واحدة اشهد انک کاذب ثم قالت قریش اخبرنا عما رایت فقال مررت بعیر بنی
فلان وقد اضلوا بعیرا لهم وهم فی طلبه وفی رحلهم قعب مملو من ماء فشربت الماء ثم غطیته کما کان فسلوهم هل وجدوا الماء فی القدح
قالوا هذه آیة واحدة وقال مررت بعیر بنی فلان فنفرت بکرة فلان فانکسرت یدها فاسالوهم عن ذلک فقالوا هذه آیة اخری قالوا اخبرنا عن عیرنا
قال مررت بها بالتنعیم وبین لهم احمالها وهیاتها وقال یقدمها جمل اورق علیه غرارتان مخیطتان ویطلع علیکم عند طلوع الشمس قالوا
هذه آیة اخری ثم خرجوا یشتدون نحو الثنیه وهم یقولون لقد قضی محمد بیننا وبینه قضاء بینا حسنا وجلسوا ینتظرون متی تطلع
الشمس فیکذبوه فقال قایل والله ان الشمس قد طلعت وقال آخر هذه والله العیر قد طلعت یقدمها بعیر اورق فبهتوا ولم یومنوا وفی

تفسير العياشي بالاسناد عن ابي بكر عن ابي عبد الله عم قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وآله الى سماء الدنيا لم يمر باحد من الملائكة الا استبشر به
قال ثم مر بملك حزين كئيب فلم يستبشر به فقال يا جبرائيل ما مررت باحد من الملائكة الا استبشر بي الا هذا الملك فمن هذا قال هذا مالك خازن
جهنم وهكذا جعله الله قال النبي صلى الله عليه وآله يا جبرائيل سله ان يرينها قال فقال جبرائيل عم يا مالك هذا محمد رسول الله قد شكى الي
وقال ما مررت باحد من الملائكة الا واستبشر بي الا هذا فاخبرته انك هكذا خلقك الله وقد سالني ان تريه جهنم قال فكشف له عن طبق
من طبقاتها قال فما رای رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك ضاحكا حتى قبض وعن ابي بصير قال سمعت من يقول ان جبرائيل عم احتمل
رسول الله صم حتى انتهى به الى مكان من السماء ثم تركه وقال له ما وطی نبي قط مكانك المعنى سبحان الذی اسری بعبده كلمة تنزيه وبراءة
لله عز وجل عما لا يليق به من الصفات وقد يراد به التعجب يعني سبحان الذی سير عبده محمد صم وهو عجيب من قدرة وتعجيب ممن لم يقدر الله
حق قدره واسرى به وسرى به بالليل واسرى بمعنى وقد عدى هنا بالباء والوجه فی التاويل انه اذا كان مشاهدة العجيب سببا للتسبيح صار
التسبيح تعجبا فقيل يسبح اي يعجب ليلا قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة من المسجد الحرام قال اكثر المفسرين اسري برسول الله صم
من دار ام هانی اخت علي بن ابي طالب عم وزوجها هبيرة بن ابی وهب المخزومي وكان عم نائما تلك الليلة في بيتها وان المراد بالمسجد الحرام
هنا مكة ومكة كلها مسجد وقال الحسن وقتادة كان الاسراء من نفس المسجد الحرام الى المسجد الاقصى يعني بيت المقدس وانما قال الاقصى لبعد
المسافة بينه وبين المسجد الحرام الذي باركنا حوله اي جعلنا البركة فيما حوله من الانهار والثمار والنبات والامن والخصب حتى لا يحتاجوا الى
ان يجلب اليهم من موضع آخر وقيل باركنا حوله بان جعلناه مقر الانبياء ومهبط الملائكة عن مجاهد وبذلك صار مقدسا عن الشرك
لانه لما صار متعبدا للانبياء ودار مقام لهم تفرق المشركون عنها فصار مطهرا من الشرك والتقديس التطهير فقد اجتمع فيه بركات الدين والدنيا
لنريه من آياتنا اي من عجائب حججنا ومنها اسراؤه في ليلة واحدة من مكة الى هناك ومنها انه اراه الانبياء واحدا بعد واحد وانه عرج به الى السماء
وغير ذلك من العجائب التي اخبر بها الناس انه هو السميع لاقوال من صدق بذلك او كذب البصير بما فعل من الاسراء والمعراج وآتينا موسى
الكتاب يعني التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل اي وجعلنا التورية حجة ودلالة وبيانا وارشادا لبني اسرائيل يهتدون به الا يتخذوا من
دوني وكيلا اي امرناهم ان لا يتخذوا من دوني معتمدا يرجعون اليه في النوايب وقيل ربا يتوكلون عليه ذرية من حملنا مع نوح اي اولاد من حملنا
مع نوح في السفينة فانجيناهم من الطوفان وقد ذكرنا وجوه ذلك في الاعراب وعلى ذلك يدور المعنى انه كان عبدا شكورا معناه ان نوحا
كان عبدا لله كثير الشكر وكان اذا لبس ثوبا او اكل طعاما او شرب ماء حمد الله تعالى وقال الحمد لله وقيل انه كان يقول في ابتداء الاكل
والشرب وفي انتهائه الحمد لله وروی عن ابي عبد الله وابي جعفر عم ان نوحا عم كان اذا اصبح وامسى قال اللهم اني اشهدك ان ما اصبح او امسى
بي من نعمة في دين او دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها علي حتى ترضى وبعد الرضا فهذا كان شكره النظم وجه اتصال
قوله وآتينا موسى الكتاب بما قبله ان المعنى فيه سبحان الذي اسرى بمحمد واراه الايات كما اری موسى الآيات والمعجزات الباهرات وقيل
ان معناه ان كونك نبيا ليس ببدع فقد آتيناك الكتاب والحجج كما اعطينا موسى التورية فلم اقروا به وانكروا امرك والطريق فيهما واحد وقيل
معناه انهم كفروا بموسى كما كفروا بما اخبرتهم به من اسرائك قوله تعالى وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ
وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۞ ثُمَّ
رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ
أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۞ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۞ خمس آيات القراءة قرا ليسوءا بفتح الهمزة شامي كوفي غير حفص الا ان الكسائي قرا
بالنون والباقون ليسوءوا بالياء وضم الهمزة على وزن ليسوعوا وفي الشواذ قراءة ابن عباس لتفسدن بضم التاء وفتح السين وعيسى الثقفي
لتفسدن وقراءة علي عم عبدا لنا وقراءة ابي السماك فحاسوا بالحاء وقراءة ابي بن كعب ليسوء بالنون الحجة من قرا ليسوء بالياء ففاعل ليسوء
يجوز ان يكون احد شيئين اما اسم الله تعالى لان الذي تقدم بعثنا ورددنا لكم وامددناكم باموال واما البعث ودل عليه بعثنا المتقدم كقوله ولا يحسبن
الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم اي البخل خيرا لهم ومن قرا ليسوء بالنون كان في المعنى كقول من قدر ان الفاعل ما تقدم من اسم الله

خمس

وجاز ان ينسب المساءة الى الله تعم وان كانت من الذين جاسوا خلال الديار في الحقيقة لانهم فعلوا المساءة بتسوية الله تعم فجاز ان ينسب اليه واما
قوله ليسوءا فيجاب اذا جاء وعد الآخرة اى وعد المرة الاخرى من قوله لتفسدن في الارض مرتين بعثناهم ليسوءا وجوهكم فحذف بعثناهم لان
ذكره قد تقدم والحجة في ليسوءا انه اشبه بما قبله وما بعده الا ترى ان قبله ثم بعثناهم وبعده ليدخلوا المسجد الحرام والمبعوثون في الحقيقة هم
الذين يسوءونهم بقتلهم اياهم واسرهم لهم فهو وفق المعنى وقال وجوهكم على ان الوجوه مفعول به لسؤت وعدى الى الوجوه لان الوجوه
قد يراد به ذو الوجوه كقوله كل شيء هالك الا وجهه وقوله وجوه يومئذ ناظرة ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال النابغة اقارع
عوف لا احاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تخادع واما قراءة ابي لنسوءا فالوجه فيه على قول ابن جني ان يكون على حذف الفاء كما يقال
اذا سألتني فلاعطيك ما تأمن تسك ومعناه فلاعطيك واللامان بعده لام الامر وهما وليدخلوا المسجد وليتبروا ويقوى ذلك انه
من لم تأت لاذا جواب فيما بعد واما من قرا لتفسدن ولتفسدن فاحدى القراءتين شاهدة للاخرى لان من افسد فقد فسد واما جاسوا
فمعناه معنى جاسوا بعينه اللغة القضاء فصل الامر على احكام ومنه سمي القاضي ثم يستعمل بمعنى الخلق والاحداث كما قال فقضاهن
سبع سموات وبمعنى الايجاب كما قال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبمعنى الاعلام والاخبار بما يكون من الامر وهو المعنى ههنا
واصله الاحكام والعلو والارتفاع وعلا فلان الشيء اذا اطاقه ويقال على في المكارم يعلو علاء فهو علي وعلا في المكان يعلو علوا
فهو عال والجوس التخلل في الديار يقال تركت فلانا يجوس بني فلان ويجوسهم ويدوسهم اى يطاهم قال ابو عبيد كل موضع خالطته
ووطيته فقد جسته وجيته قال حسان ومنا الذى لاقى بسيف محمد فجاس به الاعداء عرض العساكر وقيل الجوس طلب الشيء باستقصاء
والكرة معناها الرجعة والدولة النفير العدد من الرجال قال الزجاج ويجوز ان يكون جمع نفر كما قيل العبيد والضئين والمعيز و
الكليب ونفر الانسان ونفره ونفيره ونافرته رهطه الذين ينصرونه وينفرون معه والتتبير الهلاك والتبار والهلاك والدمار واحد
وكل ما يكسر من الحديد والذهب تبر والحصير الحبس ويقال للملك حصير لانه محجوب قال لبيد ومقام ضيق فرجته وقتل المكاب كانهم جن لدى
باب الحصير قيام والحصير البساط المرمول يحصر بعضه على بعض بذلك الضرب من النسج المعنى لما تقدم امره سبحانه لبني اسرائيل
عقب ذلك بذكر ما كان منهم وما جرى عليهم فقال وقضينا الى بني اسرائيل اى اخبرناهم واعلمناهم في الكتاب اى في التورية لتفسدن
في الارض مرتين اى حقا لا شك فيه ان اخلافكم تفسدون في البلاد التى تسكنونها كرتين وهي بيت المقدس واراد بالفساد الظلم
واخذ المال وقتل الانبياء وسفك الدماء وقيل كان فسادهم الاول قتل زكريا والثاني قتل يحيى بن زكريا عن ابن عباس وابن مسعود وابن
زيد قالوا ثم سلط الله عليهم سابور ذو الاكتاف ملكا من ملوك فارس في قتل زكريا وسلط الله عليهم في قتل يحيى بخت نصر وهو رجل خرج
من بابل وقيل الفساد الاول قتل شعيبا والثاني قتل يحيى وان زكريا عم مات حتف انفه عن عبد الله بن اسحق قال وابادهم في الاول بخت نصر
وفي الثاني ملك من ملوك بابل وقيل كان الاول جالوت فقتله داود عم والثاني بخت نصر عن قتادة وقيل انه سبحانه ذكر فسادهم
في الارض ولم يبين ما هو فلا يقطع على شيء مما ذكر ابو علي والجبائي ولتعلن في الارض علوا كبيرا اى ولتستكبرن ولتظلمن الناس ظلما عظيما
والعلو نظير العتو ههنا وهو الجرأة على الله تعم والتعرض لسخطه فاذا جاء وعد اولهما معناه فاذا جاء وعد اولى المرتين اللتين تفسدون
فيهما والوعد ههنا بمعنى الموعود وضع المصدر موضع المفعول به اى اذا جاء الوقت الموعود لافسادكم في المرة الاولى بعثنا عليكم
عبادا لنا اولى بأس شديد اى سلطنا عليكم عبادا اولى شوكة وقوة ونجدة وخلينا بينكم وبينهم خاذلين لكم جزاء على كفركم وعتوكم وهو
مثل قوله وارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا عن الحسن وقيل معناه امرنا قوما مؤمنين بقتالكم وجهادكم لان ظاهر قوله عبادا
لنا وقوله بعثنا يقتضي ذلك عن الجبائي وقيل قد يجوز ان يكونوا مؤمنين امرهم بجهاد هؤلاء ويجوز ان يكونوا كافرين فيأتيهم نبي من
الانبياء بحرب هؤلاء وسلطهم على نظرائهم من الكفار والفساق عن ابي مسلم فجاسوا خلال الديار اى فطافوا وسط الديار يترددون
وينظرون هل بقي منهم احد لم يقتلوه عن الزجاج وكان وعدا مفعولا اى موعودا كائنا لا خلف فيه ثم رددنا لكم الكرة عليهم اى رددنا لكم
يا بني اسرائيل بالدولة واظهرناكم عليهم وعاد ملككم الى ما كان وامددناكم عليهم اى زدناكم باموال وبنين واكثرنا اموالكم واولادكم وزدناكم
العدة والقوة وجعلناكم اكثر نفيرا اى اكثر عددا وانصارا من اعدائكم ان احسنتم احسنتم لانفسكم معناه ان احسنتم في اقوالكم

وانفعالكم فنفع احسانكم عايد عليكم وثوابه واصل اليكم تنصرون على اعدايكم في الدنيا وتثابون في العقبى وان اسأتم فلها معناه وان
اسأتم فقد اسأتم الى انفسكم ايض لان مضرة الاساءة عايده اليها وانما قال فلها على وجه التقابل لانها في مقابلة قوله ان احسنتم احسنتم
لانفسكم كما يقال احسن الى نفسه ليقابل اساء الى نفسه ولايك قولك انت منتهى الاساءة وانت المختص بالاساءة متقارب ولذلك وضع
اللام موضع الى وقيل ان قوله فلها بمعنى فعليها كقوله تعم لهم اللعنة اى عليهم وقيل معناه فلها الجزاء والعقاب واذا امكن حمل الكلام على
الظاهر فالاولى ان لا يعدل عنه وهذا الخطاب لبني اسرائيل ليكون الكلام جاريا على النسق والنظام ويجوز ان يكون خطابا للامة نبينا
صلى الله عليه وآله فيكون اعتراضا بين القصد كما يفعل الخطيب والواعظ يحكى شيئا ثم يعظ ثم يعود الى الحكاية فكانه سبحانه بين ان
بني اسرائيل لما عاثوا وبغوا في الارض سلط عليهم قوما ثم لما تابوا قبل توبتهم واظفرهم على عدوهم ثم خاطب امان من احسن عاد نفع
احسانه اليه ومن اساء عاد ضرره اليه ترغيبا وترهيبا فاذا جاء وعد الاخرة اى وعد المرة الاخيرة من قوله لتفسدن في الارض مرتين والمراد
جاء وعد الجزاء على الفساد في الارض الاخيرة او جاء وعد فسادكم في الارض في المرة الاخيرة اى الوقت الذي يكون فيه ما اخبر الله عنكم
من الفساد والعدوان على العباد ليسوءوا وجوهكم اى امر اكم اعدائكم وغلبوكم ودخلوا دياركم ليسوءكم بالقتل والاسر يقال سؤته اسوءه
مساءة ومسائية اذا احزنه وقيل معناه ليسوء اكبراكم ورؤساكم وفى مسارة الاكابر واهانتهم مساءة الاصاغر وليدخلوا
المسجد الحرام اى مسجد بيت المقدس ونواحيه فكنى بالمسجد وهو المسجد الاقصى عن البلد كما كنى بالمسجد الحرام عن الحرم ومعناه وليستولوا
على البلد لانهم لا يمكنهم دخول المسجد الا بعد الاستيلاء كما دخلوه اول مرة دل بهذا على ان في المرة الاولى قد دخلوا المسجد ايض ولم يذكر
ذلك ومعناه وليدخل هؤلاء المسجد كما دخله اولئك اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا اى وليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم
تدميرا ويجوز ان يكون ما مع الفعل بتاويل المصدر والمضاف محذوف اى وليتبروا مدة علوهم عسى ربكم يا بني اسرائيل ان يرحمكم بعد
انتقامه منكم ان تبتم ورجعتم الى الطاعة وان عدتم عدنا ومعناه وان عدتم الى الفساد عدنا لكم الى العذاب والتسليط عليكم
كما فعلنا فيما مضى عن ابن عباس قال انهم عادوا بعد الاولى والثانيه فسلط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم ويأخذون منهم
الجزية الى يوم القيمة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اى سجنا ومحبسا عن ابن عباس القصة اختلف المفسرون في القصة عن هاتين
الكرتين اختلافا شديدا فالاولى ان نورد من جملتها ما هو الاهم على سبيل الايجاز قالوا لما عتوا بنوا اسرائيل في المرة الاولى سلط الله عليهم
ملك فارس وقيل بخت نصر وقيل ملك من ملوك بابل فخرج اليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس وقيل ان بخت نصر ملك بابل بعد
سنجاريب وكان من حبس نمرود وكان لزنية لا اب له فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد واحرق التورية والقى الجيف في المسجد
وقتل على دم يحيى ع سبعين الفا وسبى ذراريهم واغار عليهم واخرج اموالهم وسبى سبعين الفا وذهب بهم الى بابل فبقوا في يده
ماية سنة تستعبدهم المجوس واولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمة فامر ملكا من ملوك فارس عارفا بالله تعالى فردهم الى بيت المقدس
فاقاموا ماية سنة على الطريق المستقيم والطاعة والعبادة ثم عادوا الى الفساد والمعاصي فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه
انطياخوس فخرب بيت المقدس وسبى اهله وقيل غزاهم ملك رومية وسباهم عن حذيفه وقال محمد بن اسحق كانت بنى اسرائيل
يعصون الله سبحانه وفيهم الاحداث والله سبحانه يتجاوز عنهم وكان اول ما نزل بهم ذنوبهم ان الله تعالى بعث اليهم شعيا قبل
مبعث زكريا وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلعم وكان لبنى اسرائيل ملك كان شعيا يرشده ويسدده فمرض الملك وجاء
وجاء سنجاريب الى باب بيت المقدس بستمائة الف راية فدعا الله تعالى شعيا فبرأ الملك ومات جميع عسكر سنجاريب ولم ينج منهم
الا خمسة نفر منهم سنجاريب فهرب وارسلوا خلفه من اخذه ثم امر الله تعالى باطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فاطلقوه وهلك
سنجاريب بعد ذلك بسبع وستين سنه واستخلف بخت نصر ابن ابنه فلبث سبع عشر سنه وهلك ملك بني اسرائيل ومرج امرهم
وتنافسوا في الملك وقتل بعضهم بعضا فقام شعيا فيهم خطيبا ووعظهم بعظات بليغه وامرهم ونهاهم فهموا بقتله فهرب ودخل
شجرة فقطعوا الشجرة بالمنشار فبعث الله اليهم ارمياس سبط هرون ثم خرج من بينهم لما راى من امرهم ودخل بخت نصر وجنوده
بيت المقدس وفعل ما فعل ثم رجع الى بابل بسبايا بني اسرائيل فكانت هذه الدفعة الاولى وقيل ايض ان سبب ذلك كان قتل يحيى

زکریا

زكريا وذلك ان ملك بني اسرائيل اراد ان يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى ع وبلغ ذلك امها فحقدت عليه وبعثته على قتله فقتل
وقيل انه لم يزل دم يحيى بن زكريا يغلي حتى قتل بخت نصر منهم سبعين الفا واثنين وسبعين الفا ثم سكن الدم وذكر الجميع ان يحيى عليه
هو المقتول في الفساد الثاني قال مقاتل وكان بين الفساد الاول والثاني مايتا سنه وعشر سنين وقيل انما غزى بني اسرائيل في المرة الاولى
بخت نصر وفي المرة الثانية ملوك فارس والروم وذلك حين قتلوا يحيى ع فقتلوا منهم مائة الف وثمانين الفا وخرب بيت المقدس
فلم يزل كذلك حتى بناه عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومي الا خايفا وقيل انما غزاهم في المرة الاولى جالوت وفي الثانية بخت نصر
والله اعلم بذلك قوله تعالى إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ۝
اربع آيات اللغة مبصرة اى مضيئة نيرة قال ابو عمرو اراد يبصر بها كما يقال ليل نايم وقال الكسائي العرب تقول ابصر النهار اذا اضاء وقيل
المبصرة التي اهلها بصراء فيها كما يقال رجل مخبث اى اهله خبثاء ومضعف اى اهله ضعفاء وزكام ولا يكتب الواو في يدع في المصحف
وهي ثابتة في المعنى الاعراب ان لهم اجرا كبيرا فتح ان على تقدير حذف الباء اى فبشرهم بان لهم الجنة وان الثانية معطوفة عليها ولو
كسرت على الاستيناف لجاز ولكن لم يقرأ به احد واعتدنا اصله واعتددنا فقلبت احدى الدالين تاء فرارا من التضعيف الحرف من مخرج
الدال وكل شيء منصوب بفعل مضمر تفسيره ما بعده وهو قوله فصلناه والتقدير وفصلنا كل شيء المعنى ان هذا القرآن يهدى للتي هي
اقوم معناه ان هذا القرآن يهدي الى الديانة او الملة او الطريقة التي هي اشد استقامة يقال هداه الطريق وللطريق والى الطريق وقيل
معناه يرشد الى الكلمة التي هي اعدل الكلمات واصوبها وهي كلمة التوحيد وقيل يهدي الى الحال التي هي اعدل الحالات وهي توحيد الله
والايمان به وبرسله والعمل بطاعته عن الزجاج ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصلحات ان لهم اجرا كبيرا اى ثوابا عظيما
على طاعاتهم ويبشرهم ايضا ان الذين لا يؤمنون بالآخرة اى بالنشأة الآخرة اعتدنا لهم اى هيأنا لهم عذابا اليما وهو عذاب النار
وانما سمي العذاب اجرا لانه يستحق في مقابلة العمل كالاجرة التي تجب في مقابل عمل يعود نفعه الى المستاجر والثواب يستحق على الله تم
وان كان نفعه يعود الى العامل لانه سبحانه اوجب ذلك على نفسه في مقابلة عمل العبد فضلا منه وكرما ويدع الانسان بالشر
دعاءه بالخير قيل في معناه اقوال احدها ان الانسان ربما يدعو في حال الضجر والغضب على نفسه واهله وماله بما لا يحب
ان يستجاب له فيه كما يدعو لنفسه بالخير فلو اجاب الله دعاءه لاهلكه لكنه لا يجيب بفضله ورحمته عن ابن عباس والحسن
وقتادة والآخر ان معناه ان الانسان قد يطلب الشر لاستعجاله المنفعة وثالثها ان معناه ويدعو في طلب المحظورات كدعائه
في طلب المباح وكان الانسان عجولا بالدعاء في الشر عجلته بالدعاء في الخير عن مجاهد وقيل يريد ضجر الا صبر له على ضراء ولا سراء
عن ابن عباس وروى عنه ايضا انه اراد به آدم ع لما انتهت النفخة الى سرته اراد ان ينهض فلم يقدر فشبه سبحانه ابن آدم بابيه في
الاستعجال وطلب الشيء قبل وقته وجعلنا الليل والنهار آيتين اى دلالتين يدلان على وحدانية خالقهما لما في كل واحد منهما من
الفوائد من الكسب بالنهار والاستراحة بالليل والزيادة في اجزاء احدهما بالنقصان من اجزاء الآخر ولان كل واحد منهما ينقضي بمجي
الآخر وذلك يدل على حدوثهما اذ القديم لا يجوز عليه الانقضاء وعلى ان لهما محدثا قادرا عالما وقد علمنا ضرورة ان احدا من البشر
لم يحدثهما لعجز البشر عن ذلك فدل على انه من صنع القديم القادر لذاته العالم لذاته الذي ليس كمثله شيء ولا يتعذر عليه شيء وقيل
ان الآيتين هما الشمس والقمر فمحونا آية الليل وهي القمر اى طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد عن ابن عباس وجعلنا آية النهار
يعني الشمس مبصرة اى نيرة مضيئة للابصار يبصر اهل النهار بها وقيل ان معناه جعلنا آية الليل ممحوة والمراد جعلنا الليل
مظلما لا يبصر فيه كما لا يبصر ما يمحى من الكتاب وجعلنا آية النهار مبصرة اى جعلنا النهار مضيئا يبصر فيه ويدرك الاشياء فيه وعلى
هذا يكون آية الليل هي الليل نفسه وآية النهار هي النهار نفسه كما يقال نفس الشيء وعين الشيء وهذا من عجيب البلاغة و
قيل ان آية الليل ظلمته وآية النهار ضوءه والمراد محونا ظلمة الليل بضوء النهار ومحونا ضوء النهار بظلمة الليل الا انه ذكر احدهما

والنهار ... عشر ع

وحذف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف ثم بين سبحانه الغرض في ذلك فقال لتبتغوا فضلا من ربكم اى لتسكنوا بالليل ولتطلبوا
الرزق بانواع التصرف في النهار الا انه حذف لتسكنوا بالليل لما ذكره في مواضع اخر ولتعلموا عدد السنين والحساب اى لتعلموا بالليل
والنهار عدد السنين والشهور وآجال الديون وغير ذلك من المواقيت ولتعلموا حساب اعماركم وآجالكم ولولا الليل والنهار لما علم شيء من
ذلك وكل شيء فصلناه تفصيلا اي بينا كل شيء تمييزا ظاهرا بينا لا يلتبس وبيناه بيانا شافيا لا يخفى النظم اتصال الآية الاولى بقوله
عسى ربكم ان يرحمكم والوجه فيه انه لما امر بني اسرائيل بالرجوع الى الطريق المستقيم بالتوبة وقبول الاسلام بين ان ذلك الطريق
هذا الكتاب الذي يدل على ما هو احسن الاديان وقيل يتصل بقوله وآتينا موسى الكتاب اى كما آتيناه التورية آتينا محمدا القرآن الذي
يهدي للاحسن الاقوم وقيل يتصل بقوله سبحان الذي اسرى كانه قال اسرى بعبده وآتاه الكتاب الذي هذه صفته وانما اتصل بقوله
ويدعو الانسان بالشر الآية بما تقدم من بشارة الكفار بالعذاب فبين عقيبه انهم مستعجلون العذاب جهلا وعنادا ثم بين انه يجيب
لهم ما فيه صلاحهم ثم بين بالآية الاخرى انه انعم عليهم بوجوه النعم كالليل والنهار ونحو ذلك وان لم يشكروه قوله تعالى

وَكُلَّ اِنْسَانٍ اَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۝ اِقْرَاْ كِتَابَكَ كَفٰى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝ مَنِ
اهْتَدٰى فَاِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرٰى ۝ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولًا ۝ ه

ثلث آيات القراءة قرا ابو جعفر ويخرج له بضم الياء وفتح الراء وقرا يعقوب ويخرج له بفتح الياء وضم الراء والباقون ونخرج بالنون
وقرا ابو جعفر وابن عامر يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف والباقون يلقاه بفتح الياء وسكون اللام الحجة من قرا
ويخرج له فمعناه انه يخرج له عمله او يخرج له طائره يوم القيمة كتابا ويكون كتابا منصوبا على الحال ومن قرا ويخرج له عمله
او طائره ويكون كتابا حالا ايضا من الضمير في يخرج كما في الاول ومن قرا بالنون فيكون كتابا مفعولا لنخرج ويجوز ان يكون نصبا
على التمييز على معنى ونخرج طائره كتابا ويجوز ان يكون نصبا على الحال فيكون بمعنى ذا كتاب اى مثبتا في الكتاب الذي قال فيه
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله منشورا يكون منصوبا على الحال من الهاء في يلقاه على القراآت جميعا ومن قرا يلقاه منشورا
فانه يدل عليه قوله واذا الصحف نشرت ومن قرا يلقاه فيدل عليه قوله ويلقون فيها تحية وسلاما اللغة الانسان يقع على
المذكر والمؤنث فان اردت الفصل قلت رجلا او امرأة ومثل ذلك فرس يقع على المذكر والمؤنث فان اردت الفصل قلت حصان
وحجر وفي الهماليج برذون ورمكة وكذلك بعير يقع على المذكر والمؤنث فان فصلت قلت جمل وناقة واشتقاق الانسان من الانس
او الانس وهو فعلان عند البصريين وقال الكوفيون هو من النسيان واصله انسيان حذفت الياء منه استخفافا واحتجوا
على ذلك بقول العرب في تصغيره انيسيان وهذه الياء عند البصريين ايه وهو من التصغير الشاذ عندهم مثل عشيشية ومغيربان
الشمس وليلته واشباه ذلك والطائر ههنا عمل الانسان شبه بالطائر الذي يسنح ويتبرك به والطائر الذي يبرح فيتشاءم به والسانح
الذي يجعل ميامنه الى مياسرك والبارح الذي يجعل مياسره الى ميامنك والاصل في هذا انه اذا كان سانحا امكن الرامي واذا كان
بارحا لم يمكنه قال ابو زيد كل ما يجري من طائر او ظبي او غيره فهو عندهم طائر وانشد الكثير فلست بناسيها ولست بتارك اذا عرض
الادم الجواري سوالها ادرك من ام الحكيم غبيطة بها خبرتني الطير ام قد اتى لها خبر في البيت الآخر الذي زجر طائره وانشد لزهير
في ذلك فلما ان تفرق آل ليلى جرت بيني وبينهم ظباء جرت سنحا فقلت لها مروعا نوى مشمولة فمتى اللقاء قال وقولهم سالت الطير فقلت
للطير انما هو زجرتها من خير او شر ويقوي ما ذكره قول الكميت ولا انا ممن يزجر الطير همه اصاح غراب ام تعرض ثعلب وانشد لحسان
بن ثابت ذريني وعلمي بالامور وشيمتي فما طائري فيها عليك باخيلا اى ليس رأيي بمشؤم وانشد لكثير اقول اذا ما الطير مرت مخيلة
لعلك يوما فانتظر ان تنالها وانما قال طائره في عنقه ولم يقل في يده ليبين على لزوم ذلك له وتعلقه به كما يقال طوقتك كذا اي
قلدتك كذا والزمته اياك ومنه قلده السلطان كذا اى صارت الولاية في لزومها له في القلادة ومكان الطوق قال الاعشى قلدتك
الشعر يا سلامة ذا الافضال والشعر حيث ما جعلا وقال آخر ان لي حاجة اليك فقالت بين اذني وعاتقي ما تريد والعرب تقيم هذا
العضو مقام الذات فتقول اعتقت رقبه وطوقت عنق امانه ولذلك قال ابو حنيفة اذا قال الانسان عنقك او رقبتك حر عتق لانه

خـ

يعبر

يعبر بذلك عن جميع البدن ولو قال يدك او شعرك حر لا يعتق لانه لا يعبر بذلك عن جميع البدن وقال الشافعي هما سواء ويعتق في الحالين
الاعراب موضع بنفسك رفع لانه فاعل كفى وحسيبا نصب على التمييز وقال ابو بكر السراج المعنى كفى الاكتفاء بنفسك فالفاعل على هذا محذوف
والجار والمجرور في موضع النصب على اصله وحسيبا نصب على الحال من كفى المعنى لما قدم سبحانه ذكر الوعيد اتبع ذلك بذكر كيفيته فقال
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه معناه الزمنا كل عمله من خير او شر في عنقه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة يريد جعلناه كالطوق في عنقه
فلا يفارقه وانما قيل للعمل طائر على عادة العرب في قولهم جرى طائره بكذا ومثله قوله سبحانه قالوا طائركم معكم وقوله انما طائرهم عند الله
وقيل طائره يمنه وشومه عن الحسن وهو ما يتطير منه وقيل طائره حظه من الخير والشر عن ابي عبيدة والقتيبي وخص العنق لانه محل
الطوق الذي يزين المحسن والغل الذي يشين المسيء وقيل طائره كتابه وقيل معناه جعلنا لكل انسان دليلا من نفسه لان الطائر عندهم
يستدل به على الامور الكائنة فيكون معناه كل انسان دليل نفسه وشاهد عليها ان كان محسنا فطائره ميمون وان كان مسيئا
فطائره مشوم ونخرج له يوم القيمة كتابا وهو ما كتبه الحفظة عليهم من اعمالهم يلقاه اي يرى ذلك الكتاب منشورا اي مفتوحا معروضا
عليه ليقرأه ويعلم ما فيه والهاء في له يجوز ان تكون عائدة الى الانسان ويجوز ان يكون عائدة الى العمل اقرأ كتابك هاهنا حذف
اي ويقال له اقرأ كتابك قال قتادة يقرأ يومئذ من لم يكن قاريا في الدنيا وروى خالد بن نجيح عن ابي عبد الله ع قال يذكر العبد جميع اعماله
وما كتب عليه حتى كانه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اي محاسبا وانما جعله محاسبا لنفسه لانه اذا راى اعماله يوم القيمة كلها مكتوبة وراى جزاء اعماله مكتوبا بالعدل
لم ينقص من ثوابه شيء ولم يزد على عقابه شيء اذعن عند ذلك وخضع وتضرع واعترف ولم يتهيأ له حجة ولا انكار وظهر لاهل الحشر انه لا يظلم
قال الحسن يا ابن آدم لقد انصفك من جعلك حسيب نفسك من اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي من اهتدى في الدنيا الى دين الله وطاعته
فمنفعة اهتدائه راجعة اليه ومن ضل فانما يضل عليها اي ومن ضل في الدنيا عن الدين فضرر ضلاله راجع الى نفسه وعقوبة ضلاله
على نفسه ولا تزر وازرة وزر اخرى اي ولا تحمل نفس حاملة حمل اخرى وثقل اخرى اي ثقل ذنوب غيرها ولا يعاقب احد بذنب
غيره وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تجن يمينك على شمالك وهذا مثل ضربه وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول
من يقول ان اطفال الكفار يعذبون مع ابائهم في النار وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا معناه وما كنا معذبين قوما بعذاب الاستيصال
الا بعد الاعذار اليهم والانذار لهم بابلغ الوجوه وهو ارسال الرسول مظاهرة في العدل وان كان يجوز مواخذتهم على ما يتعلق
بالعقل معجلا فعلى هذا التاويل تكون الآية عامة في العقليات والشرعيات وقال الاكثرون من المفسرين وهو الاصح ان المراد بالآية انه
لا يعذب سبحانه لا في الدنيا ولا في الآخرة الا بعد البعثة فتكون الآية خاصة فيما يتعلق بالسمع من الشرعيات واما ما كانت
الحجة فيه من جهة العقل وهو الايمان بالله تعالى فانه يجوز العقاب بتركه وان لم يبعث الرسول عند من قال ان التكليف العقلي
ينفك عن التكليف السمعي على ان المحققين منهم يقولون انه وان جاز التعذيب عليه قبل بعثة الرسول فان الله سبحانه لا يفعل ذلك
مبالغة في الكرم والفضل والاحسان والطول وقد حصل من هذا انه سبحانه لا يعاقب احدا حتى يبعث الرسل المنبهة على الحق الهادية
الى الرشد استظهارا لانه اذا اجتمع داعي العقل وداعي السمع تاكد الامر وزال الريب فيما يلزم العبد وقد اخبر سبحانه في هذه الآية عن
ذلك وهذا لا يدل على انه لو لم يبعث رسولا لم يحسن منه ان يعاقب اذا ارتكب القبائح العقلية الا ان يعرض ان في بعثه الرسول
لطفا فان عند ذلك لا يحسن منه سبحانه ان يعاقب احدا الا بعد ان يوجه اليه ما هو لطف له فيزاح بذلك علته قوله تعالى
وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ
وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا
مَدْحُورًا • وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا • كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ
رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا لَا تَجْعَلْ مَعَ
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا سبع آيات القراءة القراءة العامة امرنا بالتخفيف غير ممدود وقرا يعقوب آمرنا بالمد في رواية

عشر

حزب ع ٢

وهو قراءة علي بن ابي طالب والحسين عليهما السلم وابي العاليه وقتادة وجماعة وقرا امرنا بتشديد الميم ابن عباس وابو عثمن النهدي وابو جعفر
محمد بن علي ع بخلاف وقرا امرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن نعيم الحجة قال ابو عبيدة آمرنا اكثرنا من قولهم آمر بنو فلان اي كثروا
وانشد للبيد ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما يصيروا للهلك والنفد قال ابو علي لا يخلو قوله امرنا مخففة الهمزة من ان يكون فعلنا من
الامر او من امر القوم وامرتهم مثل شترت عينه وشترتها ورجع ورجعته وسار وسيرته فمن لم ير ان يكون امرنا من امر القوم اذا كثروا
كما حكى ذلك يونس عن ابي عمرو فانه ينبغي ان يكون من الامر الذي هو خلاف النهي ويكون المعنى امرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومن
قال امرنا فانه يكون افعلنا من امر القوم اذا كثروا وامرهم الله وكذلك ان ضاعف العين فقال امرنا ويقوي حمل امرنا على النقل من امروا
ان لا يجعل من الامر الذي هو خلاف النهي ان الامر بالطاعة على هذا يكون مقصورا على المترفين فقد امر الله بطاعته جميع الخلق من
مترف وغيره ويحمل امرنا على انه مثل آمرنا ونظيره هذا كثر واكثره الله وكثره ولا يحمل امرنا على ان المعنى جعلناهم امراء لانه لا يكاد يكون في
قرية واحدة جماعة امراء فان قلت يكون منهم الواحد بعد الواحد فانهم اذا كانوا كذلك لا يكثرون في حال وانما يهلك بكثرة المعاصي
في الارض وعلى هذا جاء الامر في التنزيل يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون فامر بالخروج من الارض التي يكثر
فيها المعاصي الى ما كان بخلاف هذه الصفة ومما جاء فيه امر بمعنى الكثرة قول زهير والاثم من شر ما يصال به والبر كالغيث نبته
امر واما امر فقد روى ابن جني باسناده عن ابي حاتم قال قال ابو زيد يقال امر الله ماله وامره ومن قال ان امرنا لا يكون بمعنى اكثرنا قال في قوله ع
خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة ان المعنى مؤمرة وانما قال هذا لمكان الازدواج كما قالوا الغدايا والعشايا والغداة لا يجمع
على الغدايا لكن قيل ذلك ليزدوج الكلام اللغة الترف النعمة قال ابن عرفة المترف المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع منه والتدمير الاهلاك
والدمار الهلاك ويقال ذممته وذامه وذمته فهو مذموم ومذءوم ومذيم بمعنى ويكون ذامته بمعنى طردته ويقال اصنع كذا وخلاك
ذم اي ولا ذم عليك والدحر الابعاد والمدحور المبعد المطرود اللهم ادحر عنا الشيطان اي ابعده الاعراب كم اهلكنا موضع كم نصب
باهلكنا ودخلت الباء في قوله بربك للمدح كما تقول ناهيك به رجلا وجاد بثوبك ثوبا وطاب بطعامك طعاما واكرم به رجلا ويكون
في كل ذلك في موضع رفع كما قال الشاعر ويخبرني عن غائب المرء هديه كفى الهدي عما غيب المرء مخبرا فرفع لما اسقط الباء ويصليها في موضع
نصب على الحال لمن يريد بدل من له في قوله عجلنا له فيها ما نشاء واعاد الكلام لما كان البدل في تقدير جملة اخرى كقوله لمن آمن منهم
ومذموما حال من الضمير المستكن في يصليها كلا نمد نصب كلا بنمد وهؤلاء بدل من قوله كلا اي نمد كل واحد من هؤلاء وهؤلاء المعنى
واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها لما لم يجز في العقول تقديم ارادة العذاب على المعصية لانه عقوبة عليها ومستحقة
لاجلها فمتى لم توجد المعصية لم يحسن فعل العقاب واذا لم يحسن فعله لم يحسن ارادته واختلفوا في تاويل الآية وتقديرها على
وجوه احدها ان معناه واذا اردنا ان نهلك اهل قرية بعد قيام الحجة عليهم وارسال الرسل اليهم امرنا مترفيها اي رؤساءها وسادتها
بالطاعة والايمان واتباع الرسل امرا بعد امر نكرره عليهم وبينة بعد بينة ناتيهم بها اعذارا الى العصاة وانذارا لهم وتوكيدا للحجة عليهم
ففسقوا فيها بالمعاصي وابوا الا تماديا في العصيان والكفران فحق عليها القول اي فوجب حينئذ على اهلها الوعيد فدمرناها تدميرا
اي فاهلكناها اهلاكا وانما خص المترفين وهم المتنعمون والرؤساء بالذكر لان غيرهم تبع لهم فيكون الامر لهم امرا لاتباعهم وعلى هذا
فيكون قوله امرنا مترفيها جوابا لاذا واليه يؤول ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير ان معناه امرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا وهو
مثله امرتك فعصيتني ويشهد لصحة هذا التاويل الآية المتقدمة وهي قوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه الى قوله وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وثانيها ان قوله امرنا مترفيها من صفة القرية وتقديره واذا اردنا ان نهلك قرية صفتها انا قد كنا امرنا مترفيها ففسقوا فيها
فلا يكون لاذا جواب ظاهر في اللفظ للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظيره قوله سبحانه حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها
الى قوله ونعم اجر العاملين فلم يات لاذا جواب لطول الكلام للاستغناء عنه ومما يشهد بصحة ذلك قول الهذلي حتى اذا اسلكوهم في
قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا فحذف جواب اذا لان هذا البيت آخر القصيدة وثالثها ان الآية محمولة على التقديم والتاخير وتقديره اذا
امرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا اردنا اهلاكهم ومما يمكن ان يكون شاهدا لهذا الوجه قوله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم

طايفة منهم معك وقيام الطاعة يكون قبل اقامة الصلوة لان اقامتها هى الاتيان بجميعها على الكمال وكذلك قوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلوة ورابعها انه سبحانه ذكر الارادة على وجه المجاز والاتساع وانما عنى بها قرب الهلاك
والعلم بكونه لا محالة كما تقول اذا اراد العليل ان يموت خلط فى ماكله ويسرع الى ما توق نفسه اليه واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران
من كل وجه ومعلوم ان العليل والتاجر لم يريدا فى الحقيقة شيئا لكن لما كان المعلوم من حال هذا الهلاك ومن حال ذلك الخسران حسن هذا
الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وكلام العرب اشارات واستعارات ومجازات لاجلها كان كلامهم فى الغاية القصوى من
الفصاحة والوجه الاول عندى اوضح الوجوه واقربها الى الصواب اذا تاولت الاية على الامر الذى هو ضد النهى فاما اذا تاولت الاية على
معنى القرائتين الاخريين من امرنا بالمد وامرنا بالتشديد فلن يخرج على هذا الوجه ويكون محمولا على احد الاوجه الثلثة الاخر ثم بين سبحانه
مافعله من ذلك بالقرون الخالية فقال وكم اهلكنا من القرون اى من الامم الكثيرة المكذبة من بعد نوح اى من بعد زمان نوح الى زمانكم
هذا لان كم تفيد التكثير كما ان رب يفيد التقليل والقرن مائة وعشرون سنة عن ابى عبد الله ع وقيل مائة سنة عن محمد بن القسم المازني
وروى ذلك مرفوعا وقيل ثلثون سنة عن الكلبى وقيل اربعون سنة رواه ابن سيرين مرفوعا وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا اى كفى
ربك عالما بذنوب خلقه بصيرا بها يجازيهم عليها ولا يفوته شىء منها ثم بين سبحانه انه يدبر عباده بحسب ما يراه من المصلحة فقال من كان
يريد العاجلة اى النعم العاجلة وهى الدنيا فعبر عنها بصفتها عجلنا له فيها ما نشاء من البسط والتقدير وعلق ذلك بمشيته لا بمشية العبد
فقد يشاء العبد ما لا يشاء الله فلا يعطيه لكونه مفسدة لمن نريد اى لمن نريد اعطاءه بين ذلك انه انما يكون حريص يريد الدنيا فلا يعطى
وان اعطى اعطى قليلا ثم جعلنا له جهنم يصليها اى يصير صلاها ويحترق بنارها مذموما ملوما مدحورا مبعدا من رحمة الله ويروى عن ابن عباس
ان النبى صلى الله عليه وآله قال معنى الاية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذى افترضه الله عليه لا يريد به وجه الله والدار الاخرة عجل له ما
يشاء الله من عرض الدنيا وليس له ثواب فى الاخرة وذلك ان الله سبحانه يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله فى معصية الله
فيعاقبه الله عليه ومن اراد الاخرة اى ومن اراد خير الاخرة ونعيم الجنة وسعى لها سعيها وهو مؤمن اى فعل الطاعات وتجنب المعاصى وهو
مع ذلك مصدق بتوحيد الله مقر بانبيائه فاولئك كان سعيهم مشكورا وقيل تكون طاعتهم مقبولة وقيل شكر الله سبحانه بتضعيف
حسناتهم ويتجاوز عن سياتهم عن قتادة والمعنى انا اجللنا سعيهم محل ما يشكر عليه فى حسن الجزاء وروى عن الحسن انه قال اطلبوا
الاخرة فما رايت طالبا لها الا نالها وربما نال الدنيا وما رايت طالب دنيا نال الاخرة وربما لا ينال الدنيا ايضا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اى
كل واحد من هذين الفريقين ممن يريد الدنيا وممن يريد الاخرة نمدهم اى نزيدهم وقيل كلا نعطى من الدنيا البر والفاجر عن الحسن والمعنى
انا نعطى المؤمن والكافر فى الدنيا واما الاخرة فللمتقين خاصة من عطاء ربك اى نعمة ورزقه وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا وما كان
عطاء ربك محجوبا عن الكافر لكفره ولا عن الفاسق لفسقه فان قيل هل يجوز ان يريد المكلف بعمله العاجل والاجل فالجواب نعم اذا جعل
العاجل تبعا للاجل كالمجاهد فى سبيل الله يقاتل لاعزاز الدين ويحصل الغنيمة تبعا له انظر يا محمد كيف فضلنا بعضهم على بعض بان جعلنا
بعضهم اغنياء وبعضهم فقراء وبعضهم موالى وبعضهم عبيدا وبعضهم اصحاء وبعضهم مرضى على حسب ما علمناه من المصالح وللاخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا اى درجاتها ومراتبها اعلى وافضل قد تستحقه على قدر الاعمال فينبغى ان يكون رغبتهم فى الاخرة وسعيهم لها اكثر
وقد روى ان ما بين اعلى درجات الجنة واسفلها مثل ما بين السماء والارض وفى الاية دلالة على ان الطاعة لا تزيد فى رزق الدنيا وانما
تزيد فى درجات الاخرة لا تجعل مع الله الها اخر قيل ان الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله والمراد به امته وقيل المعنى لا تجعل ايها السامع
او ايها الانسان مع الله الها اخر فى اعتقادك واقرارك ولا فى عبادتك ورهبتك فتقعد مذموما مخذولا معناه فانك ان فعلت ذلك
قعدت وبقيت ما عشت مذموما على لسان العقلاء مخذولا لا ناصر لك يمنع الله نصرة عنك ويكلك الى ما اشركت به وقيل معنى
القعود الذل والخزى والعجز لا الجلوس كما يقال قعد به الضعف عن القتال اى عجز عنه النظم وجه اتصال الاية الاولى بما قبلها
انها اتصلت بقوله حتى نبعث رسولا والمعنى انه لا يعذب الا بعد ارسال الرسل وتقديم الامر والنهى واتمام النعمة فى الاعذار والانذار
ظهور العصيان من الكفار والفجار وقيل انها تتصل بما تقدم من بنى اسرائيل وما فعل بهم فى الكرة الاولى والثانية فبين سبحانه انه انما فعله

بهم مواقع لعادتهم فيهم يريد اهلاككم فانما يهلك القرى اذا امر مترفيها بالطاعة ففسقوا فيكون اهلاكهم باستحقاق لا على الابتداء قوله تعالى
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما
وقل لهما قولا كريما ۝ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ۝ ربكم اعلم بما في نفوسكم ان
تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا ۝ ثلث آيات القراءة يبلغان بالالف وكسر النون كوفي غير عاصم والباقون يبلغن اف
بفتح الفاء ههنا وفي الانبياء والاحقاف مكي شامي ويعقوب وسهل اف بالكسر والتنوين في الجميع مدني وحفص والباقون اف بالكسر
غير منون وفي الشواذ قراءة ابي السماك ساكنة مضمومة غير منونة وقراءة ابن عباس اف خفيفة ساكنة وجناح الذل بكسر الذال الحجة
قال ابو علي اما يبلغن يرتفع احدهما به وقوله كلاهما معطوف عليه والذكر الذي عاد من قوله احدهما يغني عن اثبات علامة الضمير في
يبلغان فلا وجه لقول من قال ان الوجه اثبات الالف لتقدم ذكر الوالدين عنا به الفراء وانما قال الوجه في ذلك انه على الشيء الذي
يذكر على وجه التوكيد ولو لم يذكر لم يقع بترك ذكره اخلال نحو قوله اموات غير احياء فقوله غير احياء توكيد لان قوله اموات يدل عليه
فتكون الالف مجردة لمعنى التثنية ولاحظ للاسمية فيها ويرتفع احدهما او كلاهما بالفعل وقال الزجاج يكون احدهما او كلاهما بدلا من الالف
في يبلغان قال ابو علي من قرا اف بالفتح فانه بناه على الفتح كقولهم سرعان ذا اهالة وهو اسم لسرع ومثله وشكان قال لوشكان ما عشتم
وشتم باخوانكم والعزلم يجمع وكذلك اف اسم للضجر لا يتعدى والنكرة ونحوه لك ومن قرا اف فانه بدخول التنوين يدل على التنكير مثل
ايه وصه ومثله قولهم فلذلك بنيه على الكسر وان كان في الاصل مصدرا كما كان افة في الاصل مصدر من قولهم افه وتفه يريدون نتنا
وقذرا ومن قرا اف ولم ينون جعله معرفة فلم ينون كما ان من قال صه وعاق فلم ينون اراد به المعرفة فان قلت ما موضع اف في هذه اللغات
بعد القول هل يكون موضعه نصبا كما ينتصب المفرد بعده او يكون كما يكون للجمل فالقول ان موضعه موضع الجمل كما انك لو قلت رويد
لكان موضعه موضع الجمل قال الزجاج في اف سبع لغات اف بالضم منونا وغير منون واف بالكسر منونا وغير منون واف وافا وافي محالم
وزاد ابن الانباري واف خفيفة ساكنة واف خفيفة مفتوحة قال ابو الحسن وقول الذين قالوا اف اكثر واجود ولو قلت اف لك فقالت
لاحتمل وجهين احدهما ان يكون الذي صار اسما للفعل لحقه التنوين علامة للتنكير والآخر ان يكون نصبا معربا وكذلك الضم فان لم يكن
معه لك كان ضعيفا الا ترى انك لا تقول ويل ولو قلته لم يستقم حتى توصل بلك فيكون في موضع الخبر والذل ضد الصعوبة والذل
ضد العز وهو لك في الدابة والثاني في الانسان الاعراب قوله وبالوالدين احسانا العامل في الباء قضى والتقدير وقضى بالوالدين احسانا
ويجوز ان يكون على تقدير واوصى بالوالدين وحذف لدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر عجبت من دهماء اذ تشكونا ومن ابي دهماء
اذ يوصينا خيرا بها كانما جافونا فاعمل يوصينا في الخير كما ربياني صغيرا اي كرحمة تربيتهما اي رحمة تحدث بعد التربية كما تقول
ضرب التلف وقيل الكاف بمعنى على اي ارحمهما على ما ربياني عن الاخفش وكذا قال في قوله كما امرت اي على ما امرت ان تكونوا صالحين
فانه كان للاوابين منكم غفورا لخذف ويجوز ان يكون كان لكم فوضع الظاهر موضع المضمر لانهم الصالحون المعنى لما تقدم النهي
عن الشرك والمعاصي عقبه سبحانه بالامر بالتوحيد والطاعات فقال سبحانه وقضى ربك اي امر ربك امرا قاطعا عن ابن عباس والحسن
وقتادة وقيل الزم واوجب ربك عن الربيع بن انس وقيل اوصى عن مجاهد الا تعبدوا الا اياه ومعناه ان تعبدوه ولا تعبدوا
غيره فان قيل ان الامر لا يكون امرا بان لا يكون الشيء لان الامر يقتضي ارادة المأمور به والارادة لا تتعلق بان لا يكون الشيء انما تتعلق
بحدوث الشيء فالجواب ان المعنى اراد منكم عبادته على وجه الاخلاص وكره منكم عبادة غيره وعبر عن ذلك بقوله امر الا تعبدوا الا اياه
وبالوالدين احسانا اي وقضى بالوالدين احسانا واوصى بالوالدين احسانا ومعناهما واحد لان الوصية امر اما يبلغن عندك الكبر
احدهما او كلاهما يعني به الكبر في السن والمعنى ان عاشا عندك ايها الانسان المخاطب حتى يكبرا او عاش احدهما حتى يكبر يريد ان بلغا
في السن مبلغا يصيران بمنزلة الطفل الذي يحتاج الى متعهد وخص حال الكبر وان كان من الواجب طاعة الوالدين على كل حال
لان الحاجة اكثر في تلك الحال الى التعهد والخدمة وهذا مثل قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا مع ان الناس كلهم يتكلمون في حال الكهولة
والوجه فيه انه سبحانه اخبر ان عيسى عم يكلم الناس في المهد وانه لعيسى حتى يكهل ويتكلم بعد الكهولة ومحذ لك قوله والعرب يومئذ

خمس

لله ولهذا خص ذلك اليوم لانه لا يملك فيه احد سواه وقيل ان الكبر فى الآية راجع الى المخاطب اى ان بلغت حال الكبر وهو حال التكليف
وقد بقى معك ابواك او احدهما فلا تقل لهما اف وروى عن على بن موسى الرضا ع عن ابيه عن جده عن ابى عبد الله ع قال لو علم الله لفظة
اوجز فى ترك عقوق الوالدين من اف لاتى به وفى رواية اخرى عنه قال ادنى العقوق اف ولو علم الله شيئا اهون منه لنهى عنه وفى خبر آخر
فليعمل العاق ما شاء ان يعمل فلن يدخل الجنة فالمعنى لا تؤذهما بقليل ولا كثير قال مجاهد معناه ان بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويحدثان
فلا تستقذرهما واعط عنهما كما كانا يميطان عنك فى حال الصغر والمبترم يقول اف وهى كلمة تدل على الضجر وقيل ان الاف والتف وسخ الاصابع
اذا فتلته عن ابى عبيد وقيل هى كلمة كراهة عن ابن عباس وقيل معناه النتن وجاء فى المثل ابرص النسر فالوا لان النسر اذا كبر ولم ينهض
للطيران جاء الفرخ ونقر كما كان ابواه يزقانه ولا تنهرهما اى لا تزجرهما باغلاظ وصياح وقيل معناه لا تمنعهما من شئ ارادا منك كما قال
واما السائل فلا تنهر وقل لهما قولا كريما اى وخاطبهما بقول رفيق لطيف حسن جميل بعيد عن اللغو والقبيح يكون فيه كرامة لهما ويدل
على كرامة المقول له على القائل وقيل معناه قل لهما قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ عن سعيد بن المسيب واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة اى وبالغ فى التواضع والخضوع لهما قولا وفعلا برا بهما وشفقة عليهما والمراد بالذل هاهنا اللين والتواضع دون الهوان
من خفض الطائر جناحه اذا ضم فرخه اليه فكانه سبحانه قال ضم ابويك الى نفسك كما كانا يفعلان بك وانت صغير واذا وصفت
العرب انسانا بالسهولة وترك الاباء قالوا هو خافض الجناح قال ابو عبد الله ع معناه لا تملأ عينيك من النظر اليهما الا برحمة ورقة
ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا يديك فوق ايديهما ولا تتقدم قدامهما وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا معناه ادع لهما بالمغفرة
والرحمة فى حياتهما وبعد موتهما جزاء لتربيتهما اياك فى صباك وهذا اذا كانا مؤمنين وفى هذا دلالة على ان دعاء الولد لوالده
الميت مسموع والالم يكن للامر به معنى وقيل ان الله تعالى اوصى الابناء بالوالدين لقصور شفقتهم ولم يوص الابوين بالابناء لوفور
شفقتهم وذكر حال الكبر لانهما احوج فى تلك الحال الى البر لضعفهما وكونهما كلا على الولد وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وآله قال
رغم انفه قالوا من يا رسول الله قال من ادرك ابويه عند الكبر احدهما او كليهما ولم يدخل الجنة اورده مسلم فى الصحيح وروى ابو اسيد
الانصارى قال ما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال يا رسول الله هل بقى من بر ابوى شئ ابرهما به بعد موتهما
قال نعم الصلوة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما قال قتادة هكذا
علمتم وبهذا امرتم فخذوا بتعليم الله وادبه ربكم اعلم بكم اى اكثر معلوما وقيل اثبت علما فانه سبحانه اعلم بان الجسم حادث من الانسان
العالم بذلك بما فى نفوسكم اى بما تضمرونه من البر والعقوق فمن بدرت منه نادرة وهو لا يضمر عقوقا غفر الله له ذلك وقيل معناه انه
اعلم بجميع ما فى ضمائركم وهذا اوجه ان تكونوا صالحين اى طائعين له فانه كان للاوابين غفورا اى الاواب التواب المتعبد الراجع
عن ذنبه عن مجاهد وروى ذلك عن ابى عبد الله ع وقيل ان الاوابين المطيعون المحسنون عن قتادة وقيل انهم الذين يذنبون ثم
يتوبون ثم يذنبون ثم يتوبون عن سعيد بن المسيب وقيل انهم الراجعون الى الله فيما ينوبهم عن ابن عباس وقيل هم المسبحون عن ابن
عباس فى رواية اخرى ويعضده قوله تعالى يا جبال اوبى معه وقيل انهم الذين يصلون بين المغرب والعشاء روى ذلك مرفوعا وروى
هشام بن سالم عن ابى عبد الله ع قال صلوة اربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بخمسين مرة قل هو الله احد هى صلوة الاوابين قوله تعالى
وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا
وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ
فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا خمس آيات اللغة التبذير التفريق
بالاسراف واصله ان يفرق كما يفرق البذر الا انه اختص بما يكون على سبيل الافساد وما كان على وجه الاصلاح لا يسمى تبذيرا وان
كثر قال النابغة ترائب تستضئ الحلى فيها كجمر النار بذر بالظلام والاعراض صرف الوجه عن الشئ وقد يكون عن قلى وقد يكون للاشتغال
بما هو الاولى وقد يكون للاذلال كما قال واعرض عن الجاهلين واصل الحسر الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا اذا كشف عنه
والحسرة الغم لانحسار ما فات ودابة حسير اذا كلت لشدة السير لانحسار قوتها بالكلال ومنه قوله ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير

والمحسور المنقطع به لذهاب ما في يده والخسارة عنه قال الهذلي ان العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور ويقال
حسرت الرجل بالمسئلة اذا افنيت جميع ما عنده الاعراب واما تعرضن تقديره وان تعرض وما زائدة وابتغاء مفعول له وقيل هو مصدر
وضع موضع الحال اي مبتغيا رحمة من ربك ترجوها اي راجيا اياها وترجوها جملة في موضع الجر يكون صفة لرحمة ويجوز ان تكون في
موضع النصب على الحال من الضمير في تعرضن المعنى ثم حث سبحانه على ايتاء الحقوق لمن يستحقها وعلى كيفية الانفاق فقال وآت
ذا القربى حقه معناه واعط القرابات حقوقهم التي اوجبها الله لهم من اموالكم عن ابن عباس والحسن وقيل المراد به قرابة الرسول صلى الله عليه وآله
عن السدي قال ان علي بن الحسين ع قال لرجل من اهل الشام حين بعث به عبيد الله بن زياد الى يزيد بن معوية اقرات القرآن قال نعم
قال اما قرات وآت ذا القربى حقه قال وانكم ذوو القربى الذين امر الله ان يؤتوا حقهم قال نعم وهو الذي رواه اصحابنا عن الصادقين عليهم السلم
واخبرنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قراءة قال حدثنا الحاكم ابو القسم عبيد الله الحسكاني قال حدثنا الحاكم الواحد ابو محمد قال حدثنا
عمر بن احمد بن عثمان ببغداد شفاها قال اخبرنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال حدثنا جعفر بن محمد الاحمسي قال حدثنا حسن بن حسين
قال حدثنا ابو معمر سعيد بن خثيم وعلي بن القسم الكندي ويحيى بن يعلى بن علي بن مسهر عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابي سعيد
الخدري قال لما نزلت قوله وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلم فدك قال عبد الرحمن بن صالح كتب
المأمون الى عبيد الله بن موسى يساله عن قصة فدك فكتب اليه عبيد الله بهذا الحديث رواه عن الفضيل بن مرزوق عن عطية فرد
المأمون فدك على ولد فاطمة والمسكين وابن السبيل معناه وآت المسكين حقه الذي جعله الله له من الزكوة ونحوها وآت المجتاز المنقطع
عن بلاده حقه ايضا ولا تبذر تبذيرا قيل ان التبذير ان ينفق المال في غير حقه عن ابن عباس وابن مسعود وقال مجاهد لو انفق مدا في
باطل كان مبذرا ولو انفق جميع ماله في الحق لم يكن مبذرا وروي عن ابي عبد الله ع ان امير المؤمنين علي عليه السلم قال لعماله كونوا لله
للمؤمنين وان خير المطايا امثلها واسلمها ظهرا ولا تكن من المبذرين ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين معناه ان المسرفين اتباع
الشياطين سالكون طريقتهم وهذا كما يقال لمن لازم السفر هو اخو السفر وقيل معناه انهم قرناء الشياطين في النار وكان الشيطان
لربه كفورا اي كان الشيطان في قديم مذهبه كثير الكفر بكفر مرة بعد اخرى واما تعرضن عنهم اي وان تعرض عن هؤلاء الذين امرتك بايتاء
حقوقهم عند مسئلتهم اياك لانك لا تجد ذلك حياء منهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اي لتبتغي الفضل من الله والسعة التي تملك معها
البذل تامل تلك السعة وذلك الفضل فقل لهم قولا ميسورا اي عدهم عدة حسنة وقل لهم قولا سهلا لينا بتيسير عليك وروي ان النبي
صلى الله عليه وآله كان لما نزلت هذه الآية اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله واياكم من فضله ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك اي لا تكن ممن لا يعطي شيئا ولا يهب فتكون بمنزلة من يده مغلولة الى عنقه لا يقدر على الاعطاء والبذل وهذا مبالغة في النهي
عن الشح والامساك ولا تبسطها كل البسط اي ولا تعط ايضا جميع ما عندك فتكون بمنزلة من بسط يده حتى لا يستقر فيها شيء وهذا
كناية عن الاسراف فتقعد ملوما تلوم نفسك وتلام محسورا منقطعا بك ليس عندك شيء عن السدي وابن عباس وقيل عاجزا نادما
عن قتادة وقيل محسورا من الثياب والمحسور العريان عن ابي عبد الله ع وقيل معناه ان امسكت قعدت ملوما مذموما وان اسرفت
بقيت محسورا مغموما عن الجبائي وقال الكلبي لا تعط ما عندك جميعا فيجيء الآخرون يسألونك فلا تجد ما تعطيهم فيلومونك وروي
ان امرأة ارسلت ابنها الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت له قل له ان امي تستكسيك درعا فان قال حتى يأتينا شيء فقل له انها
تستكسيك قميصك فاتاه فقال ما قالت له فنزع قميصه فدفعه اليه فنزلت الآية ويقال انه ع بقي في البيت اذ لم يجد شيئا يلبسه
ولم يمكنه الخروج الى الصلوة فلامه الكفار وقالوا ان محمدا اشتغل بالنوم واللهو عن الصلوة ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
اي يوسع ويضيق بحسب المصلحة مع سعة خزائنه انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي عالما باحوالهم بصيرا بمصالحهم فيبسط لواحد ويضيق
على آخر يدبرهم على ما يراه من الصلاح النظم وانما اتصلت هذه الآية الاخيرة بما قبلها من حيث ان فيها حثا على الاعطاء اعتمادا
على الله تعالى ونهيا عن البخل وحثا على القصد اذ هو سبحانه مع غناه وكمال قدرته يوسع مرة ويضيق مرة اخرى مراعيا للمصلحة فمن
هو دونه اولى ان يراعي الصلاح ويسلك طريق القصد قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان

قتلهم كان خطأً كبيرا ۞ ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ۞ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ۞ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده
واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا ۞ واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا ۞ خمس آيات القراءة
قرا ابو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان كان خطا بفتح الخاء والطاء من غير الف بعدها وقرا ابن كثير خطاء بكسر الخاء ممدود والباقون
خطأ بكسر الخاء من غير مد وفي الشواذ قراءة الزهري وابي رجا خطا بكسر الخاء غير ممدود وقراءة الحسن خطاء بالمد في رواية اخرى خطا بفتح
الخاء والطاء خفيفا وقرا اهل الكوفة غير عاصم فلا يسرف بالتاء والباقون بالياء وقرا اهل الكوفة غير ابي بكر القسطاس بكسر القاف والباقون بضمها
الحجة الخطا ما لم يتعمد وكان المأثم فيه موضوعا عن صاحبه قال ابو علي قالوا خطأ في معنى خطئ مثل قوله عبادك يخطئون وانت رب
كريم لا يليق بك الذموم فجرى الكلام انهم خاطئون وفي التنزيل لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا والمؤاخذة عن المخطئ موضوعة فهذا يدل
على ان اخطأنا في موضع خطئنا وكما جاء اخطأ في موضع خطأ كذلك جاء خطئ في موضع اخطأ في قوله يا لهف هند اذ خطئن كاهلا وفي قول
الآخر والناس يلحون بالامير اذا اخطأوا الصواب ولا يلام المرشد وكذلك قراءة ابن عامر خطأ في معنى خطئ كما جاء خطئ بمعنى اخطأ ويجوز ان
يكون الخطا بمعنى الخطأ ايضا كالمثل والمثل والشبه والشبه والبدل والبدل واما قراءة ابن كثير خطاء فانه يجوز ان يكون مصدر خاطأ وان
لم يسمع خاطأ ولكن جاء ما يدل عليه وهو قوله تخاطأت النبل احشاءه قال وانشدنا محمد بن السري في وصف كماة واشعث قد ناولته
احرش القرى ادرت عليه المرهصات الهواضيب تخطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب فتخاطأ يدل على خاطأ لانه تفاعل
مطاوع وفاعل كما ان يفعل مطاوع فعل ووجه من قرا خطأ بين فانه يقال خطئ يخطأ خطأ وخطأ وخطئا في الدين واخطأ الغرض ونحوه وقد يتداخلان
اذا تعمد الشيء والفاعل منه خاطئ وقد جاء الوعيد فيه في قوله نعم لا يأكله الا الخاطئون واما خطاء فهو اسم بمعنى المصدر من اخطأت كالعطاء
من اعطيت وقال ابن جني يقال خطئ يخطأ خطأ وخطأ وخطاء في الدين واخطأ الغرض ونحوه وقد يتداخلان واما خطاء وخطا فتخفيف
خطأ وخطاء قال ابو علي واما قوله فلا يسرف في القتل بالياء فان فاعل يسرف يجوز ان يكون على وجهين احدهما ان يكون القاتل الاول فيكون
تقديره فلا يسرف القاتل في القتل ويكون مضمرا وان لم يجر له ذكر لان الحال يدل عليه فان قلت كيف يكون في القتل قصد بين شيئين حتى ينهى عن
الاسراف الذي هو ترك القصد فالجواب انه لا يمتنع ان يكون فيه الاسراف كما جاء في اموال اليتامى ولا تاكلوها اسرافا ولم يجز ان يوكل لا على الاقتصاد
ولا على غيره لقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية فكذلك لا يمتنع ان يقال للقاتل الاول لا يسرف في القتل لانه يكون بقتله مسرفا ويكون
الضمير على هذا في قوله انه كان منصورا كقوله ومن قتل مظلوما تقديره فلا يسرف القاتل المبتدئ بقتله في القتل لان من قتل مظلوما كان منصورا
بان يقتص له وليه او السلطان ان لم يكن له ولي غيره فيكون هذا ردعا للقاتل عن القتل كما ان قوله ولكم في القصاص حيوة كذلك فالولي
اذا اقتص فانما يقتص للمقتول ومنه انتقل الى الولي يدل لان المقتول لو ابرأ من السبب المؤدي الى القتل لم يكن للولي ان يقتص ولو صالح
الولي عن القتل على مال كان للمقتول ان يؤدي منه دينه ولا يمتنع ان يقال في المقتول منصورا لانه قد جاء ونصرناه من القوم الذين كذبوا
باياتنا والآخر ان يكون في يسرف ضمير الولي اي فلا يسرف الولي في القتل واسرافه فيه ان يقتل غير الذي قتل او يقتل اكثر من قاتل وليه وقد
كان مشركوا العرب يفعلون ذلك والتقدير فلا يسرف الولي في القتل ان الولي كان منصورا بقتل قاتل وليه والاقتصاص من القاتل ومن
قرا فلا تسرف بالتاء احتمل وجهين ايضا احدهما ان يكون المبتدئ للقاتل ظلما فقيل له لا تسرف ايها الانسان فتقتل ظلما من ليس لك قتله
لان من قتل مظلوما كان منصورا باخذ القصاص له والآخر ان يكون الخطاب للولي فيكون التقدير فلا تسرف ايها الولي في القتل فتتعدى من
قاتل وليك الى من لم يقتله ان المقتول ظلما كان منصورا وكل واحد من المقتول ظلما ومن ولي المقتول قد تقدم ذكره في قوله ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لوليه سلطانا واما القسطاس والقسطاس فيها لغتان مثل القرطاس والقرطاس والضم اكثر المعنى ثم عطف سبحانه على
ما تقدم فقال ولا تقتلوا اولادكم اي بناتكم خشية املاق اي خوف فقر وعجز عن النفقة عليهن ويحتمل ان يكون ولا تقتلوا منصوبا عطفا على
قوله ان لا تعبدوا ويجوز ان يكون على النهي فيكون مجزوما وانما نهاهم الله عن ذلك لانهم كانوا يئدون البنات يدفنونهن احياء نحن
نرزقهم واياكم اخبر سبحانه انه متكفل برزق اولادهم ورزقهم ان قتلهم كان خطأً كبيرا يعني ان قتلهم في الجاهلية كان اثما عظيما عند الله

خمس

وهو اليوم كذلك ولا تقربوا الزنا وهو وطي المراة حراما بلا عقد ولا شبهة عقد انه كان فاحشة اى معصية كبيرة عظيمة والمراد انه كان عندهم فى الجاهلية فاحشة وهو الآن كذلك ومثل هذا فى القرآن كثير وساء سبيلا اى وبئس الطريق الزنا وفيه اشارة الى ان العقل يقبح الزنا من حيث انه لا يكون للولد نسب اذ ليس بعض الزناة اولى به من بعض فيودى الى قطع النسب والانساب وابطال المواريث وابطال صلة الرحم وعقوق الآباء على الاولاد وذلك مستنكر فى العقول واخبرنى المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن على قال حدثنا الشيخ ابو جعفر الطوسى قال حدثنا ابو عبد الله الحسين بن احمد بن حبيب الفارسى عن ابى بكر محمد بن احمد بن محمد الجرجانى قال سمعت ابا عمرو عثمن بن الخطاب المعروف بابى الدنيا يقول سمعت على بن ابى طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فى الزنا ست خصال ثلث فى الدنيا وثلث فى الآخرة فاما اللواتى فى الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفناء واما اللواتى فى الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب والدخول فى النار او الخلود فى النار ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وهو ان يجب عليه القتل اما الكفر او ردة او لانه قتل نفسا بغير حق او زنا وهو محصن ومن قتل مظلوما بغير حق فقد جعلنا لوليه سلطانا اى فقد آتينا لوليه سلطانا القود على القاتل او الدية او العفو عن ابن عباس والضحاك وقيل سلطان القود عن قتادة فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا مر تفسيره قبل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده فسرناه فى سورة الانعام واوفوا بالعهد اى بالوصية بمال اليتيم وغيرها وقيل ان كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد فقد يجب الشئ ايضا للنذر والعهد به وان لم يجب ابتداء وانما يجب عند العقد ان العهد كان مسئولا عنه للجزاء عليه فحذف عنه لانه مفهوم وقيل معناه ان العهد يسأل فيقال لم نقضت كما تسأل الموؤدة باى ذنب قتلت واوفوا الكيل اذا كلتم اى اتموه ولا تبخسوا منه ومعناه واوفوا الناس حقوقهم بالكيل اذا كلتم عليهم حقوقهم وزنوا بالقسطاس وهو الميزان صغيرا او كبيرا عن الزجاج وقيل هو القبان عن الحسن وقيل هو العدل بالرومية عن مجاهد فيكون محمولا على موافقة اللغتين المستقيم الذى لا بخس فيه ولا غبن ذلك خير واحسن تاويلا عن قتادة وقيل اقرب الى الله عن عطاء وقيل معناه ان ايفاء الكيل والوزن خير لكم فى دنياكم فانه يكسب اسم الامانة فى الدنيا واحسن تاويلا اى واحسن عاقبة فى الآخرة وعن ابن عباس انه يؤول اذا رجع حث الله سبحانه بهذه الآية على اتمام الوزن والكيل فى المعاملات والمبايعات وايفاء حقوق العباد قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما خمس آيات القراءة قرا ابن عامر واهل الكوفة كان سيئه بضم الهمزة مضافا الى الهاء وقرا الباقون سيئة منصوبا منونا غير مضاف الحجة من قرا سيئة مضافا قال لانه قد تقدم ذكر امور منهى عنها ومنها حسن وخص الله سبحانه السئ منها بانه مكروه عنده لانه عز اسمه لا يكره الحسن ويقوى ذلك قوله مكروها ولو كان سيئة غير مضاف لوجب ان يكون مكروهة فان قيل ان التانيث غير حقيقى فلا يمتنع ان يذكر قيل ان ههنا التذكير لا يحسن وان لم يكن حقيقيا لان المؤنث قد تقدم ذكره فان قوله ولا ارض ابقل ابقالها مستقبح عندهم ولو قال ابقل ارض لم يستقبح وذلك ان المتقدم الذكر ينبغى ان يكون الراجع اليه وفقه كما يكون وفقه فى التثنية والجمع واذا لم يتقدم له ذكر لم يلزم ان يراعى ذلك ومن قرا سيئة فانه يشبه ان يكون لما راى الكلام انقطع عند قوله واحسن تاويلا وكان الذى بعده من قوله ولا تقف ما ليس لك به علم لا امر حسنا فيه قال كل ذلك كان سيئة فافرد ولم يضف فان قلت كيف ذكر المؤنث ثم قال مكروها فانه يجوز ان لا يجعل مكروها صفة لسيئة ولكن يجعله بدلا ولا يلزم ان يكون فى البدل ذكر المبدل منه كما يجب ذلك فى الصفة ويجوز ان يكون مكروها حالا من الذكر الذى فى قوله عند ربك على ان يجعل عند ربك صفة للنكرة قال النحوى البصير ليس هذا بصحيح لان الضمير الذى فى الظرف مؤنث كما ان سيئة مؤنث فيلزم منه ما لزم من الاول اذا جعله صفة لسيئة وان حمله على التانيث غير الحقيقى يجئ منه ما قال فى قوله ولا ارض ابقل ابقالها اللغة القفو اتباع الاثر ومنه القيافة فكانه يتبع قفا المتقدم قال ومثل الذى شم العرانين ساكن بهن الحيا لا يسعى القيافيا اى التقاوف قال ابو عبيد القفو العضيهة يقال قافه يقوفه وقفاه يقفوه بمعنى مثل جذب وجبذ واصل الخرق القطع ورجل خرق يتخرق فى السخاء والخرق الفلاة لانقطاع اطرافها بتباعدها

عشر ٤

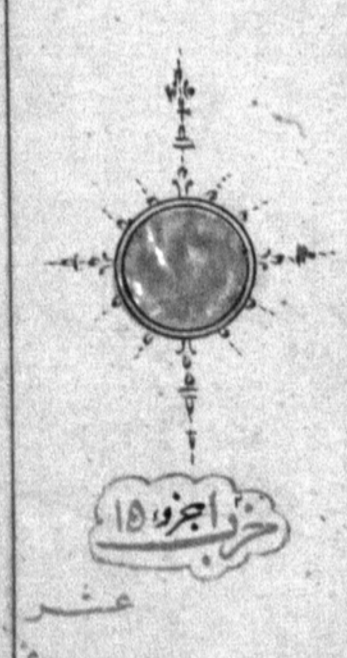
قال

قال رؤبة وقاتم الاعماق خاوى المخترق اى خاوى المقطع والمرح شدة الفرح الاعراب قال كل اولئك لان اولئك وهؤلاء للجمع
القليل من المذكر والمؤنث واذا اريد الكثير يقال كل هذه وتلك قال الشاعر ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام فاولئك لا
تكون اشارة الى العقلاء بل تكون اشارة الى غيرهم وقوله كان عنه مسئولا الهاء يعود الى كل اى يسأل عن استعمال هذه الاشياء صاحبها وان
شئت كان الهاء يعود الى الانسان اى يسأل عن الانسان فيما استعمل هذه الاشياء ويكون فى المسئول ضمير يعود الى كل وقدره ابو على ان افعال
السمع والبصر والفؤاد كل افعال اولئك طولا مصدر وضع موضع الحال امام الفاعل فى لن تبلغ او من الجبال وجوز الامرين ابو على فتلقى
منصوب باضمار ان لكونه جواب النهى بالفاء ملوما مدحورا نصب على الحال ومرحا نصب على التميز ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال
كقولهم جاء زيد ركضا وجاء زيد راكضا وركضا اوكد فى الاستعمال لان ركضا يدل على توكيد الفعل وتقديره يركض ركضا وعلى هذا
يكون معناه ولا تمش فى الارض مختالا وقيل ان طولا نصب على التميز المعنى ثم قال سبحانه ولا تقف ما ليس لك به علم معناه ولا
تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه لا تقل فى قفا غيرك شيئا اذا مر بك فلا تغتبه
عن الحسن وقيل هو شهادة الزور عن محمد بن الحنفيه والاصل انه عام فى كل قول وفعل وعزم يكون على غير علم فكانه سبحانه قال لا تقل
الا ما تعلم انه مما يجوز ان يقال ولا تفعل الا ما تعلم انه يجوز ان يفعل ولا تعتقد الا ما تعلم انه يجوز ان يعتقد وقد استدل جماعة من اصحابنا
بهذا على ان العمل بالقياس وبخبر الواحد غير جائز لانهما لا يوجبان العلم وقد نهى الله تع عن اتباع ما هو غير معلوم ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا معناه ان السمع يسأل عما سمع والبصر عما رأى والقلب عما عزم عليه ذكر سبحانه السمع والبصر والفؤاد
والمراد ان اصحابها هم المسئولون ولذلك قال كل اولئك وقيل ان المعنى اولئك الجوارح تسأل عما فعل بها قال الوالبى عن ابن عباس يسأل
الله العباد فيما استعملوها وروى على بن ابرهيم فى تفسيره عن ابيه عن الحسن بن محبوب عن ابى حمزة الثمالى عن ابى جعفر ع قال قال رسول الله
لا تزول قدم عبد يوم القيمة بين يدى الله تعالى حتى يسأل عن اربع خصال عمرك فيما افنيته وجسدك فيما ابليته ومالك من اين كسبته
واين وضعته وعن حبنا اهل البيت ولا تمش فى الارض مرحا معناه لا تمش على وجه الارض بالبطر والخيلاء والتكبر قال الزجاج معناه
لا تمش فى الارض مختالا فخورا وقيل ان المرح شدة الفرح بالباطل انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا هذا مثل ضربه الله تعالى قال
انك ايها الانسان لن تشق الارض من تحت قدميك بكبرك ولن تبلغ الجبال بتطاولك والمعنى انك لن تبلغ مما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك ان
تبلغ هذا فما وجه المثابرة على ما هذا سبيله مع ان الحكمة زاجرة عنها وانما قال ذلك لان من الناس من يمشى فى الارض بطرا يدق قدميه عليها
ليرى بذلك قدرته وقوته ويرفع راسه وعنقه فبين سبحانه انه ضعيف مهين لا يقدر ان يخرق الارض بدق قدميه عليها حتى ينتهى الى
آخرها وان طوله لا يبلغ طول الجبال وان كان طويلا علم الله سبحانه عبادة التواضع والتؤدة والوقار كل ذلك اشارة الى جميع ما تقدم ذكره
مما نهى الله سبحانه عنه فى هذه الآيات كان سيئه اى معصيته عند ربك مكروها له سبحانه عنه يكرهها ولا يريدها ولا يرضاها وعلى
القراءة الثانية فيكون ذلك اشارة الى جميع ما امر به من الحسنات ونهى عنه من المقبحات اى كان سيئ ما سبق من هذه الاشياء مكروها
عند ربك وفى هذا دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة فان الله سبحانه صرح بانه يكره المعاصى والسيئات واذا كرهها فكيف يريدها فان من المحال
ان يكون الشئ الواحد مرادا مكروها عنده ذلك الذى تقدم ذكره من الاوامر والنواهى مما اوحى اليك ربك يا محمد من الحكمة المؤدية الى المعرفة
بالحسن والقبيح والفرق بينهما ولا تجعل مع الله الها آخر فى اقوالك وافعالك والخطاب للنبى صلى الله عليه وآله والمراد به غيره ليكون ابلغ فى
الزجر كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك فتلقى اى فتطرح بمعنى انك اذا فعلت ذلك القيت وطرحت فى جهنم ملوما يلومك الناس مدحورا
اى مطرودا مبعدا عن رحمة الله تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملئكة اناثا هذا خطاب لمن جعل الملائكة بنات الله ومعناه اخلصكم الله
سبحانه البنين وخصكم بهم واتخذ لنفسه البنات وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه فاختصكم بالارفع وجعل لنفسه الادون يقول
اصفيت فلانا بالشئ اذا آثرته به انكم لتقولون قولا عظيما اى كبيرا فى الاثم واستحقاق العقوبة حيث اضفتم الى الله سبحانه ما لم ترضوا لانفسكم بان
جعلتم الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم دون خلق الله وهم خلق الاناث قوله تع وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ
إِلَّا نُفُورًا قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ

وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا اربع آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم ليذكروا ساكنة الذال
خفيفة وفي سورة الفرقان مثله والباقون ليذكروا بفتح الذال والكاف وتشديدهما في السورتين وقرا كما تقولون بالتاء تسبح له
بالياء اهل المدينة والشام وابو بكر وقرا اهل البصرة كما تقولون بالتاء عما يقولون بالياء تسبح له بالتاء وقرا حفص عما تقولون وكما يقولون بالياء
يسبح بالتاء وقرا الجميع بالياء ابن كثير وقرا الجميع بالتاء حمزة والكسائي وخلف الحجة قال ابو علي حجة من قال ليذكروا قوله ولقد وصلنا
لهم القول لعلهم يتذكرون والتدبر هنا اشبه من الذكر لانه كان يراد به التذكر وليس يراد الذكر الذي بعد نسيان ولكنه كما قال كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم بل المراد ليتدبروه بعقولهم ووجه التخفيف ان
التخفيف قد جاء في هذا المعنى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم فهذا ليس على معنى لا تنسوه ولكن تدبروه ومن قرا كما يقولون بالياء
فالمعنى كما يقول المشركون من اثبات الالهية من دونه فهو مثل قوله قل للذين كفروا ستغلبون لانهم غيب فاما من قرا سبحانه وتعالى عما يقولون
فانه يحتمل وجهين احدهما ان يعطف على كما يقولون والآخر ان يكون نزه سبحانه عن دعوتهم فقال سبحانه وتعالى عما يقولون ومن قرا كما
تقولون بالتاء وعما يقولون بالياء فان الاول على ما تقدم والثاني على انه نزه نفسه عن قولهم ويجوز عن حمله على القول كانه قال قل انت
سبحانه وتعالى عما تقولون واما قوله يسبح له السموات فكل واحد من التاء والياء حسن المعنى ثم احتج سبحانه على الذين تقدم ذكرهم
ولقد صرفنا اي كررنا الدلايل وفصلنا المعاني والامثال وغيرها مما يوجب الاعتبار به في هذا القرآن ليذكروا اي ليتفكروا فيها فيعلموا
الحق وحذف ذكر الدلايل والعبر لدلالة الكلام عليه وعلم السامع به وما يزيدهم الا نفورا اي وما يزداد هؤلاء الكفار عند تصريف الامثال
والدلايل لهم الا تباعدا عن الاعتبار ونفورا عن الحق واضاف النفور الى القرآن لانهم ازدادوا النفور عند نزوله كقوله فلم يزدهم دعائي
الا فرارا فان قيل اذا كان المعلوم انهم يزدادون النفور عند انزال القرآن فما المعنى في انزاله وما وجه الحكمة فيه قيل الحجة فيه الزام الحجة
وقطع المعذرة في اظهار الدلايل التي تحسن التكليف وانه عدا انزاله جميع ما كانوا يصلحون عند علم انزاله ولو لم ينزل لكان هؤلاء
الذين نفروا عن الايمان يفسدون فسادا اعظم من هذا النفور فالحكمة اقتضت انزاله لهذه المعاني وانما ازدادوا نفورا عند مشاهدة
الآيات والدلايل لاعتقادهم انها شبهة وحيل وقلة تفكرهم فيها قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو كان معه آلهة كما يقولون او تقولون
انتم على القراءتين اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا اي لطلبوا طريقا يقربهم الى مالك العرش والتمسوا الزلفة عنده لعلمهم بعلوه
عليهم وعظمته عن مجاهد وقتادة وقال اكثر المفسرين معناه لطلبوا سبيلا الى معازة مالك العرش ومغالبته ومنازعته
فان المشتركين في الالهية يكونون متساويين في صفات الذات ويطلب احدهما مغالبة صاحبه ليصفو له الملك وفي هذا اشارة
الى دليل التمانع ثم نزه سبحانه نفسه من ان يكون له شريك في الالهية فقال سبحانه وتعالى عما يقولون اي عن قولهم علوا كبيرا وانما لم
يقل تعاليا كبيرا لانه وضع مصدرا مكان مصدر نحو قوله وتبتل اليه تبتيلا ومعنى تعالى ان صفاته في اعلى المراتب ولا مساوي له فيها
لانه قادر لا احد اقدر منه وعالم لا احد اعلم منه وخص العرش باضافته اليه تعظيما للعرش ويجوز ان يريد بالعرش الملك يسبح
له السموات السبع والارض ومن فيهن معنى التسبيح ههنا الدلالة على توحيد الله وعدله وانه لا شريك له في الالهية وجرى ذلك
مجرى التسبيح باللفظ وربما يكون التسبيح من طريق الدلالة اقوى لانه يؤدي الى العلم وان من شيء الا يسبح بحمده اي ليس شيء من
الموجودات الا ويسبح بحمد الله تعالى من جهة خلقته اذ كل موجود سوى القديم حادث يدعو الى تعظيمه لحاجته الى صانع غير مصنوع
صنعه او صنع من صنعه فهو يدعو الى تثبيت قديم غني بنفسه عن كل شيء سواه ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات وقيل ان معناه
وما من شيء من الاحياء الا يسبح بحمده عن الحسن وقيل ان كل شيء على العموم من الوحوش والطيور والجمادات يسبح الله تعالى حتى صرير
الباب وخرير الماء عن ابرهيم وجماعة ولكن لا تفقهون تسبيحهم اي لا تعلمون تسبيح هذه الاشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيفية دلالتها
على توحيده انه كان حليما يمهلكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفركم غفورا اذا الكم تبتم وانبتم اليه قوله تع وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا
بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ۝ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي
الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ۝ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا

انظر

انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اربع آيات اللغة الوقر بالفتح الثقل فى الاذن وبالكسر الحمل والاصل فيه الثقل الا انه
خولف بين البنائين للفرق والنفور جمع نافر وهذا الجمع قياس فى كل فاعل اشتق من فعل مصدر على فعول مثل ركوع وسجود وشهود والنجوى
مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمونث وهو مقر على لفظه الاعراب قوله ان يفقهوه فى موضع نصب بانه مفعول له
على كراهة ان يفقهوه نفورا نصب على الحال تقديره ولوا نافرين وقيل انه مصدر ولوا اخرج على غير لفظه لان معنى ولوا نفروا فكانه قال
نفروا نفورا النزول قيل نزلت قوله واذا قرأت القرآن الآية فى قوم كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وآله بالليل اذا تلى القرآن وصلى عند
الكعبة وكانوا يرمونه بالحجارة ويمنعونه عن دعاء الناس الى الدين فحال الله سبحانه بينه وبينهم حتى لا يؤذونه عن الزجاج والجبائى المعنى
لما تقدم قوله ولقد صرفنا فى هذا القرآن بين سبحانه حالهم عند قراءة القرآن فقال واذا قرأت القرآن يا محمد جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة وهم المشركون حجابا مستورا قال الكلبى وهم ابو سفيان والنضر بن الحرث وابو جهل وام جميل امرأة ابى لهب حجب الله
رسوله عن ابصارهم عند قراءة القرآن فكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه وقيل اراد حجابا ساترا عن الاخفش والفاعل قد يكون
فى لفظ المفعول يقال مشؤم وميمون وانما هو شائم ويامن وقيل هو على بناء النسب لا على ان المفعول بمعنى الفاعل والفاعل بمعنى
المفعول والمعنى حجابا ذا ستر وهذا هو الصحيح وقيل حجابا مستورا عن الاعين لا يبصر انما هو من قدرة الله تعالى حجب بينه وبينهم
بحجاب لا يرونه ولا يراه النبى صلى الله عليه وآله وقيل ان المعنى فى الآية جعلنا بينك وبينهم حجابا يعنى باعدنا بينك وبينهم فى القرآن
فهو لك وللمؤمنين معك شفاء وهدى وهو للمشركين فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى فهذا هو الحجاب عن ابى مسلم وهذا بعيد و
الاول اوجه لانه الحقيقة وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا مر تفسيره فى سورة الانعام واذا ذكرت ربك فى القرآن
وحده معناه واذا ذكرت الله بالتوحيد وابطلت الشركة ولوا على ادبارهم نفورا اى اعرضوا عنك مدبرين نافرين والمعنى بذلك
كفار قريش وقيل هم الشياطين عن ابن عباس وقيل معناه اذا سمعوا بسم الله الرحمن الرحيم ولوا وقيل اذا سمعوا قول لا اله الا الله
نحن اعلم بما يستمعون به معناه ليس يخفى علينا حال هؤلاء المشركين وغرضهم فى الاستماع اذ يستمعون اليك فقد علمنا سبب استماعهم
فهذا كما يقال فعلت ذلك لحرمتك واذ هم نجوى اى متناجون وقيل هم ذوو نجوى والمعنى انا نعلمهم فى حال ما يصغون الى سماع قراءتك
وفى حال ما يقومون من عندك ويتناجون فيما بينهم فيقول بعضهم هو ساحر وبعضهم هو كاهن وبعضهم هو شاعر وقيل يعنى به ابا جهل
وزمعة بن الاسود وعمرو بن هشام وحويطب بن عبد العزى اجتمعوا وتشاوروا فى امر النبى ص فقال ابو جهل هو مجنون وقال زمعة هو
شاعر وقال حويطب هو كاهن ثم اتوا الوليد بن المغيرة وعرضوا ذلك على الوليد بن عتبة فقال هو ساحر اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا قيل فيه وجوه احدها انهم يقولون ما تتبعون الا رجلا قد سحر فاختلط عليه امره وانما يقولون ذلك للتنفير عنه
وثانيها ان المراد بالمسحور المخدوع والمعلل كما فى قول امرئ القيس ارانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب وقول امية بن ابى الصلت
فان تسألينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر وثالثها ان المعنى ان تتبعون الا رجلا ذا سحر اى رية خلقه بشرا مثلكم ورابعها
ان المسحور بمعنى الساحر كما قيل فى قوله حجابا مستورا اى ساترا وقد زيف هذا الوجه والوجوه الثلثة اوضح وعلى هذا فمعنى الآية
البيان عما يوجبه حال المعادى للدين المناصب للحق اليقين وان قلبه كانه فى كنان عن تفهمه وكان فى اذنيه وقرا عن استماعه فهو مولى
نافر عنه يناجى فى حال الانحراف عنه جهالا امثاله قد يعلموا بالحجة حتى نسبوا صاحبها الى انه مسحور لما لم يكن لهم الى مقاومة ما اتى به سبيل
ولا على كسره بالمعارضة دليل ثم قال سبحانه على وجه التعجب انظر يا محمد كيف ضربوا لك الامثال اى شبهوا لك الامثال اى شبهوا لك
فقالوا مجنون وشاعر وساحر فضلوا بهذا القول عن الحق فلا يستطيعون سبيلا اى لا يجدون حيله وطريقا الى بيان تكذيبك الا البهت
الصريح وقيل لا يجدون سبيلا الى صد الناس عنك والى اثبات ما ادعوا عليك وقيل ضلوا عن الطريق المستقيم فهو دين الاسلام
فلا يجدون اليه طريقا بعد ما ضلوا عنه قوله تعالى وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً
أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ
مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا اربع آيات قد ذكرنا



حزب ١٥ جزو

عشر
ع٥

اللغة

الاعراب

المستبطي

اختلاف القرآء في الاستفهامين من قوله ائذا ائنا في سورة الرعد فلا معنى لاعادته الاعراب الرفات ما تكسر وعلى من كل شيء ويكثر
بناء فعال في كل ما تحطم وترضض يقال حطام وذقاق وتراب وقال المبرد كل شيء مدقوق مبالغ في دقه حتى انسحق فهو رفات قال
الفراء لا واحد له من لفظه يقال رفت الشيء رفتا فهو مرفوت اذا صير كالحطام ويقال انغض راسه ينغضه ونغض براسه ينغضه
نغضا اذا حركه قالوا والنغض تحريك الراس بارتفاع وانخفاض ومنه قيل للظليم نغض لانه يحرك راسه في مشيه بارتفاع وانخفاض
قال العجاج اسك نغضا لا يني مستهدجا ونغض السن اذا تحركت يقال ونغضت من هرم اسنانها المعنى اذا في موضع نصب بفعل
يدل عليه قوله ائنا لمبعوثون وتقديره انبعث في ذلك الوقت ولا يجوز ان يكون ظرفا لقوله مبعوثون لان ما بعد ان وكلام الابتدا
لا يجوز ان تعمل فيما قبلها والباء في بحمده باء الحال اي يستجيبون حامدين له ويدعوكم في موضع الجر باضافة يوم اليه ويستجيبون
عطف عليه وتظنون ليس في موضع الجر لان الواو للحال وتقديره وحالكم اذ ذاك ان تظنوا وقليلا نصب على الظرف وتقديره ان
لبثتم الا زمانا قليلا المعنى لما تقدم ذكر البعث والنشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوه في انكاره فقال وقالوا ائذا كنا عظاما و
رفاتا اي غبارا عن ابن عباس وقيل ترابا عن مجاهد ائنا لمبعوثون خلقا جديدا والمعنى قال المنكرون للبعث ائنا اذا متنا وانتثر
لحومنا فصرنا عظاما وترابا انبعث بعد ذلك خلقا جديدا اي مجددا وهو انكار في صورة الاستفهام قل يا محمد لهم كونوا حجارة او حديدا
اي اجتهدوا في ان لا تعادوا وكونوا ان استطعتم حجارة في القوة او حديدا في الشدة او خلقا مما يكبر في صدوركم اي خلقا هو
اعظم من ذلك عندكم واصعب فانكم لا تفوتون الله تعالى وسيحييكم بعد الموت وينشركم الا ان الكلام خرج مخرج الامر لانه ابلغ
في الالزام وقيل يعني بقوله مما يكبر في صدوركم الموت عن ابن عباس وسعيد بن جبير اي لو كنتم الموت لاماتكم الله تعالى وليس شيء
اكبر في صدور بني آدم من الموت وقيل يعني به السموات والارض والجبال عن مجاهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة
معناه فانك اذا قلت لهم ذلك سيقولون من يحيينا بعد الموت قل يا محمد يحييكم من خلقكم اول مرة فان من قدر على ابتداء الشيء كان
على اعادته اقدر ما لم تبطل قدرته ولم تتغير فان الابتداء للشيء اصعب من اعادته وانما قال ذلك لهم لانهم كانوا يكفرون بالنشأة
الاولى فسينغضون اليك رؤسهم اي يحركون اليك رؤسهم تحريك المستهزئ المستخف المبطئ لما ينذرهم به ويقولون متى هو
اي متى يكون البعث قل عسى ان يكون قريبا لان ما هو آت قريب ومن كلام الحسن كانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل
يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده معناه عسى ان يكون بعثكم ايها المشركون قريبا يوم يدعوكم من قبوركم الى الموقف على السنة الملائكة
وذلك عند النفخة الثانية فيقولون ايتها العظام النخرة والجلود البالية عودي كما كنت فتستجيبون مضطرين بحمده اي حامدين
لله على نعمه وانتم موحدون وهذا كما يقول القايل جاء فلان بغضبه اي جاء غضبان وقيل معناه تستجيبون بحمده انكم تستجيبون
معترفين بان الحمد له على نعمه لا تنكرونه لان المعارف هناك ضرورية قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم يقولون سبحانك
وبحمدك ولا ينفعهم في ذلك اليوم لانهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وتظنون ان لبثتم الا قليلا اي وتظنون انكم لم تلبثوا في الدنيا
الا قليلا لسرعة انقلاب الدنيا الى الآخرة قال الحسن وقتادة استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لما لا يعلمون من طول لبثهم في الآخرة
ومن المفسرين من يذهب الى ان هذه الاية خطاب للمؤمنين لانهم الذين يستجيبون لله بحمده ويحمدونه على احسانه اليهم و
يستقلون مدة لبثهم في البرزخ لكونهم في قبورهم منعمين غير معذبين فايام السرور والرخاء قصار قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا
التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او
ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا
داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم
اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا خمس آيات اللغة الوسيلة القربة والواسل الراغب قال لبيد بلى كل
ذي دين الى الله واسل قال الزجاج الوسيلة والسؤل والطلبة في معنى واحد الاعراب يقولوا جواب شرط محذوف تقديره قل
لعبادي قولوا التي هي احسن يقولوا اذ كان ابو عثمان يزعم ان يقولوا واقع موقع قولوا وهو مبني لانه وقع موقع قولوا ووقوع الفعل

موقع الفعل المبني لا يوجب له البناء الا ترى ان قوله يؤمنون بالله ورسوله واقع موقع آمنوا وهو معرب وانما ذلك في الاسماء نحو يا زيد بني
لوقوعه موقع يا انت اولئك رفع بالابتداء والذين يدعون صفة لهم ويبتغون خبر الابتداء وقوله ايهم اقرب قال الزجاج ان شئت كان ايهم
رفعا بالابتداء والخبر اقرب ويكون المعنى ينظرون ايهم اقرب اليه فيتوسلون به والجملة متعلقة بينظرون المضمر ويجوز ان يكون ايهم اقرب
بدلا من الواو في يبتغون النزول كان المشركون يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة فيقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم
فيقول لهم اني لم اومر فيهم بشيء فانزل الله سبحانه قل لعبادي الآية عن الكلبي المعنى ثم امر سبحانه عباده باتباع الاحسن من الاقوال والافعال
فقال وقل يا محمد لعبادي وهذه اضافة تخصيص وتشريف اراد به المؤمنين وقيل هو عام في جميع المكلفين يقولوا التي هي احسن اي يختاروا من
المقالات والمذاهب المقالة التي هي احسن المقالات والمذاهب وقيل معناه مرهم يقولوا التي هي احسن الكلمات اي كلمة الشهادتين وكل ما ندب
اليه من الاقوال وقيل معناه يأمروا بما امر الله به وينهوا عما نهى الله عنه عن الحسن وقيل معناه قل لهم يقل بعضهم لبعض احسن ما يقال مثل
رحمك الله ويغفر الله لك وقيل معناه قل لعبادي اذا سمعوا قولك الحق وقول المشركين يقولوا ما هو اولى ويتبعوا ما هو احسن عن ابي مسلم
قال ونظيره فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد بينهم ويغري بعضهم ببعض ويلقي بينهم
العداوة ان الشيطان كان في جميع الاوقات للانسان اي لآدم وذريته عدوا مبينا مظهرا للعداوة ثم خاطب سبحانه الفريقين فقال ربكم اعلم بكم
معناه انه اعلم باحوالكم فيدبر امركم وعلى ما يعلمه من المصلحة لكم ان يشاء يرحمكم او ان يشاء يعذبكم قيل اراد انه سبحانه مالك للرحمة والعذاب
ليكون الرجاء اليه والخوف منه عن الجبائي وقيل معناه ان يشأ يرحمكم بالتوبة وان يشأ يعذبكم بالاصرار على المعصية عن الحسن وقيل معناه ان يشاء
يرحمكم باخراجكم من مكة ويخلصكم من ايدي المشركين وان يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم وقيل ان يشاء يرحمكم بفضله او ان يشاء يعذبكم بعدله
وهو الاظهر ثم عاد الى خطاب النبي صلى الله عليه وآله وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ما ارسلناك موكلا عليهم حفيظا لاعمالهم تدخل الايمان
في قلوبهم شاؤا ام ابوا ومعناه انك لا تؤاخذ باعمالهم فانا ارسلناك داعيا لهم الى الايمان فان اجابوك والا فلا شيء عليك فان عقاب ربك
يحل بهم واللائمة تلزمهم وربك اعلم بمن في السموات والارض اي هو اعلم بمن في السموات من الملائكة وبمن في الارض من الانبياء بين سبحانه
بهذا انه لم يختر الملائكة والانبياء للميل اليهم وانما اختارهم لعلمه بباطنهم وقيل معناه انه اعلم بالجميع فجعلهم مختلفين في الصور والرزق
والاقوال كما اقتضته المصلحة كما فضل بعض النبيين على بعض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض والمعنى ان الانبياء وان كانوا في اعلى
مراتب الفضل فانهم طبقات في ذلك بعضهم اعلى من بعض بزيادة الدرجة والثواب والمعجزات والكتاب ولما كان سبحانه عالما ببواطن الامور
اختارك للنبوة وفضلك على الانبياء كما فضل بعضهم على بعض فسخر لبعضهم النار والان لبعضهم الحديد واتى بعضهم الملك وكلم بعضهم
وكذلك خصك بخصايص لم يعطها احدا وختم بك النبوة قال وآتينا داود زبورا قال الحسن كل كتاب زبور الا ان هذا الاسم غلب على كتاب
داود كما غلب اسم الفرقان على القرآن وان كان كل كتاب من عند الله فرقانا لانه يفرق بين الحق والباطل وقال الزجاج معنى ذكر داود ع هنا
انه يقول لا تنكروا تفضيل محمد ص واعطائه القرآن فقد اعطينا داود زبورا ثم قال سبحانه لنبيه محمد ص قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون
غير الله ادعوا الذين زعمتم من دونه انها آلهة عند ضر ينزل بكم ليكشفوا ذلك عنكم او يحولوا تلك الحالة الى حالة اخرى فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلا للحالة التي تكرهونها الى حالة تحبونها يعني تحويل حال القحط الى الخصب والفقر الى الغنى والمرض الى الصحة وقيل معناه لا
يملكون تحويل الضر عنكم الى غيركم بين سبحانه ان من كان بهذه الصفة فانه لا يصلح للالهية ولا يستحق العبادة والمراد بالذين من دونه هو المسيح
والملائكة وعزير عن ابن عباس والحسن وقيل هم الجن لان قوما من العرب كانوا يعبدون الجن عن ابن عباس قال واسلم اولئك النفر من الجن
وبقي الكفار على عبادتهم قال الجبائي ثم رجع سبحانه الى ذكر الانبياء في الآية الاولى فقال اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
معناه الذين يدعون الى الله تعالى يطلبون القربة اليه بفعل الطاعات ايهم اقرب اي ليظهر ايهم الافضل والاقرب منزلة منه وتأويله
ان الانبياء مع علو رتبتهم وشرف منزلتهم اذا لم يعبدوا غير الله وخافوه فانتم اولى ان لا تعبدوا غيره وانما ذكر ذلك حثا على الاقتداء بهم وقيل معناه
اولئك الذين يدعونهم ويعبدونهم ويعتقدون انهم آلهة من المسيح والملائكة يبتغون الوسيلة والقربة الى الله تعالى بعبادتهم ويجتهد
كل منهم ليكون هو اقرب الى رحمته او يطلب كل منهم ان يعلم ايهم اقرب الى رحمته او الى الاجابة ويرجون رحمته ويخافون عذابه اي وهم